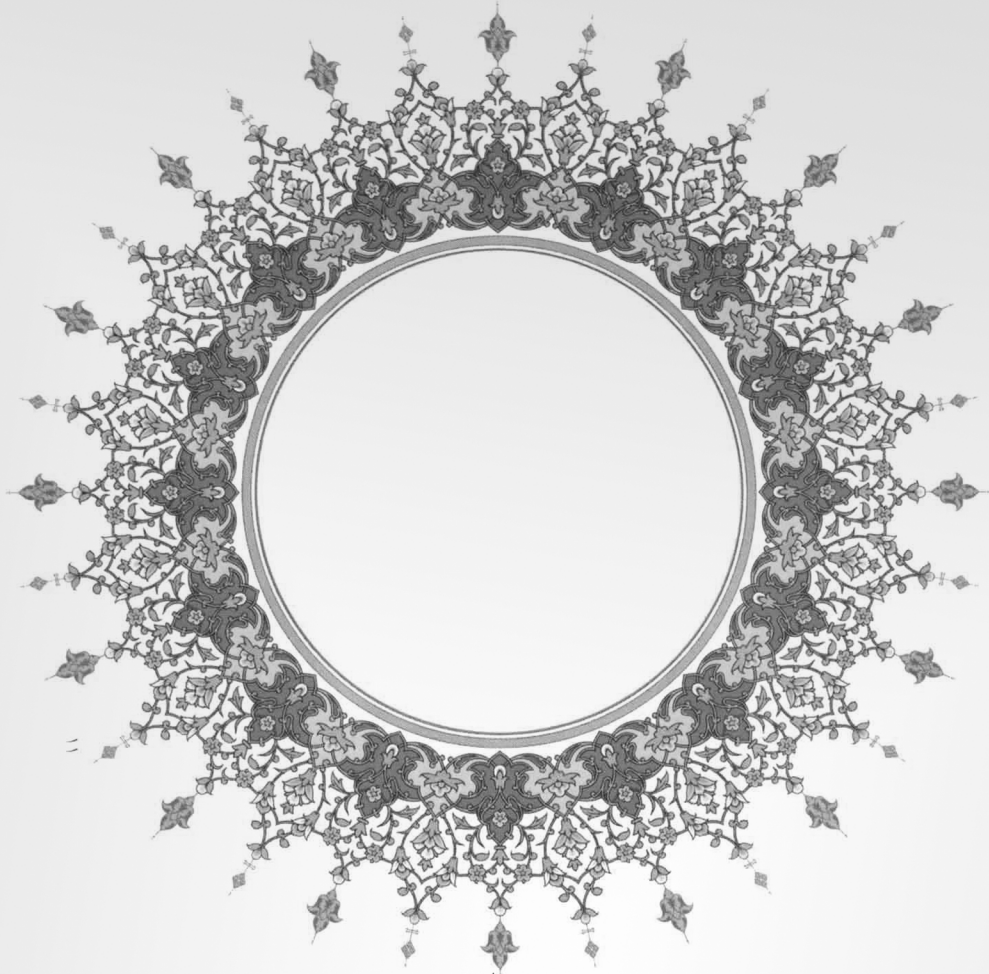


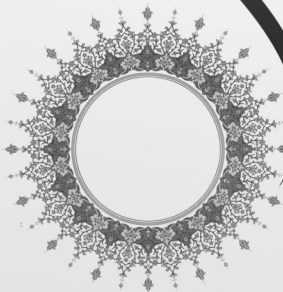
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سفید



موقف الحجاج

العدد: ٤٦



مجلة نصف سنوية تعنى
بالشؤون الثقافية والتاريخية
والسياسية والاجتماعية للحج
شهر محرم الحرام ١٤٣٨ هـ
السنة: ٢٤

ملاحظات :

- يرجى من العلماء والمحققين الأفاضل الذين يرغبون في التعاون مع المجلة أن يراعوا عند إرسال مقالاتهم النقاط التالية:
١. أن تقترن المقالات بذكر المصادر والهوامش بدقّة وتفصيل.
 ٢. أن لا تتجاوز المقالة ٤٠ صفحة وأن تكون مضروبة على الآلة الكاتبة إن أمكن أو أن تكتب بخط اليد على وجه واحد من كل ورقة.
 ٣. أن تكون المادة المرسلة للنشر في المجلة غير منشورة سابقاً وغير مرسلة للنشر إلى مجلة أخرى.
 ٤. تقوم المجلة بدراسة وتقييم البحوث والدراسات المقدمة إليها، ولها الحقّ في صياغتها وتعديلها بما تراه مناسباً مع مراعاة المضمون والمعنى.
 ٥. يعتمد ترتيب البحوث والمقالات في المجلة على أسس فنيّة وليس لأسباب أخرى.
 ٦. تعتذر المجلة عن إعادة المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.
 ٧. المقالات والبحوث التي تنشر على صفحات المجلة تمثّل وجهات نظر وآراء كتّابها.
 ٨. ترسل جميع البحوث والمقالات على عنوان المجلة.
 ٩. ترحب إدارة التحرير في مجلة «ميقات الحج» بملاحظات القراء الكرام ومقترحاتهم.



الفهرس

- مسائل الحجّ و سبب كثرتها، نقد و إجابة.....آية الله الشيخ جعفر السبحاني/٧
- ﴿وَقَدْ يَنَافُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾.....الأستاذ: محسن الأسدي/١٥
- فضائل الحرمين الشريفين (١٠).....محمد علي المقدادي/٨١
- الأخوة الثلاثة الصالحون.....حسن الحاج/١٢٣
- في رحاب سلسلة «ذخائر الحرمين الشريفين» (٣).....محمد حسين الواعظ/١٩٣
- مقتطفات من رحلة الحج، للقندهاري (٣).....تحقيق: أحمد خامه يار/٢٣٩
- أخبار الحرمين الشريفين.....٢٩١/

الهيئة العلمية:

✽ سماحة المرجع الديني الشيخ جعفر السبحاني

✽ سماحة الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي

✽ سماحة الشيخ محمد القايني

المدير المسؤول:

السيد علي قاضي عسكر

مدير التحرير:

محمد علي المقدادي



مسائل الحجّ وسبب كثرتها

نقد وإجابة

آية الله الشيخ جعفر السبحاني

قرأنا في أحد المواقع إشكالاً حول الحديث المتعلق بالحجّ، وهو ما رواه بكير ابن أعين عن أخيه زرارة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلني الله فداك! أسألك في الحج منذ أربعين عاماً فتفتيني؟ فقال: «يا زرارة بيت يُحج قبل آدم عليه السلام بألفي عام تريد أن تفني مسأله في أربعين عاماً». ^١ والرواية كالصحيح حسب مصطلح أصحابنا

١. من لا يحضره الفقيه ٢ : ٥١٩.

في تقسيم الروايات.

ومحاور الإشكال كالتالي:

أولاً: كيف يقول زرارة: أسألك في الحج منذ أربعين عاماً، مع أن إمامة أبي عبد الله عليه السلام لم تتجاوز ٣٤ عاماً، لأنه تولى الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الباقر عليه السلام في عام ١١٤ هـ، وتوفي عام ١٤٨ هـ؟

ثانياً: أن الإمام يجب بأن البيت يحج قبل آدم بألفي عام، وهذا لا يكون جواباً على سؤال السائل، أعني ماهو السبب لكثرة الأسئلة في الحج؟
والجواب عن الأمر الأول بوجهين:

أما أولاً: فإن التعبير بأربعين عاماً ربما يكون كناية عن كثرة الأعوام وإن لم تكن بالدقة أربعين عاماً، وهذا أمر رائج، فإن الإنسان إذا عاش مع آخر أعواماً كثيرة ربما يعبر عن مدة حياته معه بأربعين عاماً وإن كان بالدقة أقل، ولا يوصف بالكذب.

وثانياً: فإن الإمام الصادق عليه السلام وإن كان تولى أمر الإمامة بعد وفاة أبيه، ولكنه كان مورد اهتمام لأبيه فربما كان يرجع الناس إليه ليسألوه. ويشهد على ذلك أن عبد الملك بن مروان بعث إلى عامله في المدينة أن وجهه إلي محمد بن علي بن الحسين ولا تهيجه ولا تروعه، واقض له حوائجه، وقد كان ورد على عبد الملك رجل من القدرية^١ فحضر جميع من كان بالشام فأعياهم جميعاً، فقال: ما لهذا إلا محمد بن

١. القدرية في الأخبار يطلق على الجبري والتفويضي، والمراد في هذا الخبر هو الثاني وقد أحال كل من الفريقين ماورد في ذلك على الآخر وقد ورد في ذمهم أحاديث كثيرة في كتب الفريقين مثل قوله عليه السلام: «لعن الله القدرية على لسان سبعين نبياً». وقوله صلى الله عليه وآله: «القدرية مجوس أمّتي».

علي، فكتب إلى صاحب المدينة أن يحمل محمد بن علي إليه، فأتاه صاحب المدينة بكتابه فقال له أبو جعفر عليه السلام: «إني شيخ كبير، لا أقوى على الخروج وهذا جعفر ابني يقوم مقامي، فوجهه إليه فلما قدم على الأموي ازدراه^١ لصغره وكبره أن يجمع بينه وبين القدري مخافة أن يغلبه، وتسامع الناس بالشام بقدوم جعفر لمخاصمة القدرية، فلما كان من الغد اجتمع الناس بمحسومتها؛ فقال الأموي لأبي عبد الله عليه السلام: إنه قد أعيانا أمر هذا القدري وإنما كتبت إليك لأجمع بينك وبينه فإنه لم يدع عندنا أحداً إلا خصمه. فقال عليه السلام: «إن الله يكفيننا». قال: فلما اجتمعوا قال القدري لأبي عبد الله عليه السلام: سل عما شئت، فقال له: اقرأ سورة الحمد. قال: فقرئها وقال الأموي - وأنامعه -: ما في سورة الحمد علينا؟ ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾! قال: فجعل القدري يقرأ سورة الحمد حتى بلغ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، فقال له جعفر عليه السلام: «قف من تستعين؟ وما حاجتك إلى المعونة؟ إن الأمر إليك، فهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الكافرين».^٢

فالحديث يكشف أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان مرجعاً للأسئلة في حياة أبيه، ومن الممكن أن زرارة سأله بعض ما يرجع إلى الحج من الأسئلة أيام حياة أبيه.

وأما الجواب عن السؤال الثاني فكلام الإمام يتضمن أمرين:

أما الأول: فقوله: «بيت يحج قبل آدم بألفي عام»، فليس الإمام منفرداً في

١. استخف به.

٢. تفسير العياشي ١ : ٢٣-٢٤؛ بحار الأنوار ٥ : ٥٥.

نقله، فقد أخرجه الشافعي في مسنده،^١ عن ابن أبي ليبد عن محمد بن كعب القرظي أو غيره، قال: «حجَّ آدم عليه السلام فلقيته الملائكة، فقالوا: برئُتُسكَّ آدم لقد حججنا قبلك بألفي عام».^٢

وأخرجه البيهقي أيضاً في سننه،^٣ وفي «شعب الإيمان» عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «كان موضع البيت في زمن آدم عليه السلام شبراً أو أكثر علماً فكانت الملائكة تحجّ إليه قبل آدم، ثم حجَّ آدم فاستقبلته الملائكة، فقالوا: يا آدم من أين جئت؟ قال: حججت البيت، فقالوا قدحجّته الملائكة من قبلك».^٤

وأما الثاني: أي كيف أجاب الإمام عن سبب كثرة الأسئلة حول الحجّ بقوله: «بيت يحجّ قبل آدم بألفي عام»، فتظهر حاله بالتدبّر فيما ورد من غير من واحدة من الروايات وهو أن الله تعالى أدخل بعض سنن أنبيائه في مناسك الحجّ عبر قرون وفرضها على العباد وهذا صار سبباً لوجود الأسئلة الكثيرة في أمر الحجّ، فلذلك جعل الإمام أبو جعفر عليه السلام سبب كثرة الأسئلة كون البيت يحجّ بألفي عام حيث تواردت الأحكام من قبل سائر الشرائع على الحجّ عبر قرون فصار ذلك سبباً لوجود كثرة الأسئلة فيه، ويدلّ على ذلك مايلي:

١- ماأخرجه أبو داود وغيره عن يزيد بن شيبان، قال: أتانا ابن مُرَبَّع الأنصاري ونحن بعرفة في مكان يباعده عمرو عن الإمام فقال: إما إني رسول رسول الله صلى الله عليه وآله إليكم، يقول لكم: «قفوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث

١. مسند الشافعي، ترتيب سنجر، ٢ : ١٧٠.

٢. سنن البيهقي ٥ : ٢٨٨.

٣. المصدر نفسه.

٤. شعب الإيمان، للبيهقي ٥ : ٤٤٩؛ وفي سننه الكبرى ٥ : ٢٨٨.

أبيكم إبراهيم». رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني.^١

٢- ما رواه البخاري، في وجه سعي الناس بين الصفا والمروة وقال راوياً عن ابن عباس في قصّة وضع إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر وابنه إسماعيل عند البيت، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو قال: يتلَبّط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم اتت المروه فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً، ففعلت ذلك سبع مرّات.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وآله: «فذلك سعي الناس بينهما». رواه البخاري.^٢ إن للإمام الصادق عليه السلام مقاماً رفيعاً بين الفقهاء منذ شبابه في بيان مسائل الحج، وقد روى مسلم في صحيحه حديثاً مفصلاً عن الإمام عليه السلام يصف فيه أكثر مناسك الحج، وكأنّ هذا الحديث هو العمدة عند الفقهاء في بيان مناسك الحج، قال الزيعلي في «نصيب الراية» هذا مانصّه:

ولنذكره برمّته فإنّ عمدة في مناسك الحجّ أخرجه مسلم عن جعفر بن محمد

١. سنن أبي داود، باب موضع الوقوف بعرفة ٢ : ١٨٩ وبهامشه تحقيق الألباني وحكمه بالصحة؛ والترمذي، باب ما جاء في الوقوف بعرفات ٣ : ٢٢١؛ وسنن النسائي ٥ : ٢٥٥؛ وسنن ابن ماجه ٤ : ٢١٥؛ واللفظ لأبي داود أمّا لفظ الترمذي وغيره فكما يلي: «كونوا على مشاعركم فإتكم على إرث من إرث إبراهيم».

٢. صحيح البخاري ٤ : ١٤٢، الحديث ٣٣٦٤.

عن أبيه،... ثم ذكر الحديث إلى آخره.^١

ويدلّ غير واحد من الروايات والأخبار على دور الإمام الصادق عليه السلام في تعليم مناسك الحجّ وأحكامه وآدابه، وأنّ المسلمين بجميع طوائفهم كانوا يصدرون عن فتاواه وآرائه، نذكر هنا ما يلي:

١. روى الصدوق عليه السلام عن أبي حنيفة، أنه قال: لولا جعفر بن محمد ما علم الناس مناسك حجّهم.^٢

٢. روى الشيخ الطوسي عليه السلام في «التهذيب» عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل يلبي حتى دخل المسجد وهو يلبي وعليه قميص، فوثب إليه أناس من أصحاب أبي حنيفة فقالوا: شقّ قميصك وأخرجه من رجلك، فإنّ عليك بدنة وعليك الحجّ من قابل وحجّك فاسد، فطلع أبو عبد الله عليه السلام فقال على باب المسجد فكبر واستقبل الكعبة، فدنا الرجل من أبي عبد الله عليه السلام وهو ينتف شعره ويضرب وجهه، فقال أبو عبد الله: «اسكن يا عبد الله»، فلمّا كلّمه وكان الرجل أعجمياً، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما تقول؟»، قال: كنت رجلاً أعمل بيدي، فاجتمع لي نفقة فجئت أحجّ لم أسأل أحداً عن شيء، فأفتوني هؤلاء أن أشقّ قميصي وأنزعه من قبل رجلي وأنّ حجّي فاسد وإنّ عليّ بدنة، فقال له: «متى لبست قميصك أبعد ما كُتبت أم قبل؟» قال: قبل أن ألبّي. قال: «فأخرجه من رأسك، فإنه ليس عليك بدنة، وليس عليك الحجّ من قابل، أيّ رجل ركب أمراً بجهالة فلا شيء عليه، طف بالبيت سبعة، وصلّ ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام، واسع بين الصفا والمروة، وقصّر

١. صحيح مسلم ٤ : ٣٩-٤٣، باب حجة النبي ﷺ سنن أبي داود ٢ : ... برقم ١٩٠٥؛ شرح

صحيح مسلم للنووي : ٧ - ٨، باب حجة النبي ﷺ برقم ٢٩٤١.

٢. الفقيه ٢ : ٥١٩ كتاب الحجّ، باب نوادر الحجّ، برقم ٣١١٣.

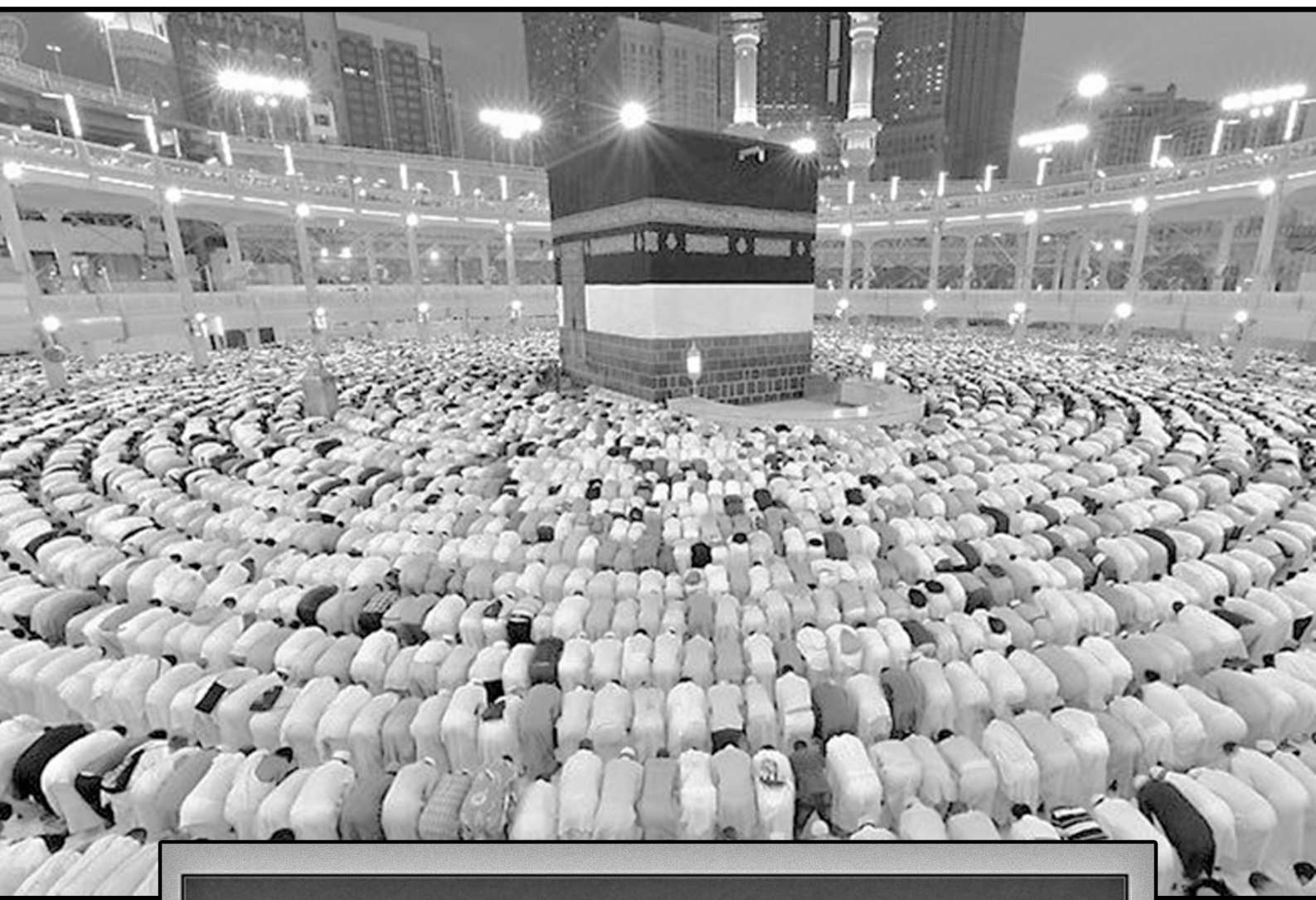
من شعرك، فإذا كان يوم التروية فاغتسل وأهل بالحج، واصنع كما يصنع الناس».^١

٣. روى الشيخ رحمه الله في «التهذيب» عن معاوية بن عمار قال: إن امرأة هلكت فأوصت بثلاثها يتصدق به عنها ويحج عنها ويعتق عنها فلم يسع المال ذلك، فسألت أباحنيفة وسفيان الثوري، فقال كل واحد منهما: انظر إلى رجل قد حجّ فقطع به فيقوى، ورجل قد سعى في فكاك رقبتة فيبقى عليه شيء فيعتق، ويتصدق بالبقية، فأعجبني هذا القول وقلت للقوم - يعني أهل المرأة -: إني قد سألت لكم فتريدون أن أسأل لكم من هو أوثق من هؤلاء؟ قالوا: نعم، فسألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال: «أبدأ بالحجّ فإن الحجّ فريضة، فما بقي فضعه في النوافل»، قال: فأتيت أباحنيفة فقلت: إني قد سألت فلاناً فقال لي كذا وكذا، قال: فقال: هذا والله الحق، وأخذ به وألقى هذه المسألة على أصحابه، وقعدت الحاجة لي بعد انصرافه فسمعتهم يتطارحونها، فقال بعضهم بقول حنيفة الأول، فخطأه من كان سمع هذا وقال: سمعت هذا من أبي حنيفة منذ عشرين سنة.^٢



١. تهذيب الأحكام ٥ : ٧٢ - ٧٣، باب إذا لبس الإنسان قميصاً...

٢. المصدر نفسه ٥ : ٤٠٧، الحديث ٦٣.



مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَالْمُسْتَخْلِينَ الشَّرَفَا



﴿وَقَدْ يَنْبَأُ بِذُبْحٍ عَظِيمٍ﴾^١

محسن الأسدي

شاءت السماء أن تجعل ابتلاء آت ومواقف كل من نبي الله إبراهيم وزوجته السيدة هاجر وابنهما نبي الله إسماعيل تاريخاً خالداً، ومشروعاً إحيائياً عظيماً، تتلقاهما الأجيال المؤمنة بالتقدير والمتابعة، وبالذات عبر مناسك الحج والعمرة، فما حدث لهؤلاء الثلاثة في هجرتهم وسيرتهم وتنقلاتهم ومعاناتهم، وما قدموه من جهود كبيرة مباركة في مكة أم القرى وما حولها؛ لعلّه لا فقط شكل أغلب شعائر الحج والعمرة، والتي تُحيي بها القلوب، وتزكوا بها النفوس، وتحسن بها السير، بل

أحيا وادياً كان مهجوراً؛ وصفته السماء بأنه: ﴿.. غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾؛ وقد ابتداء إبراهيم عليه السلام ذلك الإحياء عندما أسكن كلاً من زوجته هاجر وابنها الرضيع إسماعيل فيه.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾. وفعلاً تم لإبراهيم عليه السلام ما تمناه، واستجاب الله تعالى دعاءه، حتى صار كل ذلك فيما بعد قاعدةً لانطلاق أعظم رسول وأعظم دين وأكمل شريعة، فكان ﷺ خاتماً للرسل والأنبياء، وكانت شريعته خاتمةً للشرائع.. وأمثلة تلك الابتلاآت عديدة:

سعي هاجر بين جبلي الصفا والمروة سبعا؛ "فذلك سعي الناس بينهما" هذا ما نسبته ابن عباس لرسول الله ﷺ، ولما رأى ابن عباس قوماً يسعون بين هذين الجبلين قال: «هذا ما أورثتكم أمكم إسماعيل». وقع هذا منها حين لم يكن لها حلٌّ لإنقاذ ابنها الرضيع من العطش، إلا أن تسعى وتهول هناك، وقد بعدت قليلاً عن ابنها بحثاً عن قطرة ماء، وقد علا بكأؤه تارةً وصراخه وخفٍّ أخرى حين مضَّه العطش حتى كاد أن يموت، لولا حكمة الله تعالى ورحمته أن تفجرت بئر زمزم عن ماء، فشرب إسماعيل من عين عذبة؛ ليرتوي منها ضيوف الرحمن..

لقد صار سعيها ذاك منسكاً من مناسك الحج والعمرة .. ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ

خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ^١.

ولما ارتفع بنيان البيت وضعف نبيُّ الله إبراهيم، وهو في شيخوخته، عن رفع الحجارَة، قام على حجر، فصار هذا الحجر هو المقام المعروف بمقام إبراهيم، تؤدَّى ركعتا الطواف عنده، وقد نزلت فيه الآية: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^٢. وما أن تمَّ بناء البيت برفع قواعده، وبوَّاه الله تعالى، حتى أمر إبراهيم بتطهيره في آية، وأمره وألزمه وابنه إسماعيل بهذه المهمة في آية أخرى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٣.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^٤.
﴿وَعَهْدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^٥.

ووقع الأذان بالحج

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ

١. البقرة : ١٥٨.

٢. البقرة : ١٢٥.

٣. البقرة : ١٢٧.

٤. الحج : ٢٦.

٥. البقرة : ١٢٥.

فصار منسكاً للطواف تتحدث عنه الآية: ... ﴿... وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^٢ وبيت عبادة: ﴿... لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^٣ وهكذا عرفة؛ إمّا لأنّ آدم وحواء اجتمعا والتقيا فعرفها وعرفته بعد أن هبطا من الجنة، وإمّا لأنّ جبرئيل طاف بالنبي إبراهيم يريه المشاهد فيقول له: «أَعَرَفْتَ؟ أَعَرَفْتَ؟» فيرد إبراهيم: «عَرَفْتُ، عَرَفْتُ»، أو أنّ جبرئيل غدا بإبراهيم إلى عرفات، فقال: هذه عرفات، فاعرف بها مناسكك واعترف بذنبك، فسمي عرفات... وهكذا المزدلفة وهي المشعر الحرام... حين أفاض به وازدلفا إليها؛ فسميت المزدلفة.

﴿فَإِذَا أَقْسَمْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾.

وكذا الكلام عن منى وقصة الذبيح ورمي الجمرات... حتى صارت جميعاً مناسك للحج على التفصيل الذي تذكره كتب التاريخ والتفسير والفقه... لقد ظلت هذه الحوادث خالدة، ولا زالت، وستبقى حتى نهاية الدنيا ومن عليها، فشكلك فقهاً خاصاً لمناسك مباركة؛ لفريضة مباركة راح يؤديها ملايين المؤمنين في كل عام.

مقالتنا في هذا العدد من مجلة ميقات الحج، تتوقف عند منسك من مناسك الحج (النحر أو الذبح) وقد سمّاه القرآن الكريم (الهدى) في آيات عديدة: ﴿وَأَمِّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ

١. الحج : ٢٧.

٢. الحج : ٢٩.

٣. الحج : ٢٦.

حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ^١.

وفي سورة المائدة : الآية ٢ والآية ٩٧:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا...﴾
﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ...﴾.

والآية ٢٥ من سورة الفتح:

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحَلَّهُ...﴾.

نقف عند أصل هذه الشعيرة التأريخي، الذي تحدث عنه التنزيل العزيز، وبالذات في المقطع القرآني من سورة الصافات عبر الفداء الذي حملته الآية: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾. وما سبقه من البشارة فالابتلاء عبر رؤيا نبي الله إبراهيم عليه السلام، دون التعرض للأحكام الفقهية للهدى ..

إنه فداء إسماعيل أو إسحاق بذبح عظيم، على الخلاف المذكور، والذي هو الموضوع المهم في هذه المقالة. وقد صار منسكاً من مناسك فريضة الحج، وهكذا رمي الجمرات، الذي كما في الأخبار اقترن بعملية تنفيذ رؤيا إبراهيم بذبح ابنه. لقد منَّ الله تعالى على نبي الله إبراهيم عليه السلام وهو في شيخوخته حين

استجاب لدعائه؛ فبشّرتَه السماء بالولد، وهو بلاشك ولا ريب أعزّ عليه من نفسه ومن كل شيء، وإذ هو به كان مسروراً، يؤمر من قبل السماء بقتله، وبقتله بيده لا بيد آخرين، .. إنها رؤيا «ورؤيا الأنبياء حق وصدق» ونومهم ويقظتهم سواء! إنه لأمر عظيم وسابقة خطيرة.. نقف عند تلك البشارة، وعند ذلك البلاء المبين، وعند ذلك الذبح العظيم قرآنيّاً، وكيف صار الهدي فداءً يقدمه الحجيج، اقتداءً بنبيّ الله إبراهيم، وقد انبثق منه فقه الأضاحي، كما في الآيات القرآنية أعلاه والروايات..

فبعد أن تحققت البشري، سواء أكانت باسماعيل أو بإخيه إسحاق، فقد حصلت العبرة بالابتلاء واجتيازه بنجاح، حتى أن القرآن الكريم لم يذكر وهو في هذا المقطع المبارك أي اسم من الأخوين، لقد كان كلاهما ولدين لإبراهيم عليهما السلام، فبأي واحد منهما فالبلاء المبين يتحقق، وأيهما وقع عليه الذبح، فالمعاناة والآلام واحدة، ولكن مع هذا سنقف عندهما؛ لتعرف على الأدلة التي تساق فتثبت أيهما الذبيح دون الآخر، وقبل ذلك أيهما المبشر به قبل الآخر، فصاحب البشارة في هذا المقطع القرآني من سورة الصافات (٩٩-١١٣) يكون وبلا شك هو الذبيح:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)﴾.

مع الآية: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

فما أن أنجاه الله تعالى، بأن جعل تلك النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه

السلام، كما جاء في الآيات:

*... الأنبياء ٦٦ - ٧٠: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَزَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾.

وفي سورة العنكبوت ٢٤:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

حتى انطلق إبراهيم عليه السلام بدعائه: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾. ليصبح شعاراً حقيقياً؛ لتركه قومه على ما هم فيه، بعد أن بذل جهوداً كبيرة في دعوتهم أن يتركوا الشرك ويعبدوا الله تعالى وحده، ولما انتهى أن لا فائدة منهم في الاستجابة لدعوته المباركة، انطلق، لا فراراً من مسؤولياته، ولا تخلياً عن أهدافه، ولا طلباً للراحة والاستجمام، بل ذاهباً بعبادته إلى ربه؛ حيث يرى أن العباداة تقف حين ينشر دعوة السماء، وحين يبتثها في أماكن أخرى يأمل أن يتحقق له فيها دين ربه؛ ولنصرته في بقاع غير بقاع قومه، الذين أصرّوا على مواقفهم الراضية له ولدعوته ولنصرته، وإلا فرُّه تعالى موجود معه، وهذا نظير قوله عليه السلام في آية أخرى:

﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.^١

وإن كان هناك رأي أن القائل هو لوط..

وفي التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من اشتبه عليه من

١. العنكبوت : ٢٦.

الآيات، قال: «ولقد أعلمتك أن رُبَّ شيء من كتاب الله تأويله على غير تنزيله ولا يشبه كلام البشر، وسأثبتك بطرف منه، فيكفي إن شاء الله من ذلك قول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾».

فذهابه إلى ربه توجهه إليه عبادةً واجتهاداً وقربة إلى الله جلّ وعزّ، ألا ترى أن تأويله على غير تنزيله؟!^١

وللرازي كلام طويل في قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾، نكتفي بما ذكره في مقدمة المسألة الثانية أن فيه قولين:

الأول: المراد منه مفارقة تلك الديار، والمعنى: إني ذاهب إلى مواضع دين ربي.

والقول الثاني: ذاهب بعبادتي إلى ربي.

فعلى القول الأول المراد بالذهاب إلى الرب هو الهجرة من الديار، وبه اقتدى موسى حيث قال: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾^٢.

وعلى القول الثاني المراد رعاية أحوال القلوب، وهو أن لا يأتي بشيء من الأعمال إلا لله تعالى، كما قال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^٣. قيل: إن الأول أولى؛ لأن المقصود من هذه الآية بيان مهاجرته إلى أرض الشام، وأيضاً يبعد حمله على الهداية في الدين؛ لأنه كان على الدين في ذلك الوقت إلا أن يحمل ذلك على الثبات عليه، أو يحمل ذلك على الاهتمام إلى الدرجات

١. الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩٠هـ).

٢. الشعراء : ٦٢.

٣. الأنعام : ٧٩.

العالية والمراتب الرفيعة في أمر الدين...^١

ومن خواطر الشعراوي في الآية:

«أي: إلى مكان آخر، حيث أجد مَنْ يسمعي ويستجيب لدعوتي، وما دُمْتُ ذاهباً إلى ربي: ﴿سَيَهْدِينِ﴾. أي: يهديني المقام الطيب المناسب لدعوتي...».

لقد كانت بحق هجرةً مباركة؛ رغبةً في رضاه تعالى، فأتت ثمارها في مسيرة هذا النبي عليه السلام، وتركت بصماتها وآثارها على جميع مشاريع السماء التي جاءت بعد إبراهيم عليه السلام، والمتثلة بالرسالات والرسل والأنبياء، حتى صار كلهم تبعاً لمنهجهم وشريعته وعقيدته الخالصة المستقيمة؛ لا زيغ فيها ولا انحراف.. إذن ما أعظمها من هجرة، وما أعظم بركاتها! وقد تحدثت عنها آيات كثيرة، منها:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعَامِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^٢.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^٣.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^٤.

١. تفسير مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (ت ٦٠٦ هـ): الآيات بتصرف بسيط.

٢. النحل: ١٢٠-١٢٣.

٣. النساء: ١٢٥.

٤. الأنعام: ١٦١.

وإن كان الألم يعتصر قلبه أن لم يؤمنوا، فلعلّ نظراته وهو يمشي وحيداً، تتوزع هنا وهناك؛ إلى ما كان قد ألفه من أرض وديار وأناس.

أولئك الذين خلفه ممن كانت تجمعهم وإياهم علاقات عديدة من معرفة وصحبة وقربى.. رغم أنهم أو كبراءهم أرادوا قتله إحراقاً، لقد فعلوا لولا إرادته تعالى أن أنجاه من كيدهم، ومما حاكوه وخططوا له.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾^١

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾^٢

إنها "هجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانية. هجرة يترك وراءه فيها كل شيء من ماضي حياته. يترك أباه وقومه وصحبه وأهله وبيته ووطنه وكل ما يربطه بهذه الأرض، وبهؤلاء الناس. ويدع وراءه كذلك كل عائق وكل شاغل. ويهاجر إلى ربه، متخففاً من كل شيء، طارحاً وراءه كل شيء، مسلماً نفسه لربه لا يستبقي منها شيئاً. موقن أن ربه سيهديه، وسيرعى خطاه، وينقلها في الطريق المستقيم، إنها الهجرة الكاملة من حال إلى حال، ومن وضع إلى وضع، ومن أواصر شتى إلى آصرة واحدة لا يزحمها في النفس شيء. إنه التعبير عن التجرد والخلوص والاستسلام والطمأنينة واليقين..."^٣.

ابن عاشور: «لما نجا إبراهيم من نارهم صمّم على الخروج من بلده (أور الكلدانيين) وهذه أول هجرة في سبيل الله للبعد عن عبادة غير الله. والتوراة بعد أن طوت سبب أمر الله إياه بالخروج ذكر فيها أنه خرج قاصداً بلاد حران في أرض

١. الأنبياء : ٧٠.

٢. الصافات : ٩٨.

٣. سيد قطب، في ظلال القرآن، الآية : ٩٩ الصافات.

كنعان (وهي بلاد الفينيقيين).

والظاهر: أن هذا القول قاله علناً في قومه؛ ليكفوا عن أذاه، وكان الأمم
الماضون يُعدّون الجلاء من مقاطع الحقوق، قال زهير:

وإن الحقّ مقطعه ثلاث	يَمِينٍ أَوْ نِفَارٍ أَوْ جَلَاءٍ
----------------------	-----------------------------------

وَفِي ذِيْنَاهُ بَنِي عَظِيْمٍ

ولذلك لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة من مكة لم يتعرض له قريش في بادية
الأمر، ثم خافوا أن تنتشر دعوته في الخارج، فراموا اللحاق به، فحبسهم الله عنه.
ويحتمل أن يكون قال ذلك في أهله الذين يريد أن يخرج بهم معه، فمعنى: ﴿ذَاهِبْ
إِلَى رَبِّي﴾، مهاجر إلى حيث أعبد ربّي وحده ولا أعبد آلهة غيره، ولا أفتن في عبادته
كما فتنت في بلدكم. ومراد الله أن يفضي إلى بلوغ مكة؛ ليقم هنالك أول مسجد
لإعلان توحيد الله، فسلك به المسالك التي سلكها حتى بلغ به مكة وأودع بها أهلاً
ونسلاً، وأقام بها قبيلة دينها التوحيد، وبنى لله معبداً، وجعل نسله حفظة بيت الله،
ولعل الله أطلعه على تلك الغاية بالوحي، أو سترها عنه حتى وجد نفسه عندها؛
فلذلك أنطقه بأن ذهابه إلى الله نطقاً عن علم أو عن توفيق. ويستظهر أن جملة:
﴿سَيَهْدِين﴾، يجوز أن تكون حالاً؛ لأنه أراد إعلام قومه بأنه واثق برّبّه وأنه لا تردد
له في مفارقتهم، ويجوز أن تكون استثناءً؛...»^١.

الدعاء:

إذن فقد هاجر نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام، وكان يعقب قوله ذاك بدعاءٍ

عظيم.

١. تفسير التحرير والتنوير : الآية.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^١

يسأله ذرية صالحة، فكانت خلفاً طيباً؛ أنبياء كانوا وأئمة وهداة..! لقد استجاب الله دعاء عبده الصالح المتجرّد، الذي ترك وراءه كلّ شيء، وجاء إلى ربّه بقلب سليم..

وكأنه كان يخشى ما حدث لنوح عليه السلام أن كان له ابنٌ وصفه الله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، وبالتالي انتفت النبوة عن ذريته؛ لأنها غير صالحة كما وصفها القرآن الكريم، وقد يتكرر المشهد مع ذريته، لهذا راح إبراهيم عليه السلام بعد أن سأل ربّه ولداً يكون من الصالحين، ذرية؛ يطيعونك يارب ولا يعصونك، يصلحون في الأرض ولا يفسدون.. لهذا صار يُكثر من أدعيته لذريته متمنياً أن تحظى بمنازل النبوة والإمامة والصلاح، حتى لا نجد مورداً في التنزيل العزيز يطلب فيه من الله تعالى شيئاً إلا وتراه يطلبه لذريته، ومن ذلك:

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءً﴾^٢

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ

ذُرِّيَّتِي...﴾^٣

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ...﴾^٤

وفعلاً كم كان هذا النبيُّ عليه السلام موقفاً في ذهابه إلى ربّه، فقد استجاب الله تعالى دعاءه، فكانت الذرية الصالحة، وكان الإسلام، وكانت النبوة وكانت

١. الصافات : ١٠٠.

٢. إبراهيم : ٤٠.

٣. البقرة : ١٢٤.

٤. البقرة : ١٢٨.

الإمامة، وكانت الصلاة في ذريته عليه السلام: ﴿.. رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾!

وكانت تلك الأفئدة: ﴿فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾!

وكانت تلك الثمرات: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾!

إنها جميعاً أنعم الله تعالى على ذلك الوادي الذي كان محيطاً ببيته المبارك، ذلك هو: ﴿.. الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾؛ ليكون قبلةً للناس، وأرض عبادة: ﴿... لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^١. وبالتالي، ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

إذن كانت هجرته عليه السلام هجرةً مباركةً على العالمين، خالدةً في عطائها، في أنعمها، في منافعها إلى يوم الدين!

ابن عاشور: «وجملة: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، بقية قوله، فإنه بعد أن أخبر أنه مهاجر، استشعر قلة أهله وعقم امرأته، وثار ذلك الحاطر في نفسه عند إزماع الرحيل؛ لأن الشعور بقلة الأهل عند مفارقة الأوطان يكون أقوى؛ لأن المرء إذا كان بين قومه كان له بعض السلو بوجود قرابته وأصدقائه...»^٢.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وعن ﴿هَبْ﴾ في الآية وفي الكلام حذف، كما يقول القرطبي، أي هب لي ولداً صالحاً من الصالحين، وحذف مثل هذا كثير. يقول الزمخشري: هب لي بعض الصالحين، يريد الولد؛ لأن لفظ الهبة غلب في الولد، وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾^٣. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ

١. الحج : ٢٦.

٢. تفسير التحرير والتنوير : الآية.

٣. مريم: ٥٣.

وَيَعْقُوبَ...^١ قال عز وجل: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي﴾^٢ وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم - حين هنأه بولده عليّ أبي الأملاك -: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب. ولذلك وقعت التسمية بهبة الله، وبموهوب، ووهب وموهب، ...

ويعقب ابن عاشور على ما ذكره الزمخشري، من أن «لفظ الهبة غلب في الولد»، لعله يعني أن هذا اللفظ غلب في القرآن في الولد: ولا أحسبه غلب فيه في كلام العرب لأنني لم أقف عليه .. هذا أولاً.

وثانياً: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين قصدهم إبراهيم في دعائه، قد يكون طلب واحداً أو جمعاً ممن يتصفون بالصلاح يقف معه ويعينه في مشوار هجرته ودعوته، خاصة وقد نجاه الله تعالى من قومه وحيداً لم ترافقه إلا امرأته ولوط كان معه، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾^٣.

وعن سبب وصفه بأنه من الصالحين، يقول ابن عاشور: «لأنّ نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحاً، فإنّ صلاح الأبناء قرة عين للآباء، ومن صلاحهم برُّهم بوالديهم»^٤.

إنّ من الواضح أنّ دعاءه هذا جاء بعد هجرته من ديار قومه، وبعد سلامته من نار أوقدها له قومه، فنجاه الله تعالى إلى حيث تلك الأرض المباركة: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾. مما يدلّ على أنه لم يرزق الولد في قومه،

١. الأنعام: ٨٤.

٢. الأنبياء: ٩٠.

٣. الأنبياء: ٧١.

٤. انظر التحرير والتنوير: الآية.

وخرج بزوجه الوحيدة سارة، وقد بلغت هي الأخرى عمراً، ليست قادرةً فيه على الإنجاب..

والدليل على أنه طلب الولد، يمكن استفادة ذلك من آية البشارة: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ﴾، فالله تعالى بشره بعد دعائه بالغلام، لعلمه تعالى بموضوع إبراهيم وبرغبته الولد والذرية. وبتحقيق رغبته وما يصبو إليه تتحقق البشارة، وأثرها يكون أوقع في نفسه، وإن كانت زوجته عقيماً..

يقول ابن عاشور: «وكان عمر إبراهيم حين خرج من بلاده نحواً من سبعين سنة، وبعد أن أخبر أنه مهاجر، استشعر قلّة أهله، وعقم امرأته، وثار ذلك الحناط في نفسه عند إزماع الرحيل؛ لأن الشعور بقلّة الأهل عند مفارقة الأوطان يكون أقوى، لأن المرء إذا كان بين قومه كان له بعض السلوّ بوجود قرابته وأصدقائه... ومما يدل على أنه سأل النسل ما جاء في سفر التكوين (الاصحاح الخامس عشر)، «وقال أبرام إنك لم تعطني نسلاً، وهذا ابن بيتي (بمعنى مولاه) وارث لي لأنهم كانوا إذا مات عن غير نسل ورثه مواليه»^١.

البشارة:

مما تفرّد به هذا النبيُّ إبراهيم عليه السلام هو تلك البشائر من قبل السماء حملتها آيات عديدة، تتضمن ما سينعم الله تعالى عليه من ذرية وهو في مرحلة شيخوخته، وامراته عجوز عقيم؛ ولنا أن نتصور، كم كانت فرحة إبراهيم الوحيد المفرد المهاجر المقطوع من أهله وقرابته. لنا أن نتصور فرحته وقد بشرته السماء

١. تفسير الكشاف؛ والجامع لأحكام القرآن؛ والتحرير والتنوير : الآية .

بغلام حليم، وجاءت هذه البشارة في آية واحدة: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾^١

وبغلام عليم؛ وهو ما نجد في المقاطع التالية:

﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ * قَالَ أَبَشِّرْهُنَّ عَلَىٰ أَنْ مَسْنَىٰ الْكِبَرِ فِيمَ تَبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^٢

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَالِمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾^٣

وفي سورة الصافات، جاءت البشارة لإبراهيم باسم المَبَشَّر به وهو إسحاق:

﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^٤

كما أن تلك القصة جاء ذكرها في سورة هود: ٦٩ - ٧٤. إلا أنها بدل البشارة لإبراهيم ﴿بِغُلَامٍ عَالِمٍ﴾، جاءت لزوجته ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، فكانت صريحة بذكر اسم ذلك الغلام العليم مضيئة عليه ابنه من بعده، فيكون حفيداً لإبراهيم.

﴿...وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ ... وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا

١. الصافات : ١٠١.

٢. سورة الحجر: ٥١ - ٥٦ .

٣. سورة الذاريات: ٢٤ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ .

٤. الصافات : ١١٢.

إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

كما أن هذين الشخصين بالاسمين المذكورين وردا في سورة الأنبياء هبةً من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾^١.

ثم إن هذه الهبة حصلت لإبراهيم عليه السلام في هذه الآية الكريمة بعد أمور وقعت لإبراهيم من قومه وما يعبدون من تماثيل، وكيده لها وكيدهم له، يبدأ هذا المقطع من الآية ٥١ حتى الآية ٧٣ من سورة الأنبياء.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾.

وانتهت محاورته مع قومه أن:

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

فتدخلت السماء هنا لتوقف كيدهم هذا:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾.

ولم تكنف السماء بإنقاذه من النار، وتركه بينهم، بل نجتته من أيديهم إلى حيث تلك الأرض البعيدة عنهم:

﴿وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

ثم جاءت الآية ٧١ الأنبياء؛ لتبين نعمة أخرى ألا وهي إسحاق ويعقوب:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾.

يَتَّضِحُ مِنْ هَذَا أَنَّ كُلًّا مِنَ الْبَشَارَةِ تِلْكَ ﴿بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ وَالْهَبَةِ سِوَا تِلْكَ الَّتِي

وَرَدَتْ فِي الْآيَةِ ١٠٠ الصَّافَاتِ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وَهَذِهِ بِ: ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، وَقَعْنَا بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ دِيَارِ قَوْمِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

لَقَدْ اخْتَلَفَتْ آيَاتُ الْبَشَارَةِ، فَاثْنَتَانِ تَبَشِّرَانِهِ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ. الْحَجَرِ: ٥١ ﴿...﴾

وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ: الذَّارِيَاتِ: ٢٨ ﴿... إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾.

وَهُوَ إِسْحَاقُ كَمَا هُوَ صَرِيحُ الْآيَاتِ الْآخَرَى أَعْلَاهُ، وَكَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ مَجْرِيَّاتِ الْقِصَّةِ. وَقَدْ تَوَفَّرَتْ فِيهَا كُلُّ آيَاتِ الْبَشَارَةِ، وَلَكِنْ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ، الْوَارِدَةِ مَرَّتَيْنِ فَقَطْ، وَكَمَا هُوَ وَاضِحٌ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْبَشَارَةِ فِيهَا هُوَ إِسْحَاقُ، وَالْعَجُوزُ الْعَقِيمُ أُمُّهُ سَارَةُ، إِذَنْ فَبُضْمٌ كُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى بَعْضِهَا، نَعْرِفُ أَنَّ الْمُبَشِّرَ بِهِ هُوَ لَيْسَ إِلَّا إِسْحَاقُ، وَهُوَ مَحَلُّ اتِّفَاقٍ؛ لِصَرَاحَةِ الْآيَاتِ وَلِلْقُرَّائِنِ الَّتِي تَوَفَّرَتْ عَلَيْهَا الْمَحَاوِرَةُ، الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَسَارَةَ امْرَأَةَ إِبْرَاهِيمَ كَمَا يُبَيِّنُ فِي سُورَةِ هُودٍ، الْآيَاتِ ٧١-٧٣:

﴿... وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَتَبَسَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾.

وَفِي سُورَةِ الذَّارِيَّاتِ، الْآيَاتِ: ٢٨-٣٠:

﴿... وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

وَمَا وَقَعَ مِثْلُهَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ كَمَا قُصِّ فِي سُورَةِ الْحَجَرِ ٥١-٥٦، فَحُكِيَ هُنَاكَ مَا دَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَارَةَ، وَحُكِيَ هُنَا مَا دَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَالْمَقَامِ وَاحِدٍ، وَالْحَالَةِ وَاحِدَةٍ: الْبَشَارَةُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ وَهُوَ إِسْحَاقُ، وَهَذَا لِاخْتِلَافٍ فِيهِ.

هذا في ما يخصُّ البشارة ﴿بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾.

وأما ﴿بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، فقد ورد لمرة واحدة، وفي آية واحدة فقط

وهي الصافات ١٠١: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾.

وكلُّ ما وقع من اختلاف في الأخبار وبين الأعلام نجده في المقطع القرآني وآياته ٩٩-١١٣ من سورة الصافات، وفيها موضوع البشارة الأولى... والرؤيا... والفداء... فالبشارة الثانية...

﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ...﴾ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ أَلْسَعَى قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى * قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ... * وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * ... وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وقد توفّر هذا المقطع، الذي جاء بعد المقطع من الآية ٨٣ - ٩٨ والذي يتضمن موقف إبراهيم مما يعبد أبوه وقومه، وقد ختم بقولهم: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾.

وهو مثل ختام ذلك المقطع من سورة الأنبياء ٦٨-٧٠.

لقد توفّر هذا المقطع المبارك (الصافات ٩٩-١١٣) على بشارتين، تتوسطهما رؤيا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ثم بفدائه بذبح، وجميعها لم يُتعرض لها إلا في هذا المقطع من سورة الصافات دون غيرها من السور القرآنية ..

يصف سيد قطب هذه الحلقة من حياة وسيرة نبيِّ الله إبراهيم الخليل، وهي حلقة الرؤيا والذبح والفداء، بأنها "مفصلة المراحل والخطوات والمواقف، في أسلوبها الأخاذ وأدائها الرهيب! ممثلة أعلى صور الطاعة والتضحية والفداء والتسليم في عالم

العقيدة في تاريخ البشرية الطويل".^١

أما البشارتان:

فالأولى:

﴿قَبَشَرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾

وقد جاءت بعد دعائه عليه السلام:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

ابن عاشور: والحليم: "الموصوف بالحلم وهو اسم يجمع أصالة الرأي ومكارم الأخلاق والرحمة بالمخلوق. قيل: ما نعت الله الأنبياء بأقل مما نعتهم بالحلم".

أقول: لم يصف القرآن الكريم بالحلم إلا هذا الغلام في الآية المذكورة، وإلا أباه نبي الله إبراهيم ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^٢ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾^٣. أما شعيب فقد وصف من قبل قومه: ﴿..إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾^٤.

"قيل: إنهم قالوا ذلك على وجه الهزؤ والتهكم وأرادوا به ضد ذلك أي السفیه الغاوي عن ابن عباس.

وقيل: إنهم قالوا ذلك على التحقيق أي أنك أنت الحليم في قومك، فلا يليق بك أن تخالفهم.

والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة مستحقها والرشيد المرشد". هذا ما ذكره

١. انظر في ظلال القرآن: الآيات .

٢. التوبة : ١١٤.

٣. هود : ٧٥ .

٤. هود : ٨٧ .

الشيخ الطبرسي في تفسيره.

الشيخ الطبرسي: ثم أخبر سبحانه أنه استجاب لإبراهيم دعاءه بقوله: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾. أي بابتين وقور.. عن الحسن قال: وما سمعت الله تعالى نحل عباده شيئاً أجلاً من الحلم والحليم الذي لا يعجل في الأمر قبل وقته مع القدرة عليه...

القرطبي: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾. أي إنه يكون حليماً في كبره فكأنه بُشِّرَ ببقاء ذلك الولد؛ لأن الصغير لا يوصف بذلك... قال الزجاج: هذه البشارة تدلُّ على أنه مبشَّر بابتين ذَكَرَ، وأنه يبقى حتى ينتهي في السنَّ ويوصف بالحلم..

أبو حيان: وأي حلم أعظم من قوله، وقد عرض عليه أبوه الذبح: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^١.

مكتفية الآية بهذا الوصف، الذي سنرى آثاره على هذا الغلام، دون أن تُبين اسمه، فصار هذا موضع اختلاف.

وأما الرؤيا فهي رؤيا إبراهيم بذبح ذاك الذي وصفته الآية بأنه غلام حليم، بعد أن بُشِّر به، وبعد أن بلغ سنّاً تؤهّله أن يكون شاباً بالغاً عابداً عاملاً منتجاً.. وفي مجمع البيان: ثم أخبر سبحانه أن الغلام الذي بشره به ولد له وترعرع بقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾، أي شبَّ حتى بلغ سعيه سعى إبراهيم عن مجاهد، والمعنى بلغ إلى أن يتصرف ويمشي معه ويعينه على أموره قالوا: وكان يومئذ ابن

١. انظر التحرير والتنوير؛ ومجمع البيان، للطبرسي؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي؛ وتفسير زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)؛ تفسير البحر المحيط، أبو حيان (ت ٧٥٤ هـ).

ثلاث عشرة سنة. وقيل: يعني بالسعي العمل لله والعبادة.^١

والثانية:

﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

إذن فمن المبشّر به؟ ومن هو الذبيح؟!

إنّ البشارة الأولى لنبيّ الله إبراهيم عليه السلام، وتبعاً لها قصة الذبيح، صارت لا فقط موضع اختلاف بين بعض علماء المسلمين وعلماء النصارى، بل موضع اختلاف أيضاً بين علماء المسلمين أنفسهم؛ وقبلهم بين الصحابة والتابعين، وحتى أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد نُسبت إليهم أخبار، يتبين من بعضها أنّ إسحاق هو متعلّق البشارة في سورة الصافات، وهو بالتالي يكون الذبيح، ومنها من تذهب إلى أنّ إسماعيل هو المبشّر به وهو الذبيح.. من هذا يتضح دقّة هذا الموضوع، وصعوبة البتّ به، ولهذا اختلف الأعلام فيه..

فعلما النصارى أجمعوا على أنّ المبشّر به هو إسحاق، وكذا هو الذبيح، والتحق بهم بعض علماء المسلمين، فيما ذهب بعض آخر من علماء المسلمين إلى التفريق بين البشارة بإسحاق، التي حصلت في آيات قرآنية في (سورة الحجر، وهود، والذاريات) والبشارة، التي حصلت في سورة الصافات، والتي هي بإسماعيل.

علماً بأنّ القرآن الكريم سكت في هذا المقطع من سورة الصافات عن بيان ذلك صراحة، مكتفياً بذكر البشارة، التي اختلف في متعلقها أهو إسحاق أو إسماعيل؟ فيما البشارة الواردة في السور الأخرى، كانت تشير إما صراحة وإما من خلال القرائن أنّ المبشّر به هو إسحاق، فلم يقع الاختلاف، إنما وقع في المقطع القرآني من

١. مجمع البيان، للطبرسي.

سورة الصافات؛ لعدم تصريحه لا باسم المَبَشَّر به ولا باسم الذبيح، لكن المقطع المذكور وإن لم يكن صريحاً في ذلك، إلاَّ أنَّ المؤكَّد أنَّ الذبيح هو الغلام المَبَشَّر به في هذا المقطع، والموصوف بالحلم، كما أنَّه لا يخلو من قرائن استُفيد منها للدلالة على أنَّ الغلام الحليم هو إسماعيل، وبما أنه هو المَبَشَّر به، فهو الذبيح بحسب السياق، وهو الملقب بذيبيح الله، ومن ذهب إلى أنَّ البشارة هنا في الصافات لا تختلف عن تلك التي هي في السور الأخرى المذكورة، فيكون المَبَشَّر به عندئذ هو إسحاق، ويحمل الصفتين معاً فهو غلام عليم وهو نفسه غلام حليم، وهو الذبيح.. وهو:

الابن الأكبر لإبراهيم عليه السلام، على رأي القرطبي القائل: "بَشَّرَ ﴿بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، وذلك قبل أن يتزوَّج هاجر، وقبل أن يولد له إسماعيل، وليس في القرآن أنه بَشَّرَ بولد إلاَّ إسحاق".^١

أقول: صحيح أنَّ القرآن الكريم، لم يهتم بمن هو الأكبر منهما، لكن يمكن استفادة ذلك من أنَّ التنزيل العزيز، الذي لم يأت على ذكر الغلامين أو الأخوين النبیین معاً في أي موضع منه، إلاَّ قَدَّمَ ذكر إسماعيل على إسحاق، ولعلَّ من هذا التقديم يُستفاد أنَّ إسماعيل هو الأكبر، لاحظ حين راح إبراهيم يحمّد الله تعالى في الآية ٣٩ من سورة إبراهيم:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

وهذا اعتراف من إبراهيم بنعم الله سبحانه، وراح يحمّد الله تعالى على إحسانه بأن وهب له على الكبر؛ كبر سنّه ولدين. ولعلّه قَدَّمَ ذكر إسماعيل أيضاً؛ لأنّه المعني بمكة وما يخصّ البيت الحرام، فقد

١. الجامع لأحكام القرآن: الآيات في سورة الصافات.

جاءت هذه الآية ضمن سياق آيات يتوفر على مجموعة من أدعيته عليه السلام لمكة والوادي والبيت الحرام..

﴿... وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ

... الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

ولكن التقديم هذا ورد في آيات أخرى أيضاً؛ فعن سؤال يعقوب بنيه، جاءت

الآية ١٣٣ من سورة البقرة:

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

الشيخ الطبرسي: وإنما قدم ذكر إسماعيل على إسحاق؛ لأنه كان أكبر منه، وإسماعيل كان عمَّ يعقوب، وجعله أباً له؛ لأنَّ العرب تسمي العمَّ أباً كما تسمي الجدَّ أباً، وذلك لأنه يجب تعظيمهما كتعظيم الأب؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «ردُّوا عليَّ أبي». يعني العباس عمه.

وفي الإيمان بجميع الرسل والنبين، تأتي الآية ١٣٦ من سورة البقرة:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

والآية ٨٤ من سورة آل عمران:

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٤٠﴾

وفي الحوار حول ابراهيم وولديه وحفيده ، تأتي الآية ١٤٠ من سورة البقرة: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾

وفيما يتعلق بالوحي، تأتي الآية ١٦٣ من سورة النساء : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾

نلاحظ في كل هذه الآيات القرآنية مجيء إسماعيل بعد إبراهيم مباشرة وقبل أخيه إسحاق، حينما يقتربنا في آية..

هذا ويقول الرازي: وإنما ذكر قوله: ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾، لأنَّ المنة بهبة الولد في هذا السنَّ أعظم، من حيث إنَّ هذا الزمان زمان وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة في وقت اليأس من أعظم النعم، ولأنَّ الولادة في تلك السنَّ العالية كانت آية لإبراهيم.. وعلى في قوله: ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾، بمعنى مع كقول الشاعر:

إني على ماترين من كبري	أعلم من حيث يؤكل الكنف
------------------------	------------------------

وهو في موضع الحال ومعناه: وهب لي في حال الكبر.

وقد اختلف في سنَّه هذا، يقول الرازي: اعلم أنَّ القرآن يدلُّ على أنه تعالى إنما أعطى إبراهيم عليه السلام هذين الولدين أعني إسماعيل وإسحاق على الكبر والشيخوخة، فأما مقدار ذلك السن فغير معلوم من القرآن وإنما يرجع فيه إلى الروايات.

والروايات مختلفة، فعن ابن عباس أنَّه قال: ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين، وولد له إسحاق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة، وروي أنه ولد له

إسماعيل لأربع وستين. وإسحاق لتسعين. وعن سعيد بن جبير: لم يولد لإبراهيم إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة.^١

صحيح أن البشارة بأي منهما تريح قلب إبراهيم وتفرحه.. وصحيح أن الابتلاء لإبراهيم بأي منهما أن يكون هو الذبيح، يوجع قلبه، وقد وقع له ذلك وهو في وقت كونه شيخاً كبيراً، فقد جاءه الولد المذكور على كبر سنّه، وهو أحبّ إليه من نفسه، وإذا به يُؤمر بقتله ويده.. لقد كان معروفاً بأنه صاحب الابتلاآت والاختبارات الكثيرة، وعرف بأنه كما وصفته السماء كان خاشعاً مطيعاً لربه فيما أمره وفيما نهاه وفيما ابتلاه.. قائماً بشكر نعمة ربه عليه. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ... * شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ...﴾^٢ لهذا ما من ابتلاء إلا خرج منه وقد سجل فوزاً عظيماً ودرجةً رفيعةً..

لكنّ هذين السؤالين في المقطع القرآني ٩٩-١١٣ من سورة الصافات، صاراً موضع الكلام بين الصحابة والتابعين والمفسرين، فالتفق عليه بينهم في أن المبتلى به، الموصوف بأنه غلام حلیم هو الذبيح، دون أن يذكر اسمه صراحةً، ولعلّ السبب في عدم ذكر الذبيح باسمه، يقول ابن عاشور الذي يذهب إلى أنه إسماعيل: «وقد أشارت هذه الآيات إلى قصة الذبيح ولم يسمه القرآن؛ لعلّه لئلا يثير خلافاً بين المسلمين وأهل الكتاب في تعيين الذبيح من ولدي إبراهيم، وكان المقصد تألف أهل الكتاب لإقامة الحجة عليهم في الاعتراف برسالة محمد ﷺ وتصديق القرآن، ولم يكن ثمة مقصد مهمّ يتعلق بتعيين الذبيح، ولا في تخطئة أهل الكتاب في تعيينه، وأما ذلك أن القرآن سمّى إسماعيل في مواضع غير قصة الذبيح، وسمّى

١. مجمع البيان، للطبرسي؛ تفسير الرازي؛ وتفسير الكشاف، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

٢. النحل: ١٢٠ - ١٢٢.

إسحاق في مواضع، ومنها بشارة أمّه على لسان الملائكة الذين أرسلوا إلى قوم لوط، وذكر اسمي إسماعيل وإسحاق أنهما وهبا له على الكبر، ولم يسم أحداً في قصة الذبيح قصداً للإيهام مع عدم فوات المقصود من الفضل؛ لأن المقصود من القصة التنويه بشأن إبراهيم، فأى ولديه كان الذبيح كان في ابتلائه بذبحه وعزمه عليه، وما ظهر في ذلك من المعجزة تنويه عظيم بشأن إبراهيم.

وقال الله تعالى :

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^١

وقال النبي ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»^٢.

لقد كان ذلك سبباً لاختلافهم في الغلام الحليم؛ أهو إسماعيل أو هو إسحاق، وبالتالي يكون هو الذبيح. ولكل حججه وأدلتها؛ حتى صاروا طوائف ثلاثاً: الطائفة الأولى: لا ذت بالسكوت فلم تبد رأياً ولم ترجح قولاً. وفوّضت علم ذلك إلى الله تعالى؛ ومنها الزجاج فقد قال: الله أعلم أيهما الذبيحين.

ويظهر لي أن الفخر الرازي تبع الزجاج في ذلك، فبعد أن أورد أدلة الفريقين، انتهى إلى التالي: وكان الزجاج يقول: الله أعلم أيهما الذبيح، والله أعلم. ثم قال: واعلم أنه يتفرع على ما ذكرنا اختلافهم في موضع الذبيح، فالذين قالوا: الذبيح هو إسماعيل قالوا: كان الذبيح بمى، والذين قالوا: إنه إسحاق قالوا: هو بالشام وقيل ببيت المقدس، والله أعلم.

جاء رأيه هذا بعد أن أورد ستة أدلة تبناها الفريق القائل بأن إسماعيل هو الذبيح، يقابلها وجهان احتج بهما من قال: إن ذلك الذبيح هو إسحاق، فقد ذكرها

١. العنكبوت : ٤٦.

٢. تفسير التحرير والتنوير : الآية .

في المسألة الثانية، بعد أن ذكر من نسب إليه القول بأن الذبيح هو إسحاق: وهم عمر وعلي والعباس بن عبد المطلب وابن مسعود وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل.

وأما من ذكر أنه إسماعيل، فهم ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي.

قال: واحتج القائلون بأنه إسماعيل بوجوه:

الأول: أن رسول الله ﷺ قال: «أنا ابن الذبيحين».

وقال له أعرابي: يا ابن الذبيحين، فتبسم، فسئل عن ذلك فقال: إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم، نذر لله ثمن سهل الله له أمرها ليزبحن أحد ولده، فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له: افد ابنك بمائة من الإبل، ففداه بمائة من الإبل، والذبيح الثاني إسماعيل.

الحجة الثانية: نقل عن الأصمعي أنه قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عقلك، ومتى كان إسحاق بمكة، وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة؟

الحجة الثالثة: أن الله تعالى وصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾^١.

وهو صبره على الذبح، ووصفه أيضاً بصدق الوعد في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾^٢.

لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به.

١. الأنبياء : ٨٥.

٢. مريم : ٥٤.

الحجة الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

فلو كان الذبيح إسحاق؛ لكان الأمر بذبحه إما أن يقع قبل ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك.

فالأول باطل، لأنه تعالى لما بشرها بإسحاق، وبشرها معه بأنه يحصل منه يعقوب فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الأمر بذبحه، وإلا حصل الخلف في قوله: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

والثاني باطل، لأن قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ يدل على أن ذلك الابن لما قدر على السعي ووصل إلى حد القدرة على الفعل، أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه، وذلك ينافي وقوع هذه القصة في زمان آخر، فثبت أنه لا يجوز أن يكون الذبيح هو إسحاق.

الحجة الخامسة: حكى الله تعالى عنه أنه قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينَ﴾^١.

ثم طلب من الله تعالى ولداً يستأنس به في غربته فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ

الصَّالِحِينَ﴾^٢.

وهذا السؤال إنما يحسن قبل أن يحصل له الولد؛ لأنه لو حصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد، لأن طلب المحاصل محال، وقوله: ﴿هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد، وكلمة من للتبعيض وأقل درجات البعضية الواحد فكأن قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد، فثبت أن هذا السؤال لا يحسن إلا عند عدم كل الأولاد، فثبت أن هذا السؤال وقع حال طلب الولد الأول، وأجمع الناس على أن إسماعيل متقدم في الوجود على إسحاق، فثبت أن

١. الصافات : ٩٩.

٢. الصافات : ١٠٠.

المطلوب بهذا الدعاء وهو إسماعيل، ثم إنَّ الله تعالى ذكر عقيقه قصة الذبيح، فوجب أن يكون الذبيح هو إسماعيل.

الحجة السادسة: الأخبار الكثيرة في تعليق قرن الكبش بالكعبة، فكان الذبيح بمكة. ولو كان الذبيح إسحق كان الذبح بالشام .

واحتج من قال إنَّ ذلك الذبيح هو إسحاق بوجهين:

الوجه الأول: أنَّ أول الآية وآخرها يدل على ذلك، أما أولها فإنه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام قبل هذه الآية أنه قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدَيْنِ﴾، وأجمعوا على أن المراد منه مهاجرته إلى الشام، ثم قال: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾.

فوجب أن يكون هذا الغلام ليس إلاَّ إسحاق، ثم قال بعده: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾. وذلك يقتضي أن يكون المراد من هذا الغلام الذي بلغ معه السعي هو ذلك الغلام الذي حصل في الشام، فثبت أن مقدمة هذه الآية تدل على أن الذبيح هو إسحاق، وأما آخر الآية فهو أيضاً يدل على ذلك، لأنه تعالى لما تم قصة الذبيح قال بعده: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾. ومعناه أنه بشره بكونه نبياً من الصالحين، وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة يدل على أنه تعالى إنما بشره بهذه النبوة لأجل أنه تحمل هذه الشدائد في قصة الذبيح، فثبت بما ذكرنا أن أول الآية وآخرها يدل على أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام.

الحجة الثانية: على صحة ذلك ما اشتهر من كتاب يعقوب إلى يوسف عليه السلام من يعقوب إسرائيل نبي الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله.

فهذا جملة الكلام في هذا الباب، وكان الزجاج يقول: الله أعلم أيهما الذبيح، والله أعلم. واعلم أنه يتفرع على ما ذكرنا اختلافهم في موضع الذبح فالذين قالوا

الذبيح هو إسماعيل قالوا: كان الذبيح بنى، والذين قالوا: إنه إسحاق قالوا هو بالشام وقيل ببيت المقدس، والله أعلم.^١

فيما الطائفة الثانية: لم تفرق بين هذا المقطع وبين المقاطع الثلاثة، وبالتالي جعلت البشارة الواردة فيه وفي جميع المقاطع بإسحاق، وكذا هو الذبيح. ولم ترَ فرقا بين الآيات التي ذكرت فيها البشارة بإسحاق ووصف فيها بأنه غلام عليم، وبين آية الصافات، التي وصف فيها الغلام بأنه غلام حليم.. فلا يرون أن هذا الوصف يدل على أن الغلامين مختلفان. وقد ذكر الرازي حجّتين لمن تبني هذا الرأي. ذكرناهما أعلاه.

فالطبري في تفسيره، وكذا في تاريخه، لا يفرق بين البشارة في السور: هود، الحجر، الذاريات، والتي كانت بإسحاق. وبين البشارة في سورة الصافات، فعنده هي بشارة واحدة وهي بإسحاق دون إسماعيل وإن تعددت مواقعها وسياقاتها.. وبما أن إسحاق هو من بُشّر به، فهو الذبيح أيضاً، وتبعه في هذا عدد من الرواة والمفسرين. وأسند هذا القول لكل من عكرمة وقتادة عن الآية: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، فالأول قال: هو إسحاق. والثاني قال: بشر بإسحاق، قال: لم يُشَنّ بالحلم على أحد غير إسحاق وإبراهيم.

ثم واصل الطبري كلامه حول البشارة بإسحاق حينما تحدث عن قصة الذبيح في قوله: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾. يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم خليل الرحمن لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾، وكان فيما ذكر أن إبراهيم نذر حين بشرته الملائكة بإسحاق ولداً أن

١. تفسير مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (ت ٦٠٦ هـ)؛ سورة الصافات ١٠١-١٠٧. المسألة الثانية، بتصرف بسيط.

يجعله إذا ولدته سارة لله ذبيحاً، فلما بلغ إسحاق مع أبيه السَّعْيَ أُرِيَ إبراهيم في المنام، فقليل له: أوف لله بنذكرك، ورؤيا الأنبياء يقين، فلذلك مضى لما رأى في المنام، وقال له ابنه إسحاق ما قال.

هذا وأن الطبري ذكر كلا القولين في إسحاق وفي إسماعيل، وما ورد فيهما من أخبار، وأخبار مع ذكرها للبشارة والذبح سكنت عن ذكر الاسم، ولكثرتها وخوف الإطالة، أعرضنا عن ذكرها، فلتراجع في محلها.

وخلص أخيراً إلى أن أولى القولين بالصواب في المفدي من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق؛ لأن الله قال: ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾، فذكر أنه فدَى الغلامَ الحليمَ الذي بُشِّرَ به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولداً صالحاً من الصالحين، فقال:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، فإذا كان المفدي بالذبح من ابنه هو المبشَّر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بُشِّرَ به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جل ثناؤه:

﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشير إياه بولد، فإنما هو معني به إسحاق، كان بيئاً أن تبشير إياه بقوله: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن.

ثم واصل كلامه قائلاً: إن الله أخبر جل ثناؤه في هذه الآية عن خليله أن بشَّره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين، لأنه لم يكن له من ابنه إلا إمام الصالحين، وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في

هذا الموضوع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشَّره به، وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان المفديّ هو المبشَّر به. وأمّا الذي اعتلّ به من اعتلّ في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن، فلم يكن جائزاً أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم فإن الله إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد وُلد لإسحاق فيها أولاد، فكيف الواحد؟

وأما اعتلال من اعتلّ بأن الله أتبع قصة المفديّ من ولد إبراهيم بقوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾، ولو كان المفديّ هو إسحاق لم يبشِّر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإن البشارة بنبوّة إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فُدي تكرمه من الله له على صبره لأمر ربّه فيما امتحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبلُ عن ذلك. وأمّا اعتلال من اعتلّ بأن قرن الكبش كان معلقاً في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حُمِل من الشام إلى مكة. وقد رُوي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه^١.

وكذا القرطبي في تفسيره، وقبل أن يبدأ بكلام طويل يتضمن أقوالاً وروايات حول ابني إبراهيم عليهم السلام بخصوص هاتين المسألتين، ذهب إلى أن إسحاق هو الذبيح، نجد هذا فيما ذكره في المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾، لما عرفه الله أنه مخلصه دعا الله ليعضده بولد يأنس به في غربته... قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، أي إنه يكون حليماً في كبره، فكأنه بُشِّر ببقاء

١. تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت ٣١٠هـ)؛ الصافات: ١٠٠-١١٢؛ وتاريخ الطبري ١: ١٥٨-١٦٣.

ذلك الولد؛ لأنَّ الصغير لا يوصف بذلك، فكانت البشرى على ألسنة الملائكة كما تقدّم في «هود». ويأتي أيضاً في «الذاريات».

وفي مواضع أخر راح يذكر الاختلاف، ويؤيد القول الذهاب إلى كون المبشر به والذبيح هو إسحاق، فقال :

وأختلف العلماء في المأمور بذبحه. فقال أكثرهم: الذبيح إسحاق. ومن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وأبنة عبد الله، ثمَّ يقول: وهو الصحيح عنه.

روى الثوريّ وابن جريج يرفعانه إلى ابن عباس قال: الذبيح إسحاق. وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود أنّ رجلاً قال له: يا بن الأشياخ الكرام. فقال عبد الله: ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله ﷺ. وقد روى حماد بن زيد يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال:

«إنَّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ».

روى أبو الزبير عن جابر قال: الذبيح إسحاق. وذلك مروى أيضاً عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وعن عبد الله بن عمر: أنّ الذبيح إسحاق. وهو قول عمر رضي الله عنه. فهؤلاء سبعة من الصحابة.

وقال به من التابعين وغيرهم علقمة والشَّعبي ومجاهد وسعيد بن جبّير وكعب الأحبار وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبي بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهرّيّ والسديّ وعبد الله بن أبي الهذيل ومالك بن أنس، كلهم قالوا: الذبيح إسحاق. وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى، واختاره غير واحد منهم النحاس والطبري وغيرهما.

قال سعيد بن جبّير: أرى إبراهيم ذبح إسحاق في المنام، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة، حتى أتى به المنحر من منى؛ فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن

يذبح الكبش فذبحه، وسار به مسيرة شهر في رَوْحَةٍ واحدة طويت له الأودية والجبال. وهذا القول أقوى في النقل عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين. وقال آخرون: هو إسماعيل. وممن قال ذلك أبو هريرة وأبو الطفيل عامر بن واثلة. وروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس أيضاً، ومن التابعين سعيد بن المسيب والشَّعْبِيّ ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وعلقمة.

وسئل أبو سعيد الضرير عن الذبيح فأنشد:

إِنَّ الذَّبِيحَ هُدَيْتَ إِسْمَاعِيلُ	نَطَقَ الْكِتَابُ بِذَاكَ وَالتَّزْيِيلُ
شَرَفُ بِهِ خَصَّ الْإِلَهُ نَبِيَّنَا	وَأَتَى بِهِ التَّفْسِيرُ وَالتَّأْوِيلُ
إِنْ كُنْتَ أُمَّتَهُ فَلَا تُنْكِرْ لَهُ	شَرَفًا بِهِ قَدْ خَصَّهِ التَّفْضِيلُ

وعن الأصمعي قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عَزَبَ عنك عقلك! ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة.

وروي عن النبي ﷺ أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْمَاعِيلُ.

ويخلص القرطبي إلى أَنَّ الأوَّلَ أَكْثَرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ وَعَنِ التَّابِعِينَ. واحتجوا بأن الله عزَّ وجلَّ قد أخبر إبراهيم حين فارق قومه، فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾^١.

أنه دعا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^١؛ ولأن الله قال: ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾، فذكر أن الفداء في الغلام الحليم الذي بُشِّرَ به إبراهيم وإنما بُشِّرَ بإسحاق؛ لأنه قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾، وقال هنا: ﴿بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، وذلك قبل أن يتزوج هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل، وليس في القرآن أنه بُشِّرَ بولد إلاَّ إسحاق. احتج من قال: إنه إسماعيل: بأن الله تعالى وصفه بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^٢، وهو صبره على الذبح، ووصفه بصدق الوعد في قوله:

﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾؛ لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به؛ ولأن الله تعالى قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾، فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبياً، وأيضاً فإن الله تعالى قال: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب؟ وإيضاً ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة، فدلَّ على أن الذبيح إسماعيل، ولو كان إسحاق لكان الذبيح يقع ببيت المقدس. ثم ردَّ هذه الأدلة الذاهبة إلى أن الذبيح هو إسماعيل بقوله: وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع؛ أما قولهم:

كيف يأمره بذبحه وقد وعده بأن يكون نبياً، فإنه يحتمل أن يكون المعنى: وبشرناه بنبوته بعد أن كان من أمره ما كان؛ قاله ابن عباس... ولعله أمر بذبح إسحاق بعد أن ولد لإسحق يعقوب. ويقال: لم يرد في القرآن

١. مريم : ٤٩.

٢. الأنبياء : ٨٥ .

أن يعقوب يولد من إسحق.

وأما قولهم: ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبيح يقع ببית المقدس، فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدّم.

وقال الزجاج: الله أعلم أيهما الذبيح. وهذا مذهب ثالث...^١

والنحاس يميل إلى أن الذبيح هو إسحاق، يظهر ذلك من ردهً لدليلي بعض أهل العلم على أن الذبيح هو إسماعيل:

الأول: أن إسماعيل كان بمكة وكان الذبيح بمكة. فيقول: وهذا لا يلزم، روي عن ابن عباس أنه قال: كان الذبيح بالشام، وقال عبيد بن عمير: كان بالشام، وإن كان مجاهد قد قال: كان بمكة.

الثاني: وقال بعضهم في القرآن ما يدل على أنه إسماعيل ، قال الله عز وجل: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^٢ فدلّ بهذا على أن إسحاق سيعيش حتى يولد له، فكيف يؤمر بذبحه؟

قال أبو جعفر: وهذا أيضاً لا يثبت حجّة؛ لأنه يجوز أن يؤمر بذبحه، وقد علم أنه يولد له؛ لأنه يجوز أن يحياه الله جلّ وعزّ بعد ذلك.^٣ أقول: إن كان يقصد الطبري، وهو كذلك، فلم أجد فيما تيسر لي قول أبي جعفر هذا باللفظ نفسه لا في تفسيره ولا في تاريخه. وإن كان أبو جعفر يرى أن المبشر به والذبيح هو إسحاق كما ذكرنا.

وأما الطائفة الثالثة: فقد ذهبت إلى أن البشارة في السور الأخرى؛ جاءت

١. تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت ٦٧١هـ)؛ الصافات ١٠٠-١١٢.

٢. هود : ٧١ .

٣. انظر معاني القرآن، للنحاس : الآيات .

بإسحاق، أما البشارة في مقطع سورة الصافات، فهي تعني إسماعيل، وهو الذبيح، ذلك الذي شارك أباه في رفع قواعد البيت الحرام.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^١

فالشيخ مكارم يقول: «وبغضّ النظر عما قيل، فهناك قضية مسلم بها، وهي أنّ الطفل الذي جاء به إبراهيم مع أمّه إلى مكّة المكرّمة بأمر من الله ثمّ تركهما هناك، وساعده من بعد في بناء الكعبة المشرّقة، وأدّى مراسم الطواف والسعي هو إسماعيل، وهذا يدلّ على أنّ الذبيح هو إسماعيل؛ لأنّ عملية الذبح تكمل الأعمال المذكورة...»^٢

ومن أهم أدلة هذه الطائفة:

الآية: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾، التي جاءت بعد ذكر قصة الذبح... والخبر المروي عن الرسول ﷺ أنه قال: ... وانظر الأدلة الستة التي ذكرها الرازي أعلاه: «أنا ابنُ الذبيحين».

ومن هذه الطائفة ابن كثير، وخلاصة قوله: أنّ إسماعيل عليه السلام ولد بشر به إبراهيم عليه السلام، وأتته أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، ففي نصّ كتابهم أنّ إسماعيل عليه السلام ولد لإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة، وعندهم أنّ الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيداً، وفي نسخة أخرى: بكره،

١. البقرة : ١٢٧ .

٢. تفسير الأمثل : الآيات .

فأقحموا ههنا كذباً ومهتاناً إسحاق، ولا يجوز هذا، لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا إسحاق؛ لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك، وحرفوا وحيدك بمعنى: الذي ليس عندك غيره، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى مكة، وهو تأويل وتحريف باطل؛ فإنه لا يقال وحيدك إلا لمن ليس له غيره، وأيضاً فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.

وأما ردُّ ابن كثير على ما ذهب إليه جماعة من أهل العلم، وعلى ما ثقل عن بعض الصحابة من أن الذبيح هو إسحاق، فيقول: وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلم من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل؛ فإنه ذكر البشارة بغلام حلیم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^١،

ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق، قالوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^٣.

أي: يولد له في حياتهم ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل... وأنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله تعالى قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً؟

وإسماعيل وصف ههنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام... وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب في كل وقت يتفقده ولده وأم ولده ببلاد فاران، وينظر في

١. الصافات : ١١٢.

٢. الحجر : ٥٣.

٣. هود : ٧١.

أمرهما، وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعاً إلى هناك، والله أعلم.^١

والشيخ الطبرسي، بعد أن يذكر اختلاف العلماء في الذبيح على قولين:

أحدهما: أنه إسحاق، وروي ذلك عن علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وقتادة، وسعيد بن جبير، ومسروق، وعكرمة، وعطاء، والزهرى، والسدي، والجبائي.

والقول الآخر: أنه إسماعيل، عن ابن عباس، وابن عمر، وسعيد بن المسيب، والحسن، والشعبي، ومجاهد، والربيع بن أنس، والكلبي، ومحمد بن كعب القرظي..

يقول: وكلا القولين قد رواه أصحابنا عن أئمتنا عليهم السلام.

لكنه يقول: إلا أن الأظهر في الروايات أنه إسماعيل. ويعضده قوله بعد قصة

الذبح: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، ومن قال: إنه بشر بنوّة إسحاق، فقد ترك الظاهر، ولأنه قال في موضع آخر:

﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، فبشره بإسحاق وبأنه سيولد

له يعقوب فكيف يبشره بذرية إسحاق ثم يأمره بذبح إسحاق مع ذلك، وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنا ابن الذبيحين»، ولا خلاف أنه من ولد

إسماعيل والذبح الآخر هو عبد الله أبوه. وحجة من قال: إنه إسحاق أن أهل الكتابين أجمعوا على ذلك؛ وجوابه إن إجماعهم ليس بحجة وقولهم غير مقبول.

وروى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال: كنت عند عمر بن

عبد العزيز فسألني عن الذبيح؟ فقلت: إسماعيل. واستدللت بقوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ

نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، فأرسل إلى رجل بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه

وكان يرى أنه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال

١. تفسير القرآن الكريم، لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)؛ الصافات .

إسماعيل. ثم قال: والله يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان من أمر الله فيه ما كان فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأنه أبوهم...^١

والسيد الطباطبائي؛ كان ممن يذهب إلى أن الم بشر به والذبيح هو إسماعيل، يتضح هذا من ردّه لما قاله الطبري، حيث يقول السيد عن هذا المقطع من الصافات: «واعلم أن هذه الآية المتضمنة للبشرى بإسحاق بوقوعها بعد البشرى السابقة بقوله: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، المتعقبة بقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾، إلى آخر القصة ظاهرة كالصريحة أو هي صريحة في أن الذبيح غير إسحاق وهو إسماعيل عليهما السلام».

وقد فصل القول في هذا في سورة الأنعام، في قصة نبيّ الله إبراهيم عليه السلام، وما جاء عن هذا المورد في القرآن الكريم، ولكن بعد أن يردّ ما جاء في التوراة: أن الذبيح هو إسحاق دون إسماعيل عليه السلام بقوله: «مع أن قصة إسكانه بأرض تهامة وبنائه الكعبة المشرفة وتشريع عمل الحج الحامي لما جرى عليه وعلى أمّه من المحنة والمشقة في ذات الله، وقد اشتمل على الطواف والسعي والتضحية، كلّ ذلك تؤيّد كون الذبيح هو إسماعيل دون إسحاق عليهما السلام».

وما وقع في إنجيل برنابا أن المسيح لام اليهود ووبّخهم على قولهم بأنّ الذبيح هو إسحاق دون إسماعيل قال في الفصل ٤٤: «فكلم الله إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل؛ لتقدمه ذبيحة، فكيف يكون إسحاق البكر، وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟»^٢.

١. مجمع البيان : الآيات .

٢. إنجيل برنابا، الفصل ٤٤، آية ١١-١٢.

ثمَّ يقول: «... والمتدبر في الآيات الكريمة «الصفات: ٩٨-١١٣، لا يجد مناصاً دون أن يعترف أن الذبيح هو الذي ذكر الله سبحانه البشارة به في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، وأن البشارة الأخرى التي ذكرها أخيراً بقوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، غير البشارة الأولى، والذي بشر به في الثانية وهو إسحاق عليه السلام غير الذي بشر به في الأولى، وأردفها بذكر قصة التضحية به».

ثمَّ يذكر ما قاله الطبري في تاريخه في الصفحات: ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، وما جاء في تفسيره، وقد ذكرنا قول الطبري أعلاه، ولم يوافق السيد العلامة عليه، حيث قال:

«وليت شعري، كيف خفي عليه أن إبراهيم عليه السلام لما سأل ربَّه الولد عند مهاجرته إلى الشام وعنده سارة ولا خبر عن هاجر يومئذ سأل ذلك بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، فسأل ربَّه الولد، ولم يسأل أن يرزقه ذلك من سارة حتى تحمل البشارة المذكورة عقيقه على البشارة بإسحاق، فإنما قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾، ولم يقل: رب هب لي من سارة؟!

وأما ما ذكره أن المعروف من سائر مواضع كتاب الله هو البشرى بإسحاق، فيجب أن نحمل البشرى في هذا الموضع عليه أيضاً، فيقول عنه:.. هو في نفسه قياس لا دليل عليه، بل الدليل على خلافه؛ فإنَّ الله سبحانه في هذه الآيات لما ذكر البشارة بغلام حلیم، ثم ذكر قصة الذبح، استأنف ثانياً ذكر البشارة بإسحاق، ولا يرتاب المتدبر في هذا السياق أن المبشر به ثانياً غير المبشر به أولاً فقد بشر إبراهيم عليه السلام قبل إسحاق بولد له آخر، وليس إلاَّ إسماعيل، وقد اتفق الرواة والنقلة وأهل التاريخ أن إسماعيل ولد لإبراهيم قبل إسحاق عليهم السلام جميعاً...^١

١. تفسير الميزان: ٢٤٠-٢٤١ في ذيل المقطع من الآية: ٨٣-٧٤ سورة الأنعام، بتلخيص.

وللشيخ الشنقيطي المتوفى في سنة ١٣٩٣هـ، وهي سنة وفاة الشيخ ابن عاشور، موضعان من التنزيل العزيز، يكتفي بهما دليلاً على أن إسماعيل هو المبعث به وهو الذبيح، وهذه خلاصتهما:

أحدهما: سياق آيات الصفات فهي واضحة جداً على ذلك، وإيضاح ذلك أنه تعالى قال عن نبيه إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾** ... كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

ثم قال بعد ذلك عاطفاً على البشارة الأولى: **﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾**. فدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبعث به في الثانية، لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه: فيشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً: **﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾**، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزه عنه كلام الله، وهو واضح في أن الغلام المبعث به أولاً الذي فدي بالذبيح العظيم هو إسماعيل، وأن البشارة بإسحاق نص الله عليها مستقلة بعد ذلك.

ثم يقول:.. إن المقرر في الأصول: أن النص من كتاب الله وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** إذا احتمل التأسيس والتأكيد معاً وجب حمله على التأسيس ولا يجوز حمله على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه، ومعلوم في اللغة العربية أن العطف يقتضي المغايرة، فأية الصفات هذه دليل واضح للمنصف على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق. ويستأنس لهذا بأن المواضع التي ذكر فيها إسحاق يقيناً عبر عنه في كلها بالعلم لا الحلم، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم.

أما الثاني فهو الآية ٧١ من سورة هود: **﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَّ رَتَابَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾**. لأن رسل الله من الملائكة بشرتها بإسحاق، وأن إسحاق يلد يعقوب، فكيف يعقل أن يؤمر إبراهيم بذبحه وهو صغير وهو عنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب؟ فلا ينبغي للمنصف الخلاف في ذلك بعد

دلالة هذه الأدلة القرآنية على ذلك، والعلم عند الله تعالى.^١

أما ابن عاشور فقد أجاد كثيراً لا فقط حين راح يفرّق بين البشارتين، فجعل البشارة بإسحاق بشارة كرامة، فيما البشارة بإسماعيل بشارة استجابة دعاء، يقول: وهذا الغلام الذي بشر به إبراهيم هو إسماعيل ابنه البكر، وهذا غير الغلام الذي بشره به الملائكة، الذين أرسلوا إلى قوم لوط في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَغْلَامٍ عَليمٍ﴾.

فذلك وُصف بأنه ﴿عَليمٍ﴾. وهذا وُصف به: ﴿حَليمٍ﴾. وأيضاً ذلك كانت البشارة به بمحضر سارة أمّه، وقد جعلت هي المبشرة في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ * قَالَتْ: يَا وَيْلَتَى أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا

فتلك بشارة كرامة، والأولى بشارة استجابة دعائه، فلما ولد له إسماعيل تحقق أمل إبراهيم أن يكون له وارث من صلبه. فالبشارة بإسماعيل لما كانت عقب دعاء إبراهيم أن يهب الله له من الصالحين، عطف هنا بفاء التعقيب، وبشارته بإسحاق ذكرت في هذه السورة معطوفة بالواو عطف القصة على القصة.

ثمّ إنه ذكر قبل ذلك أنّ الفاء في: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا﴾ للتعقيب، والبشارة: الإخبار بخير وارد عن قرب أو على بعد؛ فإن كان الله بشر إبراهيم بأنه يولد له ولد، أو يوجد له نسل عقب دعائه كما هو الظاهر، وهو صريح في سفر التكوين في الإصحاح الخامس عشر، فقد أخبره بأنه استجاب له وأنه يهبه ولداً بعد زمان، فالتعقيب على ظاهره؛ وإن كان الله بشره بغلام بعد ذلك حين حملت منه هاجر جاريته بعد خروجه بمدة طويلة، فالتعقيب نسبي، أي بشرناه حين قدرنا ذلك أول

١. تفسير أضواء البيان في تفسير القرآن، الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ).

بشارة بغلام، فصار التعقيب آثلاً إلى المبادرة كما يقال: تزوج فولد له؛ وعلى الاحتمالين، فالغلام الذي بشر به هو الولد الأول الذي ولد له وهو إسماعيل لا محالة. وعن أدلته لما يتبناه من أن المبشّر به والذبيح في سورة الصافات هو إسماعيل، فقد أحسن أيضاً وهو يورد أدلةً عديدةً على ذلك؛ فبعد أن يذكر أنه شاع من أخبار أهل الكتاب أن الذبيح هو إسحاق بن إبراهيم - بناءً على ما جاء في «سفر التكوين» في «الإصحاح» الثاني والعشرين، وعلى ما كان يقصّه اليهود عليهم، ولم يكن فيما علموه من أقوال الرسول ﷺ ما يخالفه ولا كانوا يسألونه - راح يبين أدلته، فيقول: التأمل في هذه الآية يُقَوِّي الظَّنَّ بأنّ الذبيح إسماعيل؛ فإنه ظاهرٌ قويٌّ في أن المأمور بذبحه هو الغلام الحليم في قوله: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، وأنه هو الذي سأل إبراهيم ربّه أن يهب له، فسأقت الآية قصة الابتلاء بذبح هذا الغلام الحليم الموهوب لإبراهيم، ثم أعقبت قصته بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، وهذا قريب من دلالة النص على أن إسحاق هو غير الغلام الحليم الذي مضى الكلام على قصته؛ لأنّ الظاهر أن قوله: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ﴾، بشارة ثانية، وأنّ ذكر اسم إسحاق يدلّ على أنه غير الغلام الحليم الذي أجريت عليه الضمائر المتقدمة. فهذا دليلٌ أول.

الدليل الثاني: أن الله لما ابتلى إبراهيم بذبح ولده؛ كان الظاهر أن الابتلاء وقع حين لم يكن لإبراهيم ابنٌ غيره؛ لأنّ ذلك أكمل في الابتلاء..

الدليل الثالث: أن الله تعالى ذكر: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، عَقَبَ ما ذكر من قول إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، فدلّ على أن هذا الغلام الحليم الذي أمر بذبحه هو المبشّر به استجابةً لدعوته، وقد ظهر أن المقصود من الدعوة أن لا يكون عقيماً يرثه عبيدٌ بيته كما جاء في «سفر التكوين» وتقدم آنفاً.

الدليل الرابع: أن إبراهيم بنى بيتاً لله بمكة قبل أن يبنى بيتاً آخر بنحو أربعين

سنة كما في حديث أبي ذرٍّ عن النبي ﷺ ومن شأن بيوت العبادة في ذلك الزمان أن تقرب فيها القرايين؛ فقربان أعز شيء على إبراهيم هو المناسب لكونه قرباناً لأشرف هيكل. وقد بقيت في العرب سنة الهدايا في الحج كل عام وما تلك إلا تذكرة لأول عام أمر فيه إبراهيم بذبح ولده وأنه الولد الذي بمكة.

الدليل الخامس: أن أعرابياً قال للنبي ﷺ يابن الذبيحين، فعلم مراده وتبسم، وليس في آباء النبي ﷺ ذبيح غير عبد الله وإسماعيل.

الدليل السادس: ما وقع في «سفر التكوين» في الإصحاح الثاني والعشرين أن الله امتحن إبراهيم فقال له: «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هنالك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك»، إلى آخر القصة. ولم يكن إسحاق ابناً وحيداً لإبراهيم فإن إسماعيل وُلد قبله بثلاث عشرة سنة. ولم يزل إبراهيم وإسماعيل متواصلين وقد ذكر في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين عند ذكر موت إبراهيم عليه السلام؛ «ودفنه إسحاق وإسماعيلُ ابناه»، فإحجام اسم إسحاق بعد قوله: ابنك وحيدك، من زيادة كاتب التوراة.

الدليل السابع: قال صاحب «الكشاف»: ويدل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت في حصار ابن الزبير. وقال القرطبي عن ابن عباس: «والذي نفسي بيده، لقد كان أول الإسلام، وأن رأس الكبش لمعلق بقرنيه من ميزاب الكعبة وقد يبس».

قال ابن عاشور: وفي صحة كون ذلك الرأس رأس كبش الفداء من زمن إبراهيم نظر.

الدليل الثامن: أنه وردت روايات في حكمة تشريع الرمي في الجمرات من عهد الحنيفية أن الشيطان تعرض لإبراهيم ليصدّه عن المضي في ذبح ولده، وذلك من مناسك الحج لأهل مكة، ولم تكن لليهود سنة ذبح معين. وذكر القرطبي عن ابن

عباس: أن الشيطان عرض لإبراهيم عند الجمرات ثلاث مرات فرجه في كل مرة بحصيات حتى ذهب من عند الجمرة الأخرى. وعنه: أن موضع معالجة الذبيح كان عند الجمار، وقيل عند الصخرة التي في أصل جبل ثبير بمى.

الدليل التاسع: أن القرآن صريح في أن الله لما بشر إبراهيم بإسحاق قرن تلك البشارة بأنه يولد لإسحاق يعقوب، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾. وكان ذلك بمحضر إبراهيم، فلو ابتلاه الله بذبيح إسحاق؛ لكان الابتلاء صورياً؛ لأنه واثق بأن إسحاق يعيش حتى يولد له يعقوب؛ لأن الله لا يخلف الميعاد. ولما بشره بإسماعيل لم يعده بأنه سيولد له وما ذلك إلا توطئة لابتلائه بذبحه، فقد كان إبراهيم يدعو لحياة ابنه إسماعيل. فقد جاء في «سفر التكوين» الإصحاح السابع عشر: «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك فقال الله: بل سارة تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده». ويظهر أن هذا وقع بعد الابتلاء بذبحه.

الدليل العاشر: أنه لو كان المراد بالغلام الحليم إسحاق؛ لكان قوله تعالى بعد هذا: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ تكريراً؛ لأن فعل: بشرناه بفلان، غالب في معنى التبشير بالوجود.

ثم يختم قائلاً: فإن قلت: فعلام جنحت إليه واستدللت عليه من اختيارك أن يكون الابتلاء بذبح إسماعيل دون إسحاق، فكيف تتأول ما وقع في «سفر التكوين»؟

قلت: أرى أن ما في «سفر التكوين» نُقِلَ مشتملاً غير مرتبة فيه أزمان الحوادث بضبط يعين الزمن بين الذبيح وبين أخبار إبراهيم، فلما نُقِلَ النقلة التوراة بعد ذهاب أصلها عقب أسر بني إسرائيل في بلاد آشور زمن بختنصر، سجلت قضية الذبيح في جملة أحوال إبراهيم عليه السلام وأدمج فيها ما اعتقده بنو إسرائيل في

غربتهم من ظنهم الذبيح إسحاق. ويدل لذلك قول الإصحاح الثاني والعشرين: «وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال خذ ابنك وحيدك» الخ؛ فهل المراد من قولها: بعد هذه الأمور، بعد جميع الأمور المتقدمة أو بعد بعض ما تقدم.^١ فهذه عشرة أدلة وزيادة، أوردها الشيخ ابن عاشور، فيما ذكر ابن القيم أن هناك عشرين دليلاً... لكنني لم أجد لها ذكراً لا في تفسيره ولا فيمن ذكر ذلك عنه، مع حرصي على الوصول إليها.

الروايات:

أقول: إن روايات الفريقين مختلفة، حتى أنها شكلت ثلاث طوائف، طائفة نصّت على إسماعيل، فيما أخرى نصّت على إسحاق، وثالثة لم تصرح بأيهما.^٢ وعن روايات الفريقين يقول العلامة الطباطبائي رحمته الله: «وأما الروايات، فالتى وردت منها من طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تذكر أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام»؛ ولكنه يقول في البحث الروائي من سورة الصافات في الآيات ١٠١-١١٣: «وبهذا المضمون (الذبيح إسماعيل عليه السلام) روايات كثيرة أخرى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد وقع في بعض رواياتهم أنه إسحاق وهو مطروح لمخالفة الكتاب. والتي رويت من طرق أهل السنة والجماعة مختلفة: فصنف يذكر إسماعيل، وصنف يذكر إسحاق عليهما السلام، غير أنك عرفت أن الصنف الأول هو الذي يوافق الكتاب...».

وقد ذكرنا أن الشيخ الطبرسي بعد أن يذكر اختلاف العلماء في الذبيح، وأنهم

١. التحرير والتنوير .

٢. انظر تفسير الطبري: الآيات من سورة الصافات .

على قولين.

يقول: «وكلا القولين قد رواه أصحابنا عن أئمتنا عليه السلام إلا أن الأظهر في الروايات أنه إسماعيل...»^١.

إنه إسحاق:

ففي رواية طويلة تتحدث عن قصة الذبيح: محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم، عن أبيه عن... عن أبي بصير، أنه سمع أبا جعفر وأبا عبد الله عليه السلام يذكران جبرئيل: «... فلما جاءت سارة فأخبرت الخبر، قامت إلى ابنها تنظر، فإذا أثر السكين خدوشاً في حلقه، ففزعت، واشتكت، وكان بدء مرضها الذي هلكت فيه...»^٢.

والعبارة الأخيرة واضحة تشير إلى ابن سارة، وهو إسحاق.

في أصول الكافي علي بن إبراهيم عن... عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «إن الله إرادتين ومشيتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء... وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشية إبراهيم مشية الله.

وفي الكافي عدة من أصحابنا عن جعفر بن إبراهيم عن سعد بن سعد قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «لو علم الله عز وجلّ خيراً من الضأن لفدى به إسحاق».

إنه إسماعيل:

عن داود بن كثير الرقي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيهما كان أكبر:

١. تفسير الميزان؛ تفسير مجمع البيان : الآيات من سورة الصافات.

٢. انظر الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني رحمته الله عن الكافي.

إسماعيل، أو إسحاق، وأيُّهما كان الذبيح؟

فقال: «كان إسماعيل أكبر من إسحاق بخمس سنين، و كان الذبيح إسماعيل، وكانت مكة منزل إسماعيل، و إنما أراد إبراهيم أن يذبح إسماعيل أيام الموسم بمنى، قال: و كان بين بشارة الله إبراهيم بإسماعيل وبين بشارته بإسحاق خمس سنين، أما تسمع لقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾؟ إنما سأل الله عزَّوجلَّ أن يرزقه غلاماً من الصالحين، و قال في سورة الصافات: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، يعني إسماعيل من هاجر. قال: ففدى إسماعيل بكبش عظيم.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ثم قال: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ. يعني بذلك إسماعيل قبل البشارة بإسحاق، فمن زعم أن إسحاق أكبر من إسماعيل، و أن الذبيح إسحاق فقد كذب بما أنزل الله عزَّوجلَّ في القرآن من نبئهما.

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سأل عن صاحب الذبح قال: «هو إسماعيل». وعن زياد بن سوقة عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سألتُه عن صاحب الذبح فقال: «إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ». وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن صاحب الذبح فقال: «هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ».

في الكافي علي بن محمد عن سهل بن زياد عن بعض أصحابه أظنه محمد بن إسماعيل قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «لو خلق الله عزَّوجلَّ مضغة أطيب من الضأن لفدى بها إسماعيل عليه السلام».

وبعض الأخبار اكتفت بذكر الحادثة خالية من الاسمين إسماعيل أو إسحاق.^١

١. انظر تفسير البرهان، وجمع البيان: الآيات. وتفسير نور الثقلين للشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي ٤؛ سورة الصافات؛ رقم: ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٧٥، ٩١. وغيرها.

فالروايات اختلفت في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فمنها ذكرت إسماعيل وأخرى ذكرت إسحاق وثالثة لم تذكر أيهما، وقد ذكرنا أن صاحب مجمع البيان يؤكد هذا الاختلاف في الروايات المنسوبة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام، لكنه يذهب إلى أن الأظهر في الروايات أنه إسماعيل. ويعضده قوله بعد قصة الذبيح: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وكذا هو موقف العلامة الطباطبائي؛ الذهاب إلى أن ما وقع في بعض الروايات أنه إسحاق؛ يعدُّ مخالفاً للكتاب، فيما الصنف الذي يذكر إسماعيل يوافق الكتاب، وبالتالي يطرح ما خالف الكتاب ويأخذ بما وافقه.

فيما عدَّ الشيخ مكارم تلك الروايات القائلة بأن إسحاق هو الذبيح شاذة، وأنها متأثرة بالإسرائيليات أو أنها من وضع اليهود؛ حيث يقول: «... وفي مقابل هذه الروايات الكثيرة المتناسبة مع ظاهر الآيات القرآنية، هناك روايات شاذة تدلُّ على أن إسحاق هو المقصود (بذبيح الله) ولا تتطابق مع روايات المجموعة الأولى ولا مع ظاهر الآيات القرآنية».

ويقول أيضاً: «... إن كتاب (التوراة) الحالي والمعروف بالعهد القديم يؤكد على أن الذبيح كان إسحاق».

هنا يستشف أن بعض الروايات الإسلامية غير المعروفة، والتي تؤكد على أن إسحاق هو (ذبيح الله) متأثرة ببعض الروايات الإسرائيلية، ويحتمل أن اليهود وضعوها، وذلك لأنهم من ذرية (إسحاق)، وقد حاولوا نسب هذا الفخر لهم، حتى ولو كان عن طريق تزيف الوقائع والحقائق، وسلبه من المسلمين الذين كان نبيهم نبي الرحمة أحد أحفاد إسماعيل.

على أية حال، فإن ظواهر آيات القرآن الكريم هي أقوى دليل لنا، إذ توضّح بصورة كافية، أن الذبيح هو إسماعيل، رغم أنه لا فرق بالنسبة لنا إن كان

الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فالإثنان هما أبناء إبراهيم عليه السلام، وكلاهما من أنبياء الله العظام، ولكن الهدف هو توضيح هذه الحادثة التاريخية^١.

﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾

في معاجم اللغة: من الفعل فَدَاه يَفْدِي فِدًىً وَفِدَاءً: اسْتَنْقَذَهُ بِمَالٍ أَوْ غَيْرِهِ فَخَلَّصَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ، يُقَالُ: فَدَاهُ بِمَالِهِ وَفَدَاهُ بِنَفْسِهِ فَهُوَ فَادٌ وَالْجَمْعُ: فُدَاةٌ. وَالْمُسْتَنْقَذُ: مَفْدِيٌّ. الْفِدَاءُ: مَا يُقَدَّمُ مِنْ مَالٍ وَنَحْوِهِ؛ لِتَخْلِيصِ الْمَفْدِيِّ، وَجَعَلَ الشَّيْءَ مَكَانَ الشَّيْءِ لِدَفْعِ الضَّرَرِ عَنْهُ.. وَالذَّبْحُ مُصَدَّرُ ذَبَحْتُ وَالذَّبْحُ أَيْضاً مَا يَذْبَحُ وَهُوَ الْمُرَادُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَهُوَ الْمَذْبُوحُ وَمَا يَذْبَحُ وَمَعْنَاهُ أَنَا جَعَلْنَا الذَّبْحَ بَدَلاً عَنْهُ كَالْأَسِيرِ يَفْدَى بِشَيْءٍ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾، الذَّبْحُ اسْمُ الْمَذْبُوحِ وَجَمْعُهُ ذُبُوحٌ، كَالطَّحْنِ اسْمُ الْمُطْحُونِ. وَالذَّبْحُ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ.

وكذا ابن عاشور:... وَالذَّبْحُ بِكَسْرِ الذَّالِ: الْمَذْبُوحُ وَوزنُ فِعْلٍ بِكَسْرِ الْفَاءِ وَسُكُونِ عَيْنِ الْكَلِمَةِ يَكْثُرُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ مِمَّا اشْتَقَّ مِنْهُ مِثْلُ: الْحَبِّ وَالطَّحْنِ وَالْعِدْلِ.

وَالْفِدَى وَالْفِدَاءُ: إِعْطَاءُ شَيْءٍ بَدَلاً عَنْ حَقٍّ لِلْمَعْطَى، وَيُطْلَقُ عَلَى الشَّيْءِ الْمَفْدَى بِهِ مِنْ إِطْلَاقِ الْمَصْدَرِ عَلَى الْمَفْعُولِ.

وإِعْرَاباً الْوَاوُ: عَاطِفَةٌ، وَفَدَيْنَاهُ: فَعْلٌ وَفَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ؛ وَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى نَادِيْنَاهُ، وَبِذْبَحٍ: جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِفَدَيْنَاهُ، وَالذَّبْحُ: اسْمٌ مَا يَذْبَحُ كَبِشاً كَانَ أَمْ وَعِلاً.

ابن عاشور: وَجُمْلَةُ ﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾ يَظْهَرُ أَنَّهَا مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي خَاطَبَ اللَّهُ بِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَالْمَعْنَى: وَقَدْ فَدَيْنَا ابْنَكَ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ، وَلَوْلَا هَذَا التَّقْدِيرُ تَكُونُ حِكَايَةُ نَدَاءِ

١. انظر تفسير الأمثل للشيخ مكارم الشيرازي : الآيات .

الله إبراهيم غير مشتملة على المقصود من النداء، وهو إبطال الأمر بذبح الغلام.

وأسند الفداء إلى الله؛ لأنه الآذن به، فهو مجاز عقلي، فإن الله أوحى إلى إبراهيم أن يذبح الكبش فداء عن ذبح ابنه، وإبراهيم هو الفادي بإذن الله، وابن إبراهيم مُفْدًى.

﴿بَذِيحٌ﴾

وإن تعددت أقوالهم في الذبح؛ سواء أكان من الضأن وجده إبراهيم مهياً بفعل ربّه وإرادته؛ ليذبحه بدلاً من الغلام الحليم. أو هو الكبش الذي تقبله الله من هابيل حين قربه إليه، أو هو كبش أملح انحط من الجبل، ونودي إبراهيم فالتفت إليه فأخذه فذبحه، أو هو كبش أبيض أقرن أعين، ما إن التفت إبراهيم حتى وجده.. وفيه قال ابن عباس: لقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكباش، أو هو كبش أرسله الله من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفاً. أو هو الذي تقرب به هابيل بن آدم إلى الله تعالى فقبله، وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله تعالى به إسماعيل، أو فدي بوعل أهبط عليه من ثبير، أو هو كبش من الغنم وكفى.. وفي رواية عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن كبش إبراهيم عليه السلام ما كان لونه قال: «أملح أقرن، ونزل من السماء على الجبل الأيمن من مسجد منى بحيال الجمرة الوسطى، وكان يعيش في سواد، ويأكل في سواد، وينظر في سواد، ويعبر في سواد، ويبول في سواد».

﴿عَظِيمٌ﴾

فإن المهم أن التنزيل العزيز وصفه أنه ﴿عَظِيمٌ﴾ وقد فدي به إسماعيل، وبعد أن ذبحه تصدق بلحمه على المساكين، فصار عمله عليه السلام هذا سنةً ومنسكاً مباركاً...

وعظيم: صفة لذبح، أي عظيم القدر ولم يرد عظيم الجنة؛ وإنما عَظُمَ قَدْرُهُ لأنه كان من عند الله كَوْنَهُ ولم يكن عن نسل. وقيل: لأنه فداء عبد عظيم، أو لأنه فَدَى به الذَّبِيح، أو لأنه مُتَقَبَّلٌ. أو لأن قدر غيره من الكباش يصغر بالإضافة إليه، أو لأنه رعى في الجنة أربعين خريفاً...

قال النحاس: عظيمٌ في اللغة يكون للكبير وللشريف. وأهل التفسير على أنه هاهنا للشريف، أو المتقبل..

وعن تفسير الرازي:.. وأما قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾، فقيل: سمي عظيماً لعظمه وسمنه، وقال سعيد بن جبير حق له أن يكون عظيماً وقد رعى في الجنة أربعين خريفاً، وقيل: سمي عظيماً لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداءً عن ولد إبراهيم..

ابن عاشور: ووصفه بـ ﴿عَظِيمٌ﴾، بمعنى شرف قدر هذا الذَّبِيح، وهو أن الله فَدَى به ابن رسولٍ وأبقى به من سيكون رسولاً فعظمه بعظم أثره، ولأنه سخره الله لإبراهيم في ذلك الوقت وذلك المكان.^١

لقد صار ذلك الغلام المبشّر به من قبل السماء، موضوعاً لرؤيا أبيه، وأي رؤيا؛ رؤيا نبيٍّ تتساوى بحقه يقظته ونومه، فكما يقظته حقٌّ فمناحه وما يرى فيه حقٌّ أيضاً، هكذا هو حكم الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم دون غيرهم من الناس؛ لهذا صارت قصة الذَّبِيح في هذا المقطع من الصافات، لا فقط تاريخاً يُقرأ، بل أثراً يُتبع، ومنسكاً يُؤدى من قبل المسلمين في كلِّ عام، عبر فقه مفصل، إنه فقه الأضاحي، الذي أوجب على الحجيج التضحية في يوم يُعدُّ من أكبر الأعياد، وقد أخذ اسمه من تلك القصة، إنه يوم النحر، وإنه عيد الأضحى المبارك؛ والأضحية:

١. المعجم الوسيط، الفاء؛ مجمع البيان، للطبرسي؛ إعراب القرآن الكريم، ٨ : ٢٩٦؛ الجامع لأحكام القرآن؛ تفسير مجمع البيان؛ وتفسير الرازي؛ وتفسير ابن كثير؛ والتحرير والتنوير، وغيرها: الآية.

جمع أضاحٍ وأضاحي، سميت بأول أزمنة فعلها، الضحوة والضحى، ما يذبح من النعم في أول أزمنة فعلها؛ وهو الضحى من اليوم العاشر من ذي الحجة، قربة إلى الله تعالى، يقول الشيخ الطبرسي: «ضحى الشمس صدر وقت طلوعها وضحى النهار صدر وقت كونه وأضحى يفعل كذا إذا فعله في وقت الضحى وضحى بكبش أو غيره إذا ذبحه في وقت الضحى من أيام الأضحى ثم كثر ذلك حتى لو ذبح في غير ذلك الوقت ل قيل ضحى»^١.

كلُّ هذا راح يذكرنا بمعاناة ذلك النبيِّ العظيم، ووحدته، وهجرته، وبدعائه، وبشارته، وبفرحته، وهو يرى ابنه وقد صار شاباً يملأ العيون قوَّةً وحركةً وجمالاً، وتبليته لنداء ربِّه حينما أبلغته السماء عبر رؤية صادقة لا ريب فيها، راح يبلغ ابنه بها؛ ليُشركه في الأمر، وحتى «لا يأخذ ابنه على حين غرة لينفذ إشارة ربِّه وينتهي، إنما يعرض الأمر عليه.. فابنه ينبغي أن يعرف، وأن يأخذ الأمر طاعةً وإسلاماً، لا قهراً واضطراباً؛ لينال هو الآخر أجر الطاعة ويتذوق حلاوة التسليم».

وينطق الغلام الحليم، امتثالاً وطاعةً وتسليماً في حوارية رائعة صريحة:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى
قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

إنَّ موقف إبراهيم لموقف ما أعظمه! تتجسد فيه عظمة إيمانه وجلالة طاعته، وصدق تسليمه المطلق لله تعالى، عبر بلاء مبین... كيف لا؛ وهو «الشيخ المقطوع من الأهل والقراية. المهاجر من الأرض والوطن. ها هو ذا يرزق في كبرته وهرمه بغلام. طالما تطلع إليه. فلما جاءه جاء غلاماً ممتازاً يشهد له ربُّه بأنه حليم. وها هو ذا ما يكاد يأنس به، وصباه يتفتح، ويبلغ معه السعي، ويرافقه في الحياة... ها هو ذا ما

١. مجمع البيان، سورة الشمس : ١.

يكاد يأنس ويستروح بهذا الغلام الوحيد، حتى يرى في منامه أنه يذبحه...». فجاءت تلبيته عليه السلام لإشارة من ربه بالتضحية سريعةً دون توقف أو تردد، كما أنه لا يلبي في انزعاج، ولا يستسلم في جزع، ولا يطيع في اضطراب... كلاًّ إنما هو القبول والرضى والطمأنينة والهدوء. يبدو ذلك في كلماته لابنه، وهو يعرض عليه الأمر الهائل في هدوء وفي اطمئنان عجيب، قال: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾.

فجاء جواب ابنه الغلام الحليم امتثالاً وتسليماً وتصديقاً لرؤيا أبيه، وهو بموقفه هذا يرتقي إلى ذاك الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه، ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. وأيضاً يقول سيد قطب: وعرف الله من إبراهيم وإسماعيل صدقهما، فاعتبرهما قد أديا وحققا وصدقًا.

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

قد صدقت الرؤيا وحققتها فعلاً. فالله لا يريد إلاّ الإسلام والاستسلام بحيث لا يبقى في النفس ما تكنه عن الله أو تعزه عن أمره أو تحتفظ به دونه، ولو كان هو الابن فلذة الكبد، ولو كانت هي النفس والحياة. وأنت يا إبراهيم قد فعلت، جدت بكل شيء، وبأعز شيء، وجدت به في رضى وفي هدوء وفي طمأنينة وفي يقين. فلم يبق إلاّ اللحم والدم. وهذا ينوب عنه ذبح. أي ذبح من دم ولحم! ويفدي الله هذه النفس التي أسلمت وأدت. يفديها بذبح عظيم...

ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى، ذكرى لهذا الحادث العظيم الذي يرتفع منارة لحقيقة الإيمان، وجمال الطاعة، وعظمة التسليم...

الزمخشري: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾، وإنما كان يصدقها لو صحّ منه الذبح،

ولم يصحّ قلت: قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح: من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقة، ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه، وهذا لا يقدح في فعل إبراهيم عليه السلام، ألا ترى أنه لا يسمى عاصياً ولا مفرطاً، بل يسمى مطيعاً ومجتهداً، كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم، وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل، ولا قبل أوان الفعل في شيء، كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه.

فإن قلت:

الله تعالى هو المفتدي منه: لأنه الأمر بالذبح، فكيف يكون فادياً حتى قال:

﴿وَقَدَّيْنَاهُ؟﴾

قلت:

الفادي هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والله عزّ وجلّ وهب له الكبش ليفدى به وإنما قال: ﴿وَقَدَّيْنَاهُ﴾، إسناداً للفداء إلى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته.

فإن قلت:

فإذا كان ما أتى به إبراهيم من البطح وإمرار الشفرة في حكم الذبح. فما معنى الفداء، والفداء إنما هو التخليص من الذبح ببدل؟

قلت:

قد علم بمنع الله أن حقيقة الذبح لم تحصل من فرى الأوداج وإنهار الدم، فوهب الله له الكبش؛ ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس إسماعيل، ولكن في نفس الكبش بدلاً منه.

فإن قلت:

فأي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة، وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من

إبراهيم مقام الذبح من غير نقصان؟

قلت:

الفائدة في ذلك أن يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وإيجاد المأمور به من كل وجه...

الطبرسي: «وقد استدل بهذه الآية من أجاز نسخ الشيء قبل وقت فعله، فقال: إن الله تعالى نهاه عن ذبحه بعد أن أمره به وقد أجيب عن ذلك بأجوبة: أحدها: أنه سبحانه لم يأمر إبراهيم بالذبح الذي هو فري الأوداج، وإنما أمره بمقدمات الذبح من الإضجاع وتناول المذبة وما يجري مجرى ذلك، والعرب قد تسمى الشيء باسم مقدماته ولهذا قال: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾، ولو كان أمره بالذبح؛ لكان إنما صدق بعض الرؤيا.

وأما الفداء بالذبح فلما كان يتوقعه من الأمر بالذبح ولا يمتنع أيضاً أن يكون فدية عن مقدمات الذبح؛ لأنّ الفدية لا يجب أن تكون من جنس المفدى، ألا ترى أنّ حلق الرأس قد يفدى بدم ما يذبح، وكذلك لبس الثوب المخيط والجماع وغير ذلك.

وثانيها: أنه عليه السلام إنما أمر بصورة الذبح وقد فعله؛ لأنه فرى أوداج ابنه، ولكنه كلما فرى جزءاً منه وجاوزه إلى غيره عاد في الحال ملتحمًا.

فإن قلت: إنّ حقيقة الذبح هو قطع مكان مخصوص تزول معه الحياة. فالجواب: إنّ ذلك غير مسلم؛ لأنه يقال: ذبح هذا الحيوان ولم يمت بعد، ولو سلمنا أنّ حقيقة الذبح ذلك؛ لكان لنا أن نحمل الذبح على المجاز للدليل الدال عليه. وثالثها: أنّ الله تعالى أمره بالذبح، إلّا أنه سبحانه جعل على عنقه صفحة من نحاس، وكلما أمر إبراهيم السكين عليه لم يقطع، أو كان كلما اعتمد على السكين، انقلب، على اختلاف الرواية فيه. وهذا التأويل يسوغ إذا قلنا إنه كان مأموراً بما

يجري مجرى الذبح، ولا يسوغ إذا قلنا: إنه أمر بحقيقة الذبح؛ لأنه يكون تكليف لما لا يطاق...».

ابن عاشور: فمعنى ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ قد فعلتَ مثل صورة ما رأيت في النوم أنك تفعله. وهذا ثناء من الله تعالى على إبراهيم بمبادرته لامتنال الأمر ولم يتأخر ولا سأل من الله نسخ ذلك.

والمراد: أنه صدق ما رآه إلى حدٍّ إمرار السكين على رقبة ابنه، فلما ناداه جبريل بأن لا يذبحه كان ذلك الخطابُ نسخاً لما في الرؤيا من إيقاع الذبح، وذلك جاء من قبل الله لا من تقصير إبراهيم، فإبراهيم صدَّق الرؤيا إلى أن نهاه الله عن إكمال مثاها، فأطلق على تصديقه أكثرها أنه صدَّقها، وجُعِلَ ذبح الكبش تأويلاً لذبح الولد الواقع في الرؤيا.^١

وفي قصة الذبيح حكايات عديدة، كان منها:

أن إبراهيم عليه السلام لما أراد ذبحه قال: يا بني خذ الحبل والمديّة، وانطلق بنا إلى الشعب نختطب، فلما توسطوا شعب ثبير أخبره بما أمر به. فقال: يا أبت اشدّد رباطي فيّ كيلاً أضطرب، واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فتراه أمّي فتحزن، واستحد شفرتك وأسرع إمرارها على حلقي؛ ليكون أهون فإن الموت شديد، واقرأ على أمّي سلامي، وإن رأيت أن ترد قميصي على أمّي فافعل، فإنه عسى أن يكون أسهل لها. فقال إبراهيم عليه السلام: نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ثم أقبل عليه

١. انظر في ظلال القرآن؛ والكشاف، للزمخشري؛ ومجمع البيان، للطبرسي؛ وتفسير التحرير والتنوير: الآيات.

يقبله وقد ربطه وهما يبكيان، ثم وضع السكين على حلقه، فقال: كُني على وجهي، فإنك إذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة، وقد تحول بينك وبين أمر الله سبحانه وتعالى ففعل، ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت السكين ونودي يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا.

وفي رمي الجمرات

ذكرت روايات وأخبار عديدة، وهي تدور حول الأساس التاريخي لهذا الرمي وبسبع حصيات، فغدا ذلك الذبح الذي منشؤه رؤيا إبراهيم عليه السلام واستجابة ابنه، وهذا الرمي من أعمال منى في فريضة الحج، ومن هذه الروايات:

ما جاء عن ابن عباس: خرج عليه كبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفاً، فأرسل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه، واتبع الكبش فأخرجه إلى الجمرة الأولى، فرماه بسبع حصيات، ثم أفلته عندها، فجاء إلى الجمرة الوسطى فأخرجه عندها، فرماه بسبع حصيات، ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات، فأخرجه عندها، ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه، فو الذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الإسلام، وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد حش، يعني: يبس.

وعنه: إن إبراهيم لما أمر بالمناسك، عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه، فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم تله للجبين، ...

وعنه: «أن الشيطان عرض لإبراهيم عند الجمرات ثلاث مرات، فرجه في كل مرة بمحصات حتى ذهب من عند الجمرة الأخرى.

وعنه: أن موضع معالجة الذبح كان عند الجمار وقيل عند الصخرة التي في

أصل جبل ثبير بمنى.. فالشيطان تعرّض لإبراهيم ليصدّه عن المضيّ في ذبح ولده...». وفي رواية طويلة في قصة توبة آدم عليه السلام عن أبي عبد الله عليه السلام، نكتفي منها بمقطع رمي الجمرات بعد أن أخرجه جبرئيل إلى منى فبات بها، فلما أصبح أخرجه إلى عرفات،... وعلمه الكلمات التي تلقاها من ربّه، وهي: «سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم...». ثم رده إلى مكة فأتى به إلى الجمرة الأولى، فعرض له إبليس عندها، فقال: يا آدم، أين تريد؟ فأمره جبرئيل أن يرميه بسبع حصيات، وأن يكبر مع كل حصاة تكبيرة ففعل، ثم ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثانية، فأمره أن يرميه بسبع حصيات، فرمى وكبر مع كل حصاة تكبيرة ثم ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثالثة، فأمره أن يرميه بسبع حصيات ويكبر عند كل حصاة، فرمى وكبر مع كل حصاة تكبيرة، فذهب إبليس لعنه الله. وقال له جبرئيل: إنك لن تراه بعد هذا اليوم أبداً، فانطلق به إلى البيت الحرام، وأمره أن يطوف به سبع مرات، ففعل. فقال له: إن الله قد قبل توبتك، وحلت لك زوجتك...^١

إذن الاختبار تمّ، والبلاء المبين حصل، ذلك الذي يتميز فيه المخلص من غيره، وهو ابتلاء وامتحان لإبراهيم في صدق الخلّة لله، وبتضحية أعزّ عزيز لديه، وأحب محبوب عنده، كل ذلك لأمر ربّه تعالى...، وقد اجتازه وابنه الآخر المبتلى أيضاً بهذا البلاء المبين بمجدارة، فنالا أجراً واسعاً، وثناءً عظيماً، وعاقبةً مباركةً، وبشائرٍ خيرٍ، وذريةً صالحةً.. إنه جزاء أولئك المحسنين، أن قبول إحسانهم بإحسان

١. انظر التفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛ تفسير مجمع البيان، للطبرسي؛ تفسير ابن كثير؛ وتفسير البرهان، للشيخ هاشم الحسيني البحراني (ت ١١٠٧هـ).

أعظم، وجزاء أوفر، وثناء أجمل، وجميعها كتب لها الذكر الموصوف بالخلود، تستذكرها الأجيال ما دامت حيّةً باقيةً وإلى قيام الساعة، فكان ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ حقاً.

يقول سيد قطب: فهو مذكور على توالي الأجيال والقرون. وهو أمة. وهو أبو الأنبياء وهو أبو هذه الأمة المسلمة. وهي وارثة ملته. وقد كتب الله لها، وعليها قيادة البشرية على ملة إبراهيم. فجعلها الله له عقباً ونسباً إلى يوم الدين.^١ وتنتظر الأجيال ما مضى منها وما هو آتٍ ثوابها في الآخرة: ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾.

كيف لا يحصل إبراهيم على كل هذا، وعلى ما ستذكره الآيات الآتية؟! و «عملية ذبح الابن البار المطيع على يد أبيه - كما يقول الشيخ مكارم - لا تعدّ عملية سهلة وبسيطة بالنسبة لأب انتظر فترة طويلة كي يرزقه الله بهذا الابن، فكيف يمكن إماتة قلبه تجاه ولده؟ والأكثر من ذلك استسلامه ورضاه المطلق - من دون أي إنزعاج - لتنفيذ هذا الأمر، وتنفيذه كافة مراحل العملية من بدايتها إلى نهايتها، بصورة لا يغفل فيها عن أي شيء من الاستعداد لعملية الذبح نفسياً وعملياً».

ثم يقول أيضاً: «والذي يثير العجب أكثر هو التسليم المطلق لهذا الغلام أمام أمر الله، إذ استقبل أمر الذبح بصدر مفتوح وإطمئنان يحفّه اللطف الإلهي، واستسلام في مقابل هذا الأمر؛ لذا فقد ورد في بعض الروايات أن جبرئيل هتف «الله أكبر» «الله أكبر» أثناء عملية الذبح لتعجبه». فيما هتف إسماعيل «لا إله إلا الله، والله أكبر».

١. في ظلال القرآن : الآية .

ثم قال إبراهيم «الله أكبر والله الحمد»

ثم يواصل الشيخ كلامه قائلاً: «وهذه العبارات تشبه التكبيرات التي نرددها في يوم عيد الأضحى.

ولكي لا يبقى برنامج إبراهيم ناقصاً، وتتحقق أمنية إبراهيم في تقديم القربان لله، بعث الله كبشاً كبيراً إلى إبراهيم؛ ليزججه بدلاً عن ابنه إسماعيل، ولتصير سنةً للأجيال القادمة، التي تشارك في مراسم الحج، وتأتي إلى أرض منى»^١.
وأخيراً، انظر كيف ختمت قصة البلاء المبين بمقطع قرآني جميل ومبارك، يتضمن رضاه تعالى عن إبراهيم عليه السلام، وسلامه عليه، وثناءه عليه، وبشارته الأخرى له وبركاته الدائمة...

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ *

وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾^٢.

ابن عاشور:... إنا نجزي المحسنين كذلك التصديق، أي مثل عظمة ذلك التصديق نجزي جزاءً عظيماً للمحسنين، أي الكاملين في الإحسان، أي وأنت منهم ولما يتضمنه لفظ الجزاء من معنى المكافأة ومماثلة المجزي عليه، عظم شأن الجزاء بتشبيهه بمشبه مشار إليه بإشارة البعيد المفيد بُعداً اعتبارياً، وهو الرفعة وعظم القدر في الشرف، فالتقدير: إنا نجزي المحسنين جزاءً كذلك الإحسان الذي أحسنت به بتصديقك الرؤيا، مكافأة على مقدار الإحسان، فإنه بذل أعز الأشياء عليه في طاعة ربه، فبذل الله إليه من أحسن الخيرات التي بيده تعالى، فالمشبه والمشبه به معقولان،

١. تفسير الأمثل، للشيخ مكارم الشيرازي : الآيات .

٢. الصافات ١٠٨-١١٣ .

إذ ليس واحد منهما بمشاهد، ولكنهما متخيَّلان بما يتسع له التخيُّل المعهود عند المحسنين مما يقتضيه اعتقادهم في وعد الصادق من جزاء القادر العظيم، قال تعالى:

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾، ولَمَّا أفاد اسم الإشارة من عظمة الجزاء، أكَّد الخبر بـ: «إِنَّ» لدفع توهم المبالغة، أي هو فوق ما تُعْهده في العظمة وما تُقدِّره العقول وفهم من ذكر المحسنين أنَّ الجزاء إحسان بمثل الإحسان، فصار المعنى: إنا كذلك الإحسان العظيم الذي أحسنته نجزي المحسنين، فهذا وعد بمراتب عظيمة من الفضل الرباني، وتضمن وعد ابنه بإحسان مثله من جهة نوط الجزاء بالإحسان، وقد كان إحسان الابن عظيمًا ببذل نفسه وقد أكَّد ذلك بمضمون جملة: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ ابْتِلَاءُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي هذا التكليف الذي كلفناك هو الاختبار البين، أي الظاهر دلالة على مرتبة عظيمة من امتثال أمر الله، واستعمل لفظ البلاء مجازاً في لازمه وهو الشهادة بمرتبة مَنْ لو اختُبر بمثل ذلك التكليف؛ لعلَّتْ مرتبته في الطاعة والصبر وقوة اليقين.

وجملة: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ ابْتِلَاءُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في محل العلة لجملة: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾...

ونختم هذا بما ذكره سيد قطب في تفسيره: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، سلام عليه من ربِّه. سلام يسجل في كتابه الباقي. ويرقم في طوايا الوجود الكبير. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، كذلك نجزيهم بالبلاء، والوفاء، والذكر، والسلام، والتكريم، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهذا جزاء الإيمان، وتلك حقيقته فيما كشف عنه البلاء المبين.

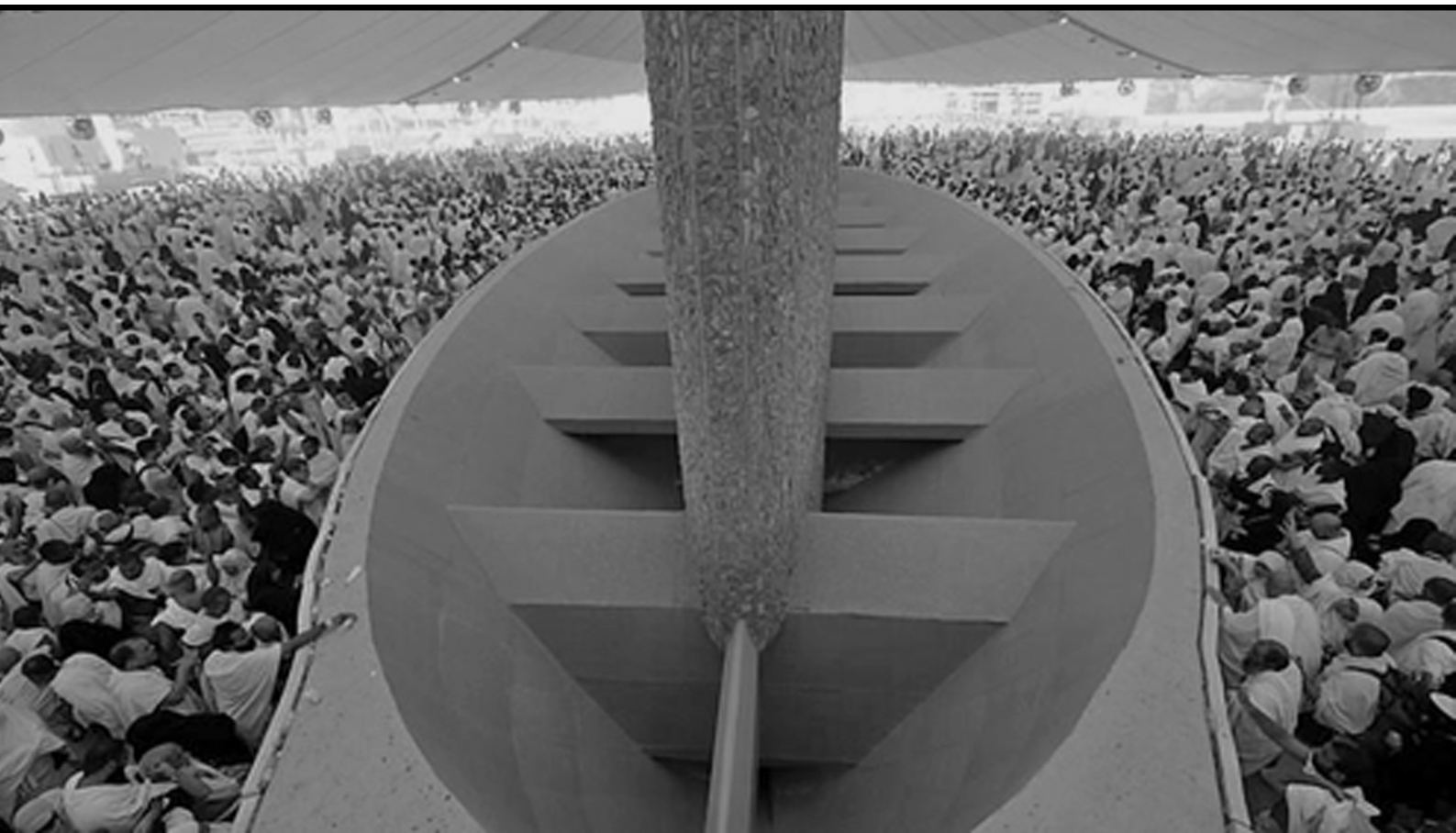
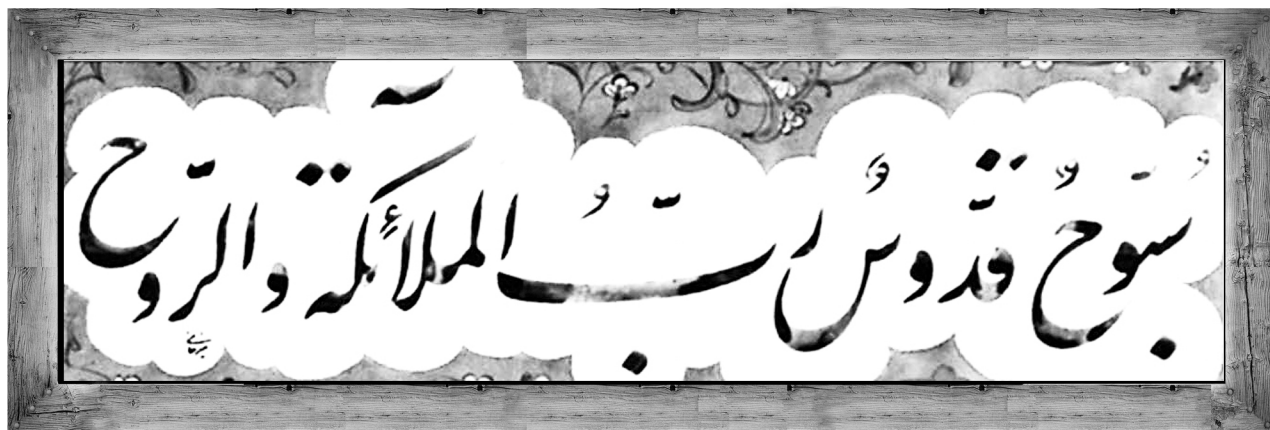
ثم يتجلّى عليه ربّه بفضله مرةً أخرى ونعمته، فيهب له إسحاق في شيخوخته، ويباركه ويبارك إسحاق، ويجعل إسحاق نبياً من الصالحين.

﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾. وتتلاحق من بعدهما ذريتهما، ولكن وراثه هذه الذرية لهما ليست وراثه الدم والنسب، إنما هي وراثه الملة والمنهج: فمن اتبع فهو محسن، ومن انحرف فهو ظالم لا ينفعه نسب قريب أو بعيد: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾.^١

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى



١. انظر في ظلال القرآن : الآيات.





فَضَائِلُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ

فِي تَرَاثِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (١٠)

محمد علي المقدادي

تمهيد:

بفضل من الله سبحانه وتعالى نواصل ما ذكرناه في الأعداد: (٣٧) إلى (٤٥) من هذه المجلة حول ما يتعلق بفضائل حرمي مكة والمدينة، اللذين احتلت فضائلهما وأحكامهما وآدابهما مساحةً واسعةً في التراث الإسلامي، وعند جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، وبالذات فيما وصل إلينا من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، والتي تتميز بأنها الأفضل والأصح؛ لأنها

تصدر عن الثقل الثاني بعد التنزيل العزيز، اللذين هما مصدر العقيدة والتشريع، وفقاً لما جاء به الحديث النبوي المعروف بحديث الثقلين، الذي رواه أصحاب الصحاح والمسانيد عن النبي الأكرم ﷺ بألفاظ عديدة لكنها متقاربة، منها: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله؛ وعترتي أهل بيتي»^١.

«إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^٢.

وكيف لا تتوفر للحرمين تلك المساحة اللائقة، وهما يشكلان وجودين مباركين في حياة المسلمين في دينهم ودنياهم؛ لما يتمتعان به من خصائص نفتقدها في غيرهما، ولما أسند إليهما من دور في بناء الإنسان المسلم روحياً وأخلاقياً واجتماعياً...، ولما سنّ لهما وخاصةً للحرم المكي بمواقفته المتعددة من شرائع ومناسك وآداب بين ما يجب على المسلم أدائه، وما ينبغي ويستحب له ذلك، حين تواجهه فيهما في فريضة أو مستحب يؤديه، وأيضاً لفريضة الحج، وهي السبب الأهم، حين أذن لها نبي الله إبراهيم عليه السلام، بأمر من الله سبحانه وتعالى، فأحيا به

١. كمال الدين، الشيخ الصدوق : ٢٣٨؛ بحار الأنوار ٢٩ : ٣٤٠؛ مسند الرضا عليه السلام، داود بن سليمان الغازي : ٢٠٣.

٢. أنظر التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ للشيخ منصور علي ناصف، من علماء الأزهر الشريف ١: ٤٧؛ كتاب الإسلام والإيمان. ٣: ٣٤٨ كتاب الفضائل، وغيره من المصادر.

هذه البلاد يوم أن بث فيها الخير والعطاء، وغدا الناس يأتونها من كل مكان في عالمنا قديماً وحديثاً، ومنذ ذلك الوقت الذي شرع فيه منسك الحج المبارك، وصار يؤديه أنبياء وصالحون... وما زال وسيبقى هذا المنسك يتوجه نحوه المسلمون والمؤمنون لأدائه، حتى يأذن الله تعالى بنهاية دار الابتلاء والتكاليف، فينتقل الجميع إلى دار الجزاء والأجر والثواب.

فقداسة الحرمين الشريفين «مكة المكرمة و المدينة المنورة» وما لهما من وظائف جليلة، أمرٌ أجمع عليه أهل التوحيد، مما جعلهما محلّ اهتمام أحاديث كثيرة ومواقف جليلة لأهل البيت عليه السلام، وهم الأدري بفضائل هذين الحرمين، وما لهما من دور كبير ومبارك في حياة المسلمين في البناء الإيماني لهم، أو الروحي والأخلاقي، فضلاً عما تتركه مناسك الحج واجتماعه السنويّ الحاشد من آثار في ثقافتهم، وتوحيد صفوفهم، وما يتمخض من منافع جليلة.. وقد شكلت تلك الأحاديث والأقوال والمواقف تراثاً كبيراً، صار مورد عناية ودراسة من قبل المسلمين، وبالذات أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام، على المستوى الفقهي والروحي والخلقي... ونحن هنا نقتبس ما يتيسر لنا منه، وبما يتعلق بفضائل هذين الحرمين المباركين مكة والمدينة، وننشره إن شاء الله تعالى على شكل حلقات في هذه المجلة.

١٨. بقية الأماكن الشريفة المتبركة بمكة المكرمة:

وقبل أن نتعرف على تلك الأماكن المتبركة المتواجدة في مكة المكرمة أنقل لكم بعض ما أمر به أهل بيت النبوة عليه السلام من اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وآله ومن خلال

ذلك نعرف الظالمين الذين خربوا تلك الآثار وصدّوا عن سبيل الله...
قال الصادق عليه السلام: «إنّه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد في دين الله، بهوى ولا رأي ولا مقاييس، فأتبعوا آثار رسول الله ﷺ وسنته، فخذوا بها».
وقال الصادق عليه السلام: «أيتها العصابة عليكم بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته وآثار الأئمة الهداة من أهل البيت وسنتهم، فإنّه من أخذ بذلك فقد اهتدى، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلّ».^١

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام في العلّة التي من أجلها كلّف الله العباد الحجّ: «أنّه جعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا، ولينزع كلّ قوم من التجارات [من بلد] إلى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجّمّال، ولتعرف آثار رسول الله ﷺ، وتعرف أخباره، ويذكر ولا ينسى».^٢

وقال عليه السلام أيضاً في خبر الحلبي: «هل أتيتم مسجد قبا أو مسجد الفضيف أو مشربة أم إبراهيم؟ فقلت: نعم، فقال: إنه لم يبق من آثار رسول الله صلى الله عليه وآله شيء إلاّ وقد غير غير هذا».^٣

الأول: زيارة محل مولد رسول الله ﷺ، وكان مسجداً مقابل سوق الليل

ولد النبي صلى الله عليه وآله لاثنتي عشر ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال ، وروي أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة. وحملت به أمه في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى وكانت في منزل

١. هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، الحر العاملي ١ : ٢٥.

٢. المصدر نفسه ٥ : ٨.

٣. جواهر الكلام، الشيخ محمد حسن ٢٠ : ١٠٨؛ الوسائل الباب ١٢ من أبواب المزار.

عبد الله بن عبد المطلب وولدت له في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً، يصلي الناس فيه. وبقي بمكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى المدينة ومكث بها عشر سنين...^١

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن رفاعه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان عبد المطلب يفرش له بفناء الكعبة لا يفرش لأحد غيره، وكان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذه، فأهوى بعضهم إليه لينحيه عنه، فقال له عبد المطلب: دع ابني فإن الملك قد أتاه».^٢

... الرابع: يستحب صوم يوم مولد النبي، ويوم مبعثه، ويوم الغدير، ويوم دحو الأرض؛ أما الأول: فالمشهور أنه سابع عشر ربيع الأول.^٣
... ومنها: صوم يوم مولد النبي صلى الله عليه وآله، السابع عشر من ربيع الأول. وقول الكليني: إنه الثاني عشر، ضعيف.^٤

... المسألة الثامنة: ومما عده بعضهم من المستحبات: إتيان بعض المواضع المتبركة بمكة، كمولد رسول الله صلى الله عليه وآله، ... ولما بذل والدي العلامة - شكر الله مساعيه الجميلة - جهده الشريف في تحقيق تلك الأماكن بمكة وبيانها فنذكر هنا ترجمة ما

١. الكافي، الشيخ الكليني ١ : ٤٣٩.

٢. المصدر نفسه ١ : ٤٤٨.

٣. غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، الميرزا القمي ٦ : ٦٥؛ إعلام الوري بأعلام الهدى: ١٣؛ بحار الأنوار ١٥ : ٢٤٨؛ الدرر النجفية : ٦٧.

٤. كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء ٤ : ٥١؛ الكافي ١ : ٤٣٩.

ذكره في ذلك المقام في المناسك المكية، قال - طيب الله مضجعه - : ... ثم قال ﷺ: وفي مكة أماكن شريفة أخرى في إتيانها فضل كامل: ... ومنها: مولد النبي ﷺ، وهو في سوق الليل، وله قبة معروفة، وأصل موضع التولد شبيه بجوف ترس، وعليه منارة من الخشب، يستحب إتيانه، وصلاة التحية فيه، وطلب الحاجة...^١.

وفي خبر العريضي، ركب أبي وعمومتي إلى أبي الحسن عليه السلام وقد اختلفوا في الأيام التي تصام في السنة وهو مقيم بقرية قبل مسيره إلى سر من رأى. فقال ﷺ لهم: «جئتم تسألون عن الأيام التي تصام في السنة فقالوا: ما جئناك إلا لهذا. فقال ﷺ: اليوم السابع عشر من ربيع الأول وهو اليوم الذي ولد فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)...». وعن المفيد في مسار الشيعة اليوم السابع عشر من ربيع الأول كان مولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يزل الصالحون من آل محمد ﷺ على قديم الأوقات يعظمونه ويعرفون حقه ويرعون حرمة ويتطوعون بصيامه، قال: وروي عن أئمة الهدى ﷺ: أنهم قالوا: «من صام يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول وهو مولد سيدنا رسول الله ﷺ كتب الله له صيام سنة».^٢

الثاني: مسجد الأرقم، تأتية وتصلية فيه وتدعو لمن أحببت. ومنها: إتيان مسجد الأرقم، ويقال للدار التي هو فيها: دار الخيزران، وفيه استتر رسول الله ﷺ في أول الإسلام.^٣

مستحبات مكة المكرمة: يستحب مؤكداً للحاج، مدة بقائه بمكة المكرمة عدة

١. مستند الشيعة، المحقق النراقي ١٣ : ٩٥.

٢. جواهر الكلام ١٧ : ٩٨.

٣. الدروس، الشهيد الأول ١ : ٤٦٨.

أمور: ... إتيان مسجد الأرقم (راقم) والصلاة فيه.^١

الثالث: منزل خديجة، وفيه ولدت فاطمة الزهراء عليها السلام. وفيه نام الإمام علي عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله، عندما تأمرت قريش على قتله

ومنها: إتيان منزل خديجة الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسكنه وخديجة به، وفيه ولدت أولادها منه صلى الله عليه وآله وفيه توفيت، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله مقيماً به حتى هاجر، وهو الآن مسجد.^٢

... المسألة الثامنة: ومما عده بعضهم من المستحبات: إتيان بعض المواضع المتبركة بمكة، كمولد رسول الله صلى الله عليه وآله، ... ولما بذل والذي العلامة - شكر الله مساعيه الجميلة - جهده الشريف في تحقيق تلك الأماكن بمكة وبينها فنذكر هنا ترجمة ما ذكره في ذلك المقام في المناسك المكية، قال - طيب الله مضجعه - : ... ثم قال - قدس سره - : وفي مكة أماكن شريفة أخرى في إتيانها فضل كامل: منها: دار خديجة، التي هي دار الوحي ومولد سيدة نساء العالمين، وهي في سوق الصباغين، الذي هو قرب سوق الصفا والمروة، واقعة في يمين من يمشي من الصفا إلى المروة، ولها قبة معروفة، ويتصلها مسجد، يستحب إتيانها، وصلاة التحية فيها، وطلب الحوائج والمسألة.

ومنها: مولد النبي صلى الله عليه وآله، وهو في سوق الليل، وله قبة معروفة، وأصل موضع التولد شبيه بجوف ترس، وعليه منارة من الخشب، يستحب إتيانه، وصلاة التحية فيه، وطلب الحاجة.

١. مناسك الحج، السيد الكلبيكاني : ١٦٨.

٢. الدروس، الشهيد الأول ١ : ٤٦٨.

ومنها: قبر خديجة ، وهو في مقابر معلاة ، قريب بانتهاء المقابر في سفح الجبل، وله قبة معروفة ، أصل القبة بيضاء وحيطانها صفراء ، وتستحب زيارتها. وكذا زيارة آمنة أمّ الرسول صلى الله عليه وآله، وقبرها قريب من قبر خديجة في فوّهة بقليل، من يمين من يصعد من مكة إلى الجبل. وزيارة أبي طالب عليه السلام والد أمير المؤمنين عليه السلام، وعبد المطلب جدّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقبرهما فوق قبر خديجة وآمنة، ويدور عليهما حائط ليس بينه وبين الجبل إلاّ حظيرة اشتهر أنه مدفن بعض الصوفية، الذي يعتقد أهل السنة.

وللحظيرة - التي دفن فيها أبو طالب وعبد المطلب - باب من يمين من يصعد من جانب قبر خديجة إلى الجبل.

وفي الجانب المقابل للباب من هذه الحظيرة حظيرة أخرى أرفع من تلك الحظيرة، وفي قبلته محراب، وفي مقابل الباب قبر أبي طالب وعبد المطلب. وهنا قبر آخر متصل بالحائط في يمين الباب، بعضهم يقولون: أنه قبر عبد مناف، ولكنه لم يعلم. انتهى كلامه رفع مقامه.^١

وفي الدروس: استحباب إتيان مولد رسول الله ﷺ وهو الآن مسجد في زقاق يسمى زقاق المولد، وإتيان منزل خديجة الذي كان رسول الله ﷺ يسكنه وخديجة، وفيه ولدت أولادها منه، وفيه قد توفيت، ولم يزل رسول الله ﷺ مقيماً به حتى هاجر، وهو الآن مسجد أيضاً.^٢

٧...- إتيان منزل خديجة الذي كان رسول الله ﷺ يسكنه معها بعد تزوجه

١. مستند الشيعة، المحقق النراقي ١٣ : ٩٥.

٢. جواهر الكلام ٢٠ : ٦٩.

منها وفيه ولدت له أولادها منه، ومنهم الصديقة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وتوفيت فيه، وهو الآن مسجد أيضاً فيصلي فيه ويدعو.^١

وعن علي عليه السلام قال: «دعاني رسول الله وهو بمنزل خديجة عليها السلام ذات ليلة فلما صرت إليه قال: اتبعني يا علي! فما زال يمشي وأنا خلفه ونحن نخرق دروب مكة حتى أتينا الكعبة وقد أنام الله تعالى كل عين فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي! قلت: لبيك يا رسول الله. قال: اصعد على كتفي ثم انحنى النبي فصعدت على كتفه فقلبت الأصنام على رؤوسها ونزلت وخرجنا من الكعبة حتى أتينا منزل خديجة عليها السلام فقال لي: أول من كسر الأصنام جدك إبراهيم عليه السلام ثم أنت يا علي آخر من كسر الأصنام فلما أصبح أهل مكة وجدوا الأصنام منكوسة مكبوتة على رؤوسها فقالوا ما فعل هذا بأهتنا إلا محمداً وابن عمه ثم لم يقم في الكعبة صنم...»^٢.

وأما منزل خديجة فإنه يعرف بها اليوم اشتراه معاوية فيما ذكر فجعله مسجداً يصلّي فيه، وبناه على الذي هو عليه اليوم ولم يغير.^٣

الرابع: الغار الذي في جبل حراء، وهو مصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله أول مبعثه

الإمام أبو محمد العسكري عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تواطأت اليهود على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله في طريقه على جبل حراء وهم سبعون، فعمدوا إلى سيوفهم فسموها، ثم قعدوا له ذات [يوم] غلس في طريقه على جبل حراء. فلما صعد، صعدوا إليه، وسلوا سيوفهم، وهم سبعون رجلاً من أشد اليهود وأجلدهم وذوي النجدة

١. مناسك الحج، السيد الكلبي، ١٦٨.

٢. الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي: ٩٧.

٣. بحار الأنوار ٢٢ : ١٦٧، نقلاً عن المنتقى في مولد المصطفى، الباب الثامن.

منهم، فلما أهوا بها إليه ليضربوه بها التقى طرفا الجبل بينهم وبينه فانضما، وصار ذلك حائلاً بينهم وبين محمد ﷺ، وانقطع طمعهم عن الوصول إليه بسيوفهم، فغمدوها فانفرج الطرفان بعد ما كانا انضما فسلوا بعد سيوفهم وقصدوه.

فلما هموا بإرسالها عليه انضم طرفا الجبل، وحيل بينهم وبينه فغمدوها، ثم ينفرجان فيسلونها إلى أن بلغ [إلى] ذروة الجبل، وكان ذلك سبعاً وأربعين مرة، فصعدوا الجبل وداروا خلفه ليقصدوه بالقتل، فطال عليهم الطريق، ومد الله عز وجل الجبل فانطوى عنه حتى [فرغ] رسول الله ﷺ من ذكره وثنائه على ربه واعتباره بعبده.

ثم انحدر عن الجبل وانحدروا خلفه ولحقوه وسلوا سيوفهم [عليه] ليضربوه بها، فانضم طرفا الجبل وحال بينهم وبينه فغمدوها، ثم انفرج فسلوها، ثم انضم فغمدوها، وكان ذلك سبعاً وأربعين مرة [كلما انفرج سلوها، فإذا انضم غمدوها].

فلما كان في آخر مرة وقد قارب رسول الله ﷺ القرار، سلوا سيوفهم [عليه] فانضم طرفا الجبل، وضغطهم الجبل ورضضهم، وما زال يضغطهم حتى ماتوا جميعاً. ثم نودي: يا محمد انظر إلى خلفك وإلى من بغي بك السوء ماذا صنع بهم ربهم، فنظر فإذا طرفا الجبل [مما يليه] منضمان، فلما نظر انفرج الجبل، وسقط أولئك القوم وسيوفهم بأيديهم وقد هشمت وجوههم وظهورهم وجنوبهم وأفخاذهم وسوقهم وأرجلهم وخروا موتى تشخب أوداجهم دماً.

وخرج رسول الله ﷺ من ذلك الموضع سالماً مكفياً مصوناً محوطاً، تناديه الجبال وما عليها من الأحجار والأشجار: هنيئاً لك يا محمد بنصرة الله عز وجل لك على أعدائك بنا، وسينصرك [الله] إذا ظهر أمرك على جبارة أمتك وعتاتهم بعلي بن أبي طالب، وتسديده لإظهار دينك، وإعزازة وإكرام أوليائك وقمع أعدائك، وسيجعله تاليك وثانيك، ونفسك التي بين جنبيك، وسمعك الذي (به) تسمع، وبصرك

الذي به تبصر، ويدك التي بها تبطش، ورجلك التي عليها تعتمد، وسيقضي عنك ديونك، ويفي عنك بعداتك، وسيكون جمال أمتك، وزين أهل ملتك، وسيسعد ربك عزوجل به محبيه، ويهلك به شائتيه»^١.

وروي أن جبرئيل أخرج قطعة ديباج فيه خط فقال: «اقرأ، قلت: كيف أقرأ ولست بقارئ؟ إلى ثلاث مرات فقال في المرة الرابعة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم أنزل الله جبرئيل وميكائيل عليهما السلام ومع كل واحد منهما سبعون ألف ملك، وأتى بالكراسي ووضع تاج على رأس محمد صلى الله عليه وآله وأعطى لواء الحمد بيده فقال: اصعد عليه واحمد الله، فلما نزل عن الكرسي توجه إلى خديجة عليها السلام فكان كل شيء يسجد له ويقول بلسان فصيح: السلام عليك يا نبي الله، فلما دخل الدار صارت الدار منورة فقالت خديجة عليها السلام: وما هذا النور! قال: هذا نور النبوة قولي لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقالت: طال ما قد عرفت ذلك، ثم أسلمت، فقال: يا خديجة إني لأجد برداً، فدرت عليه فنام فنودي: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ الآية، فقام وجعل إصبعه في أذنه وقال: الله أكبر الله أكبر، فكان كل موجود يسمعه يوافقه»^٢.

فأما حديث مجاورته صلى الله عليه وآله بحراء فمشهور، وقد ورد في الكتب الصحاح: «أنه صلى الله عليه وآله كان يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من حراء كان أول ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى جاءت السنة التي أكرمه الله تعالى فيها بالرسالة فجاور في حراء

١. مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني ١ : ٢٩٩؛ بحار الأنوار ١٧ : ٣١٣.

٢. المناقب، ابن شهر آشوب ١ : ٤٣.

في شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعلي بن أبي طالب وخادم لهم، فجاءه جبرئيل بالرسالة»، قال ﷺ: جاءني وأنا نائم بنمط فيه كتاب فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ ففتني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾...^١

عيون أخبار الرضا ﷺ: عن مولانا الرضا، عن أبيه، صلوات الله عليهما قال: «أول سورة نزلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ - الخ، وآخر سورة نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

وفي رسالة النعماني قال أمير المؤمنين ﷺ: «أول ما أنزل الله من القرآن بمكة: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وأول ما أنزل بالمدينة سورة البقرة».^٢

عن سعيد بن المسيّب، عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «سألت النبي صلى الله عليه وآله عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء، فأول ما نزل عليه بمكة فاتحة الكتاب، ثم اقرأ باسم ربك، ثم نون، إلى أن قال: وأول ما نزل بالمدينة سورة البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران، ثم الأحزاب، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم إذا زلزلت، ثم الحديد، ثم سورة محمد، ثم سورة الرعد، ثم سورة الرحمن، ثم هل أتى، إلى قوله: فهذا ما نزل بالمدينة، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: جميع سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، وجميع آيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وست وثلاثون آية، وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائتان وخمسون حرفاً، ولا يرغب في تعلم

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ١٥ : ٣٦٣؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٣: ٢٠٨.

٢. مستدرک سفینه البحار، الشيخ علي التمازي ٨: ٤٥١.

القرآن إلا السعداء، ولا يتعهّد قراءته إلا أولياء الرحمن»^١.

الخامس: جبل أبي قبيس، تأتية تبركاً بمناسبة انشقاق القمر لرسول الله ﷺ حين دعا وهو عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك سورة القمر: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

...إن انشقاق القمر لرسول الله ﷺ كان ظاهراً في حياته ومشهوراً في عصره وزمانه. وقد أنكر ذلك جماعة من المعتزلة وغيرهم من أهل الملل والملحدة وزعموا أن ذلك من توليد أصحاب السير ومؤلفي المغازي وناقلي الآثار وليس يمكنه أن يدعي على من خالف فيما ذكرناه علم الاضطراب وإنما يعتمد على غلطهم في الاستدلال. فما يؤمنه أن يكون النبي ﷺ قد نص على نبي من بعده وإن عرى من العلم بذلك على سبيل الاضطراب؟ وبم يدفع أن يكون قد حصلت له شبهات حالت بينه وبين العلم بذلك كما حصل لخصومه فيما عددناه ووصفناه؟ وهذا ما لا فصل فيه.^٢

وقال الراوندي: «...كثير من تلك المعجزات لا يمكن فيها الحيل، مثل انشقاق القمر، وحديث الاستسقاء، وإطعام الخلق الكثير من الطعام اليسير، وخروج الماء من بين الأصابع، والأخبار بالغائبات قبل كونها، ومجيء الشجرة ثم رجوعها إلى مكانها لا تتم الحيلة فيها. وإنما تتم الحيلة في الأجسام الخفيفة التي تحدث بالتفكك والفسر وغير ذلك، ولا يتم مثله في الشجر والجبل، لأنه لو كان لوجب أن يشاهد»^٣. ما ظهر له صلى الله عليه وآله شاهداً على حقيقته من المعجزات السماوية،

١. مسند الإمام علي عليه السلام ١ : ٢٥٥.

٢. الفصول المختارة، الشيخ المفيد: ٢١؛ بحار الأنوار ١٠ : ٤١٠.

٣. الحرائج والجرائح، القطب الراوندي ٣ : ١٠٣٠.

والغرايب العلوية، من انشقاق القمر، و ردّ الشمس وحبسها، وإظلال الغمامة، وظهور الشهب، ونزول الموائد والنعم من السماء، وما يشاكل ذلك زائداً على ما مضى في باب جوامع المعجزات الآيات: ﴿اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾.

تفسير: قال الطبرسي رحمه الله: اقتربت الساعة؛ أي قربت الساعة التي تموت فيها الخلائق، وتكون القيامة. والمراد فاستعدوا لها قبل هجومها؛ وانشق القمر، قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فلقتين، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله ربه أن يعطيه ما قالوا؛ فانشق القمر فلقتين، ورسول الله صلى الله عليه وآله ينادي:

يا فلان، يا فلان، اشهدوا». وقال ابن مسعود: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله شقتين، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا، اشهدوا». وروي أيضاً عن ابن مسعود أنه قال: والذي نفسي بيده لقد رأيت الحراء بين فلقي القمر.^١

وعن أنس: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وآله أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما، رواه عن أنس قتادة.^٢

تفسير علي بن إبراهيم: ﴿اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾، قال: قربت القيامة، فلا يكون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا القيامة، وقد انقضت النبوة والرسالة. قوله: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، فإن قريشاً سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يريهم آية،

١. بحار الأنوار ١٧ : ٣٤٦.

٢. المصدر نفسه ١٧ : ٣٥٠.

فدعا الله فانشق القمر بنصفين، حتى نظروا إليه، ثم التأم...

أقول: رواية انشقاق القمر بنصفين بدعائه متواترة بين العامة والخاصة، فراجع تفاسيرهم. وكان قبل الهجرة بثلاث سنين.

قال الرازي في هذه الآية: المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، ودلت الأخبار الصحاح عليه في إمكانه، لا يشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق عليه السلام فيجب اعتقاد وقوعه، وحديث امتناع الخرق والإلتيام حديث اللثام، وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السماوات. انتهى^١.

(بحث روائي): في تفسير القمي، ﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾؛ قال: اقتربت القيامة فلا يكون بعد رسول الله ﷺ إلا القيامة، وقد انقضت النبوة والرسالة. وقوله: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، فإن قريشاً سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يريهم آية فدعا الله فانشق القمر نصفين، حتى نظروا إليه ثم التأم فقالوا: هذا سحر مستمر أي صحيح. وفي أمالي الشيخ بإسناده عن عبيد الله بن علي، عن الرضا عن آبائه عن علي عليه السلام قال: «انشق القمر بمكة فلقطين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اشهدوا اشهدوا».

أقول: ورد انشقاق القمر لرسول الله صلى الله عليه وآله في روايات الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كثيراً وقد تسلمه محدثوهم والعلماء من غير توقف^٢.
...آية شق القمر بيد النبي صلى الله عليه وآله بمكة قبل الهجرة باقتراح من المشركين مما تسلمها المسلمون بلا ارتياب منهم. ويدل عليها من القرآن الكريم دلالة ظاهرة قوله تعالى: ﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا

١. مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي ٦ : ١٧.

٢. تفسير الميزان ١٩ : ٥٩.

وقال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: تأريخ وقوع هذه المعجزة: من الواضح أنه لا خلاف بين المفسرين ورواة الحديث حول حدوث ظاهرة شق القمر في مكة وقبل هجرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، لكن الذي يستفاد من بعض الروايات هو أن حدوث هذا الأمر كان في بداية بعثة الرسول صلى الله عليه وآله. في حين يستفاد من البعض الآخر أن حدوث هذا الأمر قد وقع قرب هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وفي آخر عهده بمكة، وكان استجابة لطلب جماعة قدموا من المدينة لمعرفة الحق وأتباعه، إذ أنهم بعد رؤيتهم لهذه المعجزة آمنوا وبإيعوا رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة.

ونقرأ في بعض الروايات أيضاً أن سبب اقتراح شق القمر كان من أجل المزيد من الاطمئنان بمعاجز الرسول صلى الله عليه وآله، وأنها لم تكن سحراً لأن السحر عادة يكون في الأمور الأرضية. ومع ذلك فإن قسماً من المتعصين والمعاندين لم يؤمنوا برغم مشاهدتهم لهذا الإعجاز، وتعللوا بأنهم ينتظرون قوافل الشام واليمن، فإن أيدوا هذا الحادث ورؤيتهم له آمنوا... ومع إخبار المسافرين لهم بذلك، إلا أنهم بقوا مصرين على الكفر، رافضين للإيمان.

والنقطة الأخيرة الجديرة بالذكر أن هذه المعجزة العظيمة والكثير من المعاجز الأخرى ذكرت في التواريخ والروايات الضعيفة مقترنة ببعض الخرافات والأساطير، مما أدى إلى حصول تشويش في أذهان العلماء بشأنها، كما في نزول قطعة من القمر إلى الأرض. لذا فإن من الضروري فصل هذه الخرافات وعزلها بدقة وغرلة الصحيح من غيره، حتى تبقى الحقائق بعيدة عن التشويش ومحتفظة بمقوماتها

١. المصدر نفسه ١٩ : ٦٠.

الموضوعية.^١

وسياتي المزيد عن انشقاق القمر في التاسع.

السادس: الغار الذي في جبل ثور، وهو الذي آوى إليه رسول الله ﷺ حين هجرته إلى المدينة المنورة

وعنه قال: أخبرنا جماعة عن أبي المفضل، قال: حدثنا أبو أحمد عبيد الله بن الحسين، عن إبراهيم العلوي النصيبي ببغداد، قال: حدثنا محمد بن علي بن حمزة العلوي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الحسين بن زيد، عن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده، عن جعدة بن هبيرة، عن أمه أم هاني بنت أبي طالب عليه السلام قالت: لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بالهجرة وأنام علياً عليه السلام على فراشه، وسجاه ببرد حضرمي، ثم خرج فإذا وجوه قريش على بابه، فأخذ حفنة من تراب، فذرها على رؤوسهم فلم يشعر به أحد منهم، ودخل على بيتي، فلما أصبح أقبل علي وقال: «أبشري يا أم هاني فهذا جبرئيل عليه السلام يخبرني: أن الله عز وجل قد أنجى علياً عليه السلام من عدوه». قالت: وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مع جناح الصبح إلى غار ثور، فكان فيه ثلثا حتى سكن عنه الطلب، ثم أرسل إلى علي عليه السلام وأمره بأمره وأداء الأمانة.^٢

المجلس الثامن: ولما توفيت خديجة عليها السلام أشد البلاء على رسول الله ﷺ، وتراكت عليه الهموم والغموم بحيث احتجب عن الناس مدة مديدة، وسمي ذلك العام عام الحزن، لأنه فقد في ذلك العام عمه أبا طالب وزوجته خديجة

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ١٧ : ٣٠٠.

٢. حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني ١ : ١٣٨.

في سنة واحدة بل في شهر واحد، ثم هاجر إلى الطائف شهراً ورجع إلى مكة ليقيم بها فلم يستطع، لأن مشركي قريش همّوا بقتله واجتمعوا في دار الندوة، واستشاروا فيما بينهم في دفعه وسفك دمه، واجتمعت آراؤهم على أن يهجموا عليه ليلاً ويقطعوه في فراشه، ونزل عليه جبرئيل بهذه الآية: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يُقَتِّلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^١ وأمره بالمسير إلى غار ثور ومنها إلى المدينة.

ولما أراد الهجرة خلف علياً عليه السلام لقضاء ديونه، وردّ الودائع التي كانت عنده، وأمر ليلة الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه، وبقية نفسه كما كان ينام على فراشه منذ أربع سنين في شعب أبي طالب، وذلك بأمر من أبي طالب عليه السلام لأنه غاية همه حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وصيانته عن مكائد قريش، وكان يأخذ بيد علي عليه السلام ويأتيه إلى فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ويأمره بالمبيت على الفراش، ويحول النبي صلى الله عليه وآله إلى فراش آخر فكان علي عليه السلام يقول: أبتاه إني لمقتول فيقول له أبو طالب اصبرن يا بني أحجى كل حي مصيره لشعوب:

قد بذلناك والبلاء شديد * لفداء النجيب ابن النجيب

لفداء الأعز الحسب الثاقب * والباع والفناء الرحيب

أن تصبك المنون فالنبيل تترى * فمصيب منها وغير مصيب

فأجاب علي عليه السلام:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد * فوالله ما قلت الذي قلت جازعا

ولكنني أحببت أن تر نصرتي * لتعلم إنني لم أزل لك طائعا

سأسعى لوجه الله في نصر أحمد * نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعاً

والحاصل دعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام وقال له: «إن الله تعالى أوحى إلى أن أهجّر دار قومي وأن أنطلق إلى غار ثور، وإنه أمرك بالمبيت على فراشي وأن يلقي شبهي عليك أو تسلم بمبיתי هناك. قال: نعم. فتبسم ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً، فكان أول من سجد لله شكراً أو أول من وضع وجهه على الأرض بعد سجده فلما رفع رأسه قال له: امض لما أمرت فذاك سمعي وبصري وسويداء قلبي وأنشأ يقول:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول إله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الإله من المكر

فبات رسول الله في الغار آمناً * موفي وفي حفظ الإله وفي سرّ

وبت أراعهم وما يثبتوني * فقد وطنت نفسي على القتل والأسر

أردت به نصر الإله تبتلاً * وأضمرته حتى أؤسد في قبري

قال صلى الله عليه وآله وسلم له: فأرقد على فراشي واشتمل بردي ثم إنني أخبرك يا علي إن الله امتحن أوليائه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فقد امتحنك الله يا بن أمّ، وامتحني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل فصبراً صبراً، فإن رحمة الله قريبة من المحسنين...»^١.

١. شجرة طوبى، الحائري ١ : ٢٣٦ - ٢٣٧.

و* (الغار):* الثقب العظيم في الجبل، وهو هاهنا غار ثور، جبل في يمني مكة على مسيرة ساعة...^١

الأُمالي للطوسي، عن هند بن هالة، وأبي رافع، وعَمَّار بن ياسر - في ذكر اجتماع قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وعزمه على الهجرة إلى المدينة- : دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وقال له: يا علي، إنَّ الروح هبط عليَّ بهذه الآية آنفاً، يخبرني أنَّ قريشاً اجتمعوا على المكر بي وقتلي، وأتُّه أوحى إليَّ ربِّي عزَّ وجلَّ أنَّ أهجِر دار قومي، وأنَّ أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وأتُّه أمرني أن آمرك بالمبيت على ضجاعي - أو قال: مضجعي - ليخفى بمبيتك عليه أثري، فما أنت قائل وما صانع؟

فقال عليُّ عليه السلام: أو تسلم بمبيتي هناك يا نبيَّ الله؟ قال: نعم، فتبسَّم عليَّ عليه السلام ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً بما أنبأه رسول الله ﷺ من سلامته، وكان عليُّ صلوات الله عليه أوَّل من سجد لله شكراً، وأوَّل من وضع وجهه على الأرض بعد سجده من هذه الأُمَّة بعد رسول الله ﷺ، فلَمَّا رفع رأسه قال له: امض لما أُمِرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومُرني بما شئت أكن فيه كمسرتك، وأقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقني إلا بالله...^٢

... روى الحاكم عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «إنَّ أوَّل من شَرى نفسه ابتغاء رضوان الله عليَّ، وقال في ذلك شعراً:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى...»^٣

١. تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي ٢: ٦٥؛ التفسير الصافي، الفيض الكاشاني ٢: ٣٤٤.

٢. موسوعة الإمام علي عليه السلام: ١٦٦.

٣. السيرة النبوية، للشامي ٣: ٢٣٣.

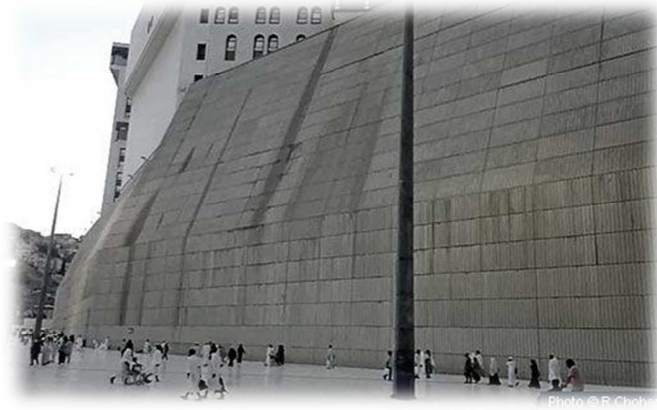
مستحبات مكة المكرمة: ...إتيان الغار الذي بجبل ثور، وهو الجبل الذي استتر فيه النبي صلى الله عليه وآله حين الهجرة إلى المدينة.^١

السابع: بيت أبي طالب عليه السلام.

إنَّ بيت أبي طالب عليه السلام كان عند جبل أبي قبيس، لأنَّ شعب أبي طالب عليه السلام كان هناك وكان قريباً بالمسعى والمسجد الحرام. ولا يخفى أنَّ بيوت أبناء عبدالمطلب كبيت عبدالله والد النبي صلى الله عليه وآله (مكتبة مكة المكرمة الحالي) كانت في منطقة واحدة وهي وراء المسعى، بين سوق الليل وجبل أبي قبيس. وأما المصادر التي نقلت بأنَّ الحجون هو الشعب (شعب أبي طالب)، فليس بصحيح، لأنه الخلط بين المقبرة والشعب.



١. مناسك الحج، السيد الكلبي، كافي : ١٦٨.



ولد النبي صلى الله عليه وآله لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول
في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال؛ وروي أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث
بأربعين سنة، وحملت به أمه في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى، وكانت في منزل

عبد الله بن عبد المطلب وولדתه في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار؛ وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً يصلي الناس فيه. وبقي بمكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة ثم هاجر إلى المدينة ومكث بها عشر سنين ثم قبض عليه السلام لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول يوم الاثنين وهو ابن ثلاث وستين سنة.^١

واجتمعت قريش إلى دار الندوة وكتبوا الصحيفة على بني هاشم لا يكلموهم ولا يباعدوهم أو يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ليقتلوه ثم أخرجوهم من بيوتهم حتى نزلوا شعب أبي طالب ووضعوا عليهم الحرس فمكثوا بذلك ثلاث سنين...^٢

(شعب أبي طالب) الشعب بالكسر الطريق في الجبل والجمع الشعاب.

والشعب بالكسر: ما انفرج بين جبلين، وشعب أبي طالب معروف بمكة.^٣

تقع دار الأرقم خلف الصفا بينها وبين شعب أبي طالب، فهي على يمين الخارج من المسجد نحو شعب أبي طالب أو بيت خديجة «عليهما السلام»، وقد رأيتها بين المسجد وبين مكان مولد النبي صلى الله عليه وآله الذي يعرف اليوم بمكتبة مكة. ثم أزالوها مع الجبل المتصل بالصفا...^٤

علي، عن أبيه، عن ابن أبي نصر، عن إبراهيم بن محمد الأشعري، عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما توفي أبوطالب نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد اخرج من مكة، فليس لك فيها ناصر،

١. الكافي، الكليني ١ : ٤٣٩؛ الوافي، الفيض الكاشاني ٣ : ٧٢٢.

٢. روضة الواعظين، الفتال النيشابوري : ٥٣.

٣. مرآة العقول، العلامة المجلسي ٥ : ١٧٣.

٤. جواهر التاريخ (السيرة النبوية)، الشيخ علي الكوراني ١ : ٣٣٧.

وثارت قريش بالنبي صلى الله عليه وآله، فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل بمكة يقال له المحجون فصار إليه.^١

قال علي بن الحسين (عليه السلام): «كان أبو طالب يضرب عن رسول الله ﷺ بسيفه ويقيه بنفسه، فلما حضرته الوفاة وقد قويت دعوة رسول الله ﷺ وعلت كلمته، إلا أن قريشاً على عداوتها وحسدها فاجتمعوا إلى أبي طالب ورسول الله ﷺ عنده، فقالوا: نسألك من ابن أخيك النصف. قال: وما النصف منه؟ قالوا: ليكف عنا ونكف عنه فلا يكلمنا ولا نكلمه ولا يقاتلنا ولا نقاتله، لأن هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب وزرعت الشحناء وأنبتت البغضاء...»^٢.

الثامن: مقبرة الشهداء بفخّ

ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، شهيد فخّ. وقد قام في المدينة في خلافة موسى الهادي واستشهد بفخّ - موضع أو بئر على فرسخ من مكة - ولم يعرف من أئمتنا عليهم السلام حديث ظاهر في قدحه، بل وردت روايات كثيرة تدل على تقديسه وتقديس قيامه نذكرها من كتاب مقاتل الطالبين لأبي الفرج الإصفهاني:

١- ما رواه بسنده، عن زيد بن علي، قال: «انتهى رسول الله ﷺ إلى موضع فخّ فصلّى بأصحابه صلاة الجنّاة، ثم قال: يقتل هيهنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة».

١. الكافي ١ : ٦٥٩.

٢. روضة الواعظين : ٥٤.

٢- ما رواه بسنده، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال: «مرّ النبي

صلّى الله عليه وآله بفخّ فنزل

فصلّى ركعة، فلمّا صلّى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناس النبي ﷺ يبكي بكوا، فلمّا انصرف قال: ما يبكيكم؟ قالوا: لمّا رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله. قال: نزل عليّ جبرئيل لمّا صلّيت الركعة الأولى فقال: يا محمد، إنّ رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان. وأجر الشهيد معه أجر شهيدين».

٣- ما رواه بسنده، عن النضر بن قرواش، قال: أكرّيت جعفر بن محمد عليه السلام

من المدينة إلى مكة، فلمّا ارتحلنا من بطن مرّ قال لي: «يا نضر، إذا انتهيت إلى فخّ فأعلمني... فتوضّأ وصلّى ثمّ ركب فقلت له: جعلت فداك رأيتك قد صنعت شيئاً، أفهو من مناسك الحج؟ قال: لا، ولكن يقتل ههنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة».

٤- ما رواه بسنده، عن إبراهيم بن إسحاق القطّان، قال: سمعت الحسين بن

علي، ويحيى بن عبد الله يقولان:

«ما خرجنا حتّى شاورنا أهل بيتنا، وشاورنا موسى بن جعفر عليه السلام

فأمرنا بالخروج».

٥- ما رواه عن جماعة، قالوا: جاء الجند بالرؤوس إلى موسى والعباس

وعندهم جماعة من ولد الحسن والحسين، فلم يتكلم أحد منهم بشيء إلاّ موسى بن جعفر عليه السلام، فقال له: «هذا رأس الحسين؟ قال: نعم، إنّنا لله وإنّا إليه راجعون. مضى والله مسلماً صالحاً صوّماً قوّماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. ما كان في أهل بيته مثله. فلم يجيبوه بشيء». ولم يكن خروجه للدعوة إلى نفسه بل كان يدعو إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام، نظير ما صنعه زيد في دعوته.

٦- فروى أبو الفرج أيضاً بسنده، عن أرطاة، قال: لمّا كانت بيعة الحسين بن

علي صاحب فخّ قال: أبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى أن يطاع الله ولا يعصى وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله والعدل في الرعية والقسم بالسوية... هذا. ولكن في أسناد الروايات ضعف، ومؤلف الكتاب من بني مروان ينتهي نسبه إلى مروان الحمار، وفي المذهب زيدي.^١

بعض أصحابنا، عن محمد بن حسان، عن محمد بن زنجويه، عن عبد الله بن الحكم الأرمي، عن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم الجعفري، قال: حدثنا عبد الله بن الفضل مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: لما خرج الحسين بن علي المقتول بفخّ واحتوى على المدينة دعا موسى بن جعفر إلى البيعة فأتاه فقال له يا بن عم لا تكلفني ما كلف ابن عمك عمك أبا عبد الله فيخرج مني ما لا أريد كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يريد فقال له الحسين: إنما عرضت عليك أمراً فإن أردته دخلت فيه وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان، ثم ودعه فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر حين ودعه: «يا بن عم إنك مقتول فأجد الضراب فإن القوم فساق يظهرون إيماناً ويسرون شركاً وإنا لله وإنا إليه راجعون أحتسبكم عند الله من عصبه». ثم خرج الحسين وكان من أمره ما كان قتلوا كلهم كما قال عليه السلام. بيان: فأجد الضراب، أمر من الجودة، والضراب القتال. أحتسبكم، أطلب الأجر في مصيبتكم. والعصبه محرّكة يقال لقوم الرجل الذين يتعصبون له ومن بيان لضمير المفعول البارز في أحتسبكم.^٢

قال دعبل بن علي الخزاعي رحمة الله عليه من قصيدة طويلة:

١. دراسات في ولاية الفقيه...، الشيخ حسينعلي المنتظري ١ : ٦٠٧.

٢. الوافي، الفيض الكاشاني ٢ : ١٧١ نقلاً عن الكافي.

فأين الألى شطت بهم غربة النوى * أفانين في الأطراف متفرقات
هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا * وهو خير سادات وخير حماة
أفاطم قومي يا ابنة الخير فاندبي * نجوم سماوات بأرض فلات
قبور بكوفان وأخرى بطيبة * وأخرى بفتح نالها صلواتي
وقبر ببغداد لنفس زكية * تضمّنها الرحمن في الغرفات...^١

... فقال لي: تذكر يوم سألتك هل لنا ملك؟ سأل هذا الطاغبي (أبو جعفر المنصور الدوانيقي) أبا جعفر عليه السلام أيضاً فأجابه بما أجابه خلفه الصادق عليه السلام مع زيادة كما يجيء في حديث الصحيحة. فقلت: نعم، طويل عريض شديد، طويل بحسب المدة والزمان، عريض بحسب المساكن والبلدان، شديد بحسب القوة والسلطان. فلا تزالون في مهلة من أمركم هو السلطنة وفسحة من دنياكم، حتى تصيبوا منا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام. وحينئذ تستحقون زوال دولتكم وفناء سلطنتكم ولا يكون لكم في الأرض ناصر ولا في السماء عاذر. قال بعض الأفاضل: كأنه إشارة إلى المقتولين بفتح في ذي الحجة الحرام، وفتح من الحرم بين تنعيم ومكة. وقال الأمين الأسترآبادي: يمكن أن يكون المراد ما فعله هارون قتل في ليلة واحدة كثيراً من السادات. ويمكن أن يكون المراد قتلهم المقتولين بفتح وهو موضع قرب مكة انتهى. ونظير ما نحن فيه من طرق العامة عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: «إن هؤلاء أخافوني وهم قاتلي فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يقتلهم حتى

١. روضة الواعظين، الفتال النيشابوري: ٢٢١.

يكونوا أذل من فرم الأمة؛ الفرغ بالفتح والسكون، خرقة الحيض.
وما يجيء في حديث الناس يوم القيامة عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنَّ
الله عزَّ ذكره أذن في هلاكه بني أمية بعد إحراقهم زيدا بسبعة أيام»، ويفهم من جميع
ذلك أنه لا يلزم أن يكون الزوال بعد فعلهم ذلك بلا فصل (فعرفت أنه قد حفظ
الحديث) فيكيف من إصابة دماننا خوفاً من زوال ملكه...^١

أخبرني علي بن العباس المقانعي، قال: حدثني علي بن إبراهيم، قال: حدثنا
محمد بن إبراهيم المقرئ، قال: حدثنا الحسن بن علي الأسدي. قال: حدثنا الحسن
بن عبد الواحد، قال: حدثني عبد الرحمن بن القاسم بن إسماعيل، قال: حدثنا
الحسين بن الفضل العطار، قال: حدثنا محمد بن فضيل، عن محمد بن إسحاق، عن
أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال:

«مرَّ النبي صلى الله عليه وآله بفخ فنزل فصلى ركعة، فلما صلى الثانية بكى
وهو في الصلاة، فلما رأى الناس النبي صلى الله عليه وآله يبكي بكوا، فلما انصرف
قال: ما يبكيكم؟ قالوا: لما رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله. قال: نزل علي جبريل
لما صليت الركعة الأولى فقال: يا محمد إنَّ رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان،
وأجر الشهيد معه أجر شهيدين».^٢

ونزل الصادق عليه السلام في رواحه إلى الحج من الحمل بفخ وتوضاً وصلى ثم
ركب؛ فقيل له: هذا من الحج؟ قال: «لا ولكن يقتل ههنا رجل من أهل بيتي في
عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم الجنة».
وأخبر أيضاً الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بشهادته لما خرج قال له: «يا بن

١. شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني ١١ : ٣١٦.

٢. مقاتل الطالبين، أبي الفرج الاصفهاني : ٢٩٠.

العم إنك مقتول فأجد الضراب، فإن القوم فسّاق يظهرون إيماناً، ويسرون شركاً وإنا لله وإنا إليه راجعون أحسبكم عند الله من عصبة». ولقد قتل في يوم التروية ثامن من ذي الحجة ستمائة نفر من السادات وآل أبي طالب ومواليهم، وإلى هؤلاء أشار دعبل بقوله: (وأخرى بفتح نالها صلوات). وكان ذلك في خلافة الهادي رابع خلفاء بني العباس.

قال الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام: «وما وقعت وقعة بعد وقعة الطف أعظم علينا من محاربة فخر، ولما قتل الحسين بن علي صاحب فخر سمعت نباح الجن عليه من أول الليل إلى الصباح على مياه غطفان». والسبب في خروجه إن الهادي ولي على المدينة رجلاً من ولد عمر بن الخطاب اسمه عمر بن العزيز بن عبدالله بن عمر فضيق على السادات والهاشميين وآل أبي طالب ومواليهم، وكان يؤذيهم بكل ما يستطيع حتى جرى الأمر بأن ضرب الحسن بن محمد بن عبد الله المحض أحد سادات بني الحسن مائتي سوطاً لأمر، وضرب رجلين من خواصه ثم جعل الحبال في أعناقهم، وطيف بهم في المدينة مكشفي الظهر ليفضحهم وأشاع في الناس بأنه وجدهم على شراب فجاء الحسين بن علي صاحب فخر إلى العمري وقال له: قد ضربتهم ولم يكن لك إن تضربهم فلم تطوف بهم فأمر العمري بهم فردهم وحبسهم، ثم ضمن له الحسين وكفل له فأخرجهم من الحبس فغاب الحسن بن محمد فبلغ ذلك العمري فغضب وأحضر الحسين بن علي صاحب فخر ويحيى بن عبد الله بن الحسن فأغلظ لهما وتهدهما وقال لتأتيا بي، أو لأحبسكما فإن له ثلاثة أيام لم يحضر العرض وكان اللعين يطلب بني هاشم في كل يوم بالعرض عليه ليقف على أحوالهم وشؤونهم قال: فتضاحك الحسين في وجه العمري وقال: أنت مغضب يا أبا حفص؟ فقال له العمري: أتهزء بي وتحاطبني بكنتيتي فقال له: قد كان أبو بكر وعمر هما خير منك يحاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية

فقال له آخر: قولك أشد من أوله فإنما أدخلتك إلي لتفاخرنى وتؤذنينى ثم حلف العمري إنه لا يخلى سبيله أو يجيئه بالحسن بن محمد فى باقى يومه وليلته، وإنه إن لم يجرى به لىضرين الحسين ألف سوط وحلف إن وقعت عينه على الحسن بن محمد ليقتلنه من ساعته فخرج الحسين من عنده ووجه إلى الحسن بن محمد، وقال: يا بن عمى قد بلغك ما كان بينى وبين هذا الفاسق فأمض حيث أحببت فقال الحسن: لا والله يا بن عمى بل أجيء معك الساعة حتى أضع يدي فى يده فقال الحسين: لا والله ما كان الله ليطلع على وأنا جاء، وإلى محمد صلى الله عليه وآله وهو خصيمى وحجيجى فى أمرى لعل الله إن يقيناً شره.

ثم وجه الحسين إلى بنى هاشم فاجتمعوا ستة وعشرون رجلاً من ولد على وعشرة نفر من الحاج ونفر من الموالى فلما أذن المؤذن بالصبح دخلوا المسجد وصعد عبد الله بن الحسن الأفطس المنارة التى عند رأس النبى ﷺ، وقال للمؤذن: أذن بحى على خير العمل، فلما نظر المؤذن إلى السيف فى يده أذن بها وسمعه العمري فأحس بالشر ودهش وركب بغلته وهرب من المدينة، فصلّى الحسين بالناس الصبح ودعى بالشهود العدول الذى كان العمري أشهدهم عليه بأن يأتى الحسن إليه فقال للشهود: هذا الحسن قد جئت به فهاتوا العمري وإلاّ والله خرجت من يمينى ومما على.

ثم خطب الحسين بعد صلاته فحمد الله وأثنى عليه وقال: أنا ابن رسول الله على منبر رسول الله، وفى حرم رسول الله أدعو إلى سنة رسول الله، أيها الناس: أطلبون آثار رسول الله فى الحجر والعود؟ تمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه، فأتاه الناس وبايعوه على كتاب الله تعالى وسنة نبىه، والرضا من آل محمد؛ فبلغ ذلك حماد البربرى وكان على مسلحة السلطان بالمدينة فى السلاح، ومعه مائتين من الجند وجاء العمري ومعه أناس كثيرون حتى وافوا باب المجلس فأراد حماد أن ينزل فبدره يحيى بن عبد الله بن الحسن وفى يده السيف، فضربه على جبينه وعليه البيضة

والقلنسوة فقطع ذلك كله وأطار منخ رأسه، وسقط عن دابته وحمل على أصحابه فتفرقوا وانهزموا، وأقام الحسين بن علي وأصحابه يتجهزون بالمدينة أحد عشر يوماً وفرق ما كان في بيت المال وهي سبعون ألفاً على الناس، وكان يقول لهم: أبايعكم على كتاب الله وسنة نبيه وعلى أن يطاع الله ولا يعصى وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد وعلى أن نعمل بينكم بكتاب الله وسنة نبيه، والعدل في الرعية والقسمة بالسوية وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا فإن نحن وفيناكم وفيتنا لنا، وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم. ثم خرج الحسين وأصحابه لست بقين من ذي القعدة إلى مكة وأستخلف على المدينة رجل من خزاعة، وبلغ ذلك إلى الخليفة الهادي وكان قد حج في تلك السنة رجال من أهل بيت الخليفة، منهم سليمان بن أبي جعفر عم الهادي ومحمد بن سليمان والعباس بن محمد وموسى وإسماعيل أبناء عيسى الدوانيقي ومبارك التركي ومبارك هذا قاتل مع الحسين بالمدينة أشد القتال إلى منتصف النهار ثم انهزم. وقيل إن مبارك أرسل إلى الحسين يقول له: والله لإن أسقط من السماء فتخطفني الطير أيسر علي من أن أشوكك بشوكة أو أقطع من رأسك شعرة فبيتنني فأني منهزم عنك فوجه إليه الحسين قوماً فلما دنوا صاحوا وكبروا فانهزم التركي هو وأصحابه.

ثم أمر الخليفة فرجع وعاد في جيشه والتحق بهؤلاء وهم قد ساروا بجماعة وسلاحهم من البصرة لخوف الطريق، فكتب الهادي إليهم بتولية الحرب، فلما قرب الحسين وأصحابه من مكة وصاروا (بفخ وبلدح) تلقياهم الجيش من المسودة - يعني بني العباس - فالتقوا يوم التروية وقت صلاة الصبح. فعرض العباس بن محمد علي الحسين الأمان والعفو والصلة فأبى ذلك أشد الإباء.

قال الراوي: لما أن لقي الحسين المسودة أقعد رجلاً على جملة، معه سيف يلوح والحسين بن علي يلي عليه حرفاً حرفاً يقول ناد فنادى يا معشر المسودة هذا

الحسين بن رسول الله، وابن عمه يدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله فأمر موسى بن عيسى تبعية العسكر فصار محمد بن سليمان في الميمنة وموسى في الميسرة وسليمان بن أبي جعفر والعباس ابن محمد في القلب، وكان أول من بدأهم موسى فحملوا عليه فاستطرد لهم شيئاً حتى انحدروا في الوادي، وحمل عليهم محمد بن سليمان من خلفهم فطحنهم طحنة واحدة حتى قتل أكثر أصحاب الحسين، وبقي الحسين في عدد يسير وجعل يقاتل أشد القتال حتى أثخن بالجراح...^١

وحكي عن محمد بن سليمان العباسي وهو الذي قاتل الحسين بن علي الشهيد بفخ: لما احتضر لقن الشهادة فكان يقول بدل الشهادة:

ألا ليت أمي لم تلدني ولم أكن * لقيت حسيناً يوم فحٍّ ولا حسن.^٢

التاسع: إنشقاق القمر

لقد طلب المشركون من رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة الثامنة للبعثة عندما كان مع علي بن أبي طالب أن يريهم آية، فدعا الله سبحانه وتعالى فانشقَّ القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم. لكن قريشاً استمرت في كفرها فقالوا: هذا سحر مستمر! فأنزل تعالى: ﴿افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾.

وقد وصف السيد المرتضى ذلك الحديث بالمتواتر.

وأجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه، حتى رأى أهالي مكة حراء بينهما، إذ أصبح القمر فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على جبل آخر. وقالوا: انشقَّ

١. شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري ١ : ١٦٩.

٢. مستدرک سفينة البحار، الشيخ علي التمازي الشاهرودي ٢ : ٣٢١.

القمر مرتين.

وحادثة انشقاق القمر من الوقائع الخطيرة في حياة الإنسان الدينيّة تبين العظمة الإلهية من جهة، والتعصّب الجاهلي من الجهة الأخرى. وهل يُسلم الكافرون اليوم لو انشق القمر لهم مرّة أخرى وتعصّبهم غالب عليهم؟^١

وهذا الإسناد، عن علي بن موسى، عن أبيه، عن جده، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: «انشق القمر بمكة فلقتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اشهدوا اشهدوا بهذا».^٢

قال العلامة المجلسي رحمه الله: وقد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة، منهم عبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وابن عمر، وابن عباس، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن عمر، وعليه جماعة من المفسرين إلا ما روي عن عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال: معناه وسينشق القمر، وروي ذلك عن الحسن، وأنكره أيضاً البلخي، وهذا لا يصح، لأن المسلمين أجمعوا على ذلك فلا يعتد بخلاف من خالف فيه، ولأن اشتهاره بين الصحابة يمنع من القول بخلافه، ومن طعن في ذلك بأنه لو وقع لما كان يخفى على أحد من أهل الأقطار فقله باطل، لأنه يجوز أن يكون الله تعالى قد حجه عن أكثرهم بغيهم وما يجري مجراه ولأنه قد وقع ذلك ليلاً فيجوز أن يكون الناس كانوا نياماً فلم يعلموا بذلك، على أن الناس ليس كلهم يتأملون ما يحدث في السماء وفي الجو من آية وعلامة، فيكون مثل انقضاض الكواكب وغيره مما يغفل الناس عنه، وإنما ذكر سبحانه ﴿اقتربت الساعة﴾ مع ﴿انشق القمر﴾، لأن انشقاقه من علامة نبوة نبيّنا صلى الله عليه وآله،

١. سيرة الإمام علي عليه السلام ١ : .

٢. الأمالي، الشيخ الطوسي : ٣٤١.

ونبوته وزمانه من أشراط الساعة. ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾، هذا إخبار من الله تعالى عن عناد كفار قريش، وإنهم إذا رأوا آية معجزة أعرضوا عن تأملها، والانقياد لصحتها عناداً وحسداً ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾، أي قوي شديد يعلو على كل سحر، وهو من إمرار الحبل وهو شدة فتله، واستمر الشيء: إذا قوي واستحكم، وقيل: معناه ذاهب مضمحل لا يبقى، وقال المفسرون: لما انشق القمر قال مشركوا قريش: سحرنا محمد، فقال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾، عن التصديق والايان بها، قال الزجاج: وفي هذا دلالة على أن ذلك قد كان ووقع.

وأقول: ولأنه تعالى قد بين أنه يكون آية على وجه الاعجاز، وإنما يحتاج إلى الآية المعجزة في الدنيا، ليستدل الناس بها على صحة النبوة، ويعرفوا صدق الصادق لا في حال انقطاع التكليف والوقت الذي يكون الناس فيه ملجئين إلى المعرفة، ولأنه سبحانه قال: ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾، وفي وقت الالقاء لا يقولون للمعجز: إنه سحر.

وقال الرازي: المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر حصل فيه الانشقاق، ودلت الأخبار على حدوث الانشقاق، وفي الصحاح خبر مشهور رواه جمع من الصحابة، قالوا: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله انشقاق القمر معجزة، فسأل ربه فشقه، وقول بعض المفسرين: المراد سينشق بعيد ولا معنى له لأن من منع ذلك وهو الطبيعي يمنعه في الماضي والمستقبل، ومن وجوزه لا حاجة إلى التأويل، وإنما ذهب إليه ذلك الذاهب لأن الانشقاق أمر هائل، فلو وقع لعم وجه الأرض، فكان ينبغي أن يبلغ حد التواتر، فنقول: إن النبي صلى الله عليه وآله لما كان يتحدى بالقرآن وكانوا يقولون: إنا نأتي بأفصح ما يكون من الكلام، وعجزوا عنه وكان القرآن معجزة باقية إلى قيام الساعة لا يتمسك بمعجزة أخرى فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر، وأما المؤرخون تركوه لأن التواريخ في أكثر الأمر يستعملها المنجمون،

وهم لما وقع الأمر قالوا: بأنه مثل خسوف القمر وظهور شيء في الجوّ على شكل نصف القمر في موضع آخر، فلذا تركوا حكايته في تواريخهم، والقرآن أدل دليل وأقوى مثبت له، وإمكانه لا يشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه، وحديث امتناع الحرق والالتيام حديث اللثام، وقد ثبت جواز الحرق والتخريب على السماوات، ثم قال: وأما كون الانشقاق آية للساعة فلأن منكر خراب العالم ينكر انشقاق السماء وانفطارها وكذلك قوله في كل جسم سماوي من الكواكب فإذا انشق بعضها ثبت خلاف ما يقول به من عدم جواز خراب العالم انتهى.

وقال القاضي في الشفاء: أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوع الانشقاق، وروى البخاري، بإسناده عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اشهدوا».

وفي رواية مجاهد: ونحن مع النبي صلى الله عليه وآله، وفي بعض طرق الأعمش: بنى، ورواه أيضاً عن ابن مسعود الأسود وقال: حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر، ورواه عنه مسروق أنه كان بمكة، وزاد: فقال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فقال رجل منهم: إن محمداً إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا، فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك. وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه، وقال: فقال أبو جهل: هذا سحر، فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا رأوا ذلك أم لا، فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً، فقالوا (يعني الكفار): هذا سحر مستمر. ورواه أيضاً عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء أربعة عن عبد الله.

وقد رواه غير ابن مسعود، منهم أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وجبير

بن مطعم وعلي، فقال علي عليه السلام من رواية أبي حذيفة الأرحبي: «انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وآله».

وعن أنس سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وآله أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما، رواه عن أنس قتادة، وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه: أراهم القمر مرتين انشقاقه، فنزلت: ﴿اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾، ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد، وابن ابنه جبير بن محمد، ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، ورواه عن ابن عمر مجاهد، ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي، ومسلم بن أبي عمران الأزدي، وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة، والآية مصرحة، فلا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض، إذ لم ينقل عن أهل الأرض أنهم رصدوه في تلك الليلة ولم يروه ولو نقل إلينا من لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع الأرض، فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين، وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه سحابة أو جبال، ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها، وآية القمر كانت ليلاً، والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وإيجاف الأبواب، وقطع التصرف، ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئاً إلا من رصد ذلك، ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيراً في البلاد، وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر، وكثيراً ما يحدث التقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوال عظام يظهر بالأحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها انتهى.

تفسير علي بن إبراهيم: ﴿اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾، قال: قربت القيامة فلا يكون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا القيامة وقد انقضت النبوة والرسالة، قوله: ﴿وانشق

القمر، فإن قريشاً سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يريهم آية فدعا الله فانشق القمر بنصفين حتى نظروا إليه، ثم التأم فقالوا هذا سحر مستمر، أي صحيح، وروي أيضاً في قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾، قال: خروج القائم عليه السلام.

حدثنا حبيب بن الحسن بن أبان الآجري، قال: حدثني محمد بن هشام، عن محمد قال: حدثني يونس قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اجتمعوا أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربعة عشر من ذي الحجة، فقالوا للنبي ﷺ: ما من نبي إلا وله آية فما آيتك في ليلتك هذه؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما الذي تريدون؟ فقالوا: إن يكن لك عند ربك قد فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد! الله يقرئك السلام ويقول لك: إني قد أمرت كل شيء بطاعتك، فرفع رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فانقطع قطعتين، فسجد النبي ﷺ شكراً لله، وسجد شيعتنا، ثم رفع النبي رأسه ورفعوا رؤوسهم فقالوا: يعود كما كان؟ فعاد كما كان، ثم قالوا: ينشق رأسه، فأمره فانشق، فسجد النبي ﷺ شكراً لله، وسجد شيعتنا فقالوا: يا محمد حين تقدم سفارنا من الشام واليمن نسألك ما رأوا في هذه الليلة، فإن يكونوا رأوا مثل ما رأينا علمنا أنه من ربك، وإن لم يروا مثل ما رأينا علمنا أنه سحر سحرتنا به، فأنزل الله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾، إلى آخر السورة.

تفسير الإمام العسكري عليه السلام، الإحتجاج: بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام في إحتجاج النبي ﷺ على قريش إن الله يا أبا جهل إنما دفع عنك العذاب لعلمه بأنه سيخرج من صلبك ذرية طيبة عكرمة ابنك، وسيلي من أمور المسلمين ما إن أطاع الله فيه كان عند الله خليلاً، وإلا فالعذاب نازل عليك، وكذلك سائر قريش السائلين لما سألوا من هذا إنما أمهلوا لأن الله علم أن بعضهم سيؤمن بمحمد، وينال به السعادة، فهو لا يقطع عن تلك السعادة

ولا يبخل بها عليه، أو من يولد منه مؤمن، فهو ينظر أباه لا يصل ابنه إلى

السعادة، ولولا ذلك لنزل العذاب بكافتكم، فانظر نحو السماء، فنظر أكتافها فإذا أبوابها مفتحة، وإذا النيران نازلة منها مسامحة لرؤوس القوم حتى تدنو منهم، حتى وجدوا حرها بين أكتافهم، فارتعدت فرائض أبي جهل والجماعة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا ترو عنكم فإن الله لا يهلككم بها، وإنما أظهرها عبرة، ثم نظروا وإذا قد خرج من ظهور الجماعة أنوار قابلتها ودفعتها حتى أعادتها في السماء كما جاءت منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بعض هذه الأنوار أنوار من قد علم الله أنه سيسعده بالإيمان في كل منكم من بعد، وبعضها أنوار طيبة سيخرج عن بعضكم ممن لا يؤمن وهم مؤمنون»^١.

العاشر: قبر خديجة، وهو في مقابر معلاة، قريب بانتهاء المقابر في سفح الجبل، وله قبة معروفة، أصل القبة بيضاء وحيطانها صفراء، وتستحب زيارتها



الحادي عشر: زيارة عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وآله، في مقبرة المعلا



الثاني عشر: زيارة أبي طالب عمّ النبي ﷺ، و والد الإمام علي عليه السلام، في مقبرة المعلا

ذكرت لهذه المقبرة أسماء، منها: مقبرة أبي طالب، ومنها: مقبرة الحجون... وعن أبي جعفر قال: كان أبو رافع قد ضرب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» قبة بالحجون من آدم، فأقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى انتهى إلى القبة، ومعه أم سلمة، وميمونة زوجته^١.

... قاله ﷺ «وهل ترك عقيل لنا من دار؟»، أي ما ترك لنا داراً حين فتح مكة. فقد مضى الزبير بن العوام برايته حتى ركزها عند قبة رسول الله، وكان معه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما، وقيل: يا رسول الله! ألا تنزل منزلك من الشعب؟ فقال: «وهل ترك لنا عقيل منزلاً؟»، وكان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل

١. المصدر نفسه ٢٢ : ٦٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله منزل إخوته. والرجال والنساء بمكة. فقيل: يا رسول الله! فأنزل في بعض بيوت مكة في غير منازل، فقال: «لأدخل البيوت! فلم يزل مضطرباً بالحجون لم يدخل بيتاً، وكان يأتي المسجد من الحجون لكل صلاة»^١.
مسألة: يستحب زيارة سلمان الفارسي رضي الله عنه بالمنقول وزيارة نواب الإمام المنتظر عليه السلام كعثمان بن سعيد والسمرى؛ وكذا يستحب زيارة المؤمنين. روى محمد بن أحمد بن يحيى في الصحيح قال: مشيت مع ابن بلال إلى قبر محمد بن إسماعيل بن بزيع قال: فقال لي علي بن بلال: قال صاحب هذا القبر عن الرضا عليه السلام من أتى قبر أخيه المؤمن من أي ناحية يضع يده وقرأ إنا أنزلناه سبع مرات أمن من الفرع الأكبر.

وقال أبو الحسن عليه السلام: «من لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحى إخوانه يكتب له ثواب زيارتنا ومن لم يقدر أن يصلنا فليصل صالحى إخوانه يكتب له ثواب صلتنا»^٢.

يستحب زيارة المقابر، لقوله صلى الله عليه وآله: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الموت».

وقال الرضا عليه السلام: «من أتى قبر أخيه المؤمن من أي ناحية يضع يده وقرأ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ سبع مرات أمن من الفرع الأكبر»^٣.

... وأما كيفية زيارتهم فلم يرد فيها خبر على الخصوص، ويجوز زيارتهم بما ورد في زيارة ساير المؤمنين، ويجوز تخصيصهم بالخطاب بما جرى على اللسان، من

١. انظر الخبر في «إمتاع الأسماع» للمقرئى المؤرخ ١ : ٣٨١.

٢. تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي ١ : ٤٠٤.

٣. نهاية الأحكام، العلامة الحلي ٢ : ٢٩٢.

ذكر فضلهم، والتوسل والاستشفاع بهم، وبآبائهم الطاهرين عليهم السلام. وكذا يستحب زيارة المراقد المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وذو الكفل ويونس وغيرهم، صلوات الله عليهم أجمعين.

وكذا يستحب زيارة كل من يعلم فضله وعلو شأنه ومركده ورمسه من أفاضل صحابة النبي ﷺ كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وحذيفة وجابر الأنصاري. وكذا أفاضل أصحاب كل من الأئمة عليهم السلام المعلوم حالهم من كتب رجال الشيعة، كميثم التمار ورشيد الهجري وقنبر وحجر بن عدي وزرارة ومحمد بن مسلم وبريد وأبي بصير والفضيل بن يسار وأمثالهم مع العلم بموضع قبرهم. وكذا المشاهير من محدثي الشيعة وعلمائهم، المحافظين لآثار الأئمة الطاهرين وعلومهم، كالمفيد، والشيخ الطوسي، والسيد بن الجليلين المرتضى والرضي، والعلامة الحللي وغيرهم رضي الله عنهم. ومقابر قم مملوءة من الأفاضل والمحدثين، وتعظيمهم من تعظيم الدين، وإكرامهم من إكرام الأئمة الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين.^١





شَخَصِيَّاتٌ مِنَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ (٣٧)

الإِخْوَةُ الثَّلَاثَةُ الصَّالِحُونَ

حسن الحاج

هناك شخصيات جليلة في تاريخنا الإسلامي، كتبتُ عن جمع منهم، وما زالت صفحاته مليئة بالكثير، وها نحن في عدد المجلة هذا نلتقي مع ثلاثة منهم، مع إخوة صالحين، كانوا نماذج رائعة ومشرفة في إيمانهم، في ولائهم، في جهادهم، وفي سيرتهم ومواقفهم الجريئة والواعية، دفاعاً عن الحق والعدل، مستفيدةً مما وهبها الله تعالى من قدرات وملاكات، تمثّلت في شجاعتهم، وخطبهم البليغة، وحواراتهم مع الآخر...

إنهم ثلاثة من آل عبد القيس؛ من أشهر قبائل العرب شرفاً ومكانةً وطيبَ خصال من بلدة جواثى، الواقعة في شرق الجزيرة العربية، من بلاد البحرين... وكما يقول الحموي عن جواثى: هي حصن لعبد القيس. وفي الروض: جُواثى؛ بضم أوله وبالثاء المثلثة، مدينة بالبحرين لعبد القيس، قال امرؤ القيس:

و رُحْنَا كَأَنَّا مِنْ جَوَاثَى عَشِيَّةٍ	نَعَالِي النَعَاجِ بَيْنَ عَدَلٍ وَمُشْتَقٍ
--	---

يريد كأننا من تجار جواثى؛ لكثرة ما معهم من الصيد، أراد كثرة أمتعة تجار جواثى. بين عدل أي بين معدول في أعدل، ومشتق أي معلق. وحدث الأصمعي قال: كان قوم من أهل البحرين من جواثى يتواصلون على العلم والأدب.^١

فجواثى حظيت بأن تكون أول مكان تعقد فيه صلاة الجمعة بعد المدينة المنورة، يقول عبد الله بن عباس: أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجواثى. وهذا المسجد بناه بنو عبد القيس في السنة السابعة بعد وفادتهم الثانية من رسول الله ﷺ في قريتهم المذكورة... ولذلك يقول شاعر بني عبد القيس:

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا	والمنبران وفصل القول في الخطب
أيام لا مسجد للناس تعرفه	إلا بطيبة والمهجوج ذو الحجب

١. الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق د. إحسان عباس: ١٨١؛ وفي الهامش معجم ما استعجم ٢: ٤٠١، وياقوت (جواناء).

ولكن ابن كثير يقول: ... وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في صحيح البخاري عن ابن عباس. أي بعد ارتداد الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ وعلى ذكر الردّة، فقد قال من كتب عن جواثي وأهلها: إنها لم تتأثر بما وقع من ردّة بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى قال بعض المؤرخين: ارتدت العرب كلّها إلّا أهل جواثي! أو «وارتدت جزيرة العرب كلّها إلّا ثلاث مدن هي مكة والمدينة والطائف وقرية صغيرة، وهي جواثا في منطقة هجر بالبحرين».

أقول: إنّ هذا القول، أقلّ ما يقال عنه: إنه إضافة إلى كونه مبالغاً فيه، فهو خال من الدقة، وبعيد عن الصواب ولا يخلو من إساءة إلى الإسلام ورسوله ﷺ وإلى ما بذله من جهد عظيم، ليس بعيداً عن تسديد السماء...، ولا أطيل في ظاهرة الردّة، فقد ارتدّ قوم عن الدين، ولكن ليس بهذه السعة، وهذا العموم «ارتدت العرب كلّها». ولم يكن ما وقع لغير هؤلاء القوم ارتداداً عن الدين، وإنما هو في أغلبه موقف سياسي، وقع بعد عشرة أيام من مؤتمر السقيفة، يتوزع هذا الموقف بين معارض لما وقع في السقيفة، وبين متأخر في بيعته أو متأنّ حتى تنجلي الأمور أكثر، وبين ممتنع عن أداء الزكاة إما فهماً منه أنها تعطى لرسول الله ﷺ فقط دون غيره، وإما أن يتربّح لمن يدفع زكاته، أو لأنّ الخليفة لم تكن بيعته وفق الموازين الشرعية، فكيف يُباع أو تعطى له الزكاة، لقد كان ما حدث خليطاً من عدّة أسباب، فالمفروض بالخلافة أن تلتفت إلى هذه الأسباب وغيرها، لا أن تصف الجميع بما فيهم من له موقف سياسي معارض بالارتداد عن الدين، ومحاربتهم تحت هذا العنوان، غير مبالية بما يترتب على مثل هذه التهمة من إساءة للدين ولما بذله رسول الله ﷺ وأصحابه المخلصون من جهود كبيرة وتضحيات جسام؛ لإبلاغ الدعوة ونشرها بين الناس...، وبالتالي إظهار الخلافة أنها لولا موقفها وحربها ضدّ هؤلاء لما بقي للإسلام شيء،

ولعاد الناس إلى جاهليتهم، فالفضل لها في إعادة الناس للدين بعد إذ هجروه وارتدوا عنه!.. إنه لمنهج عقيم وخطير ذلك الذي يصور مسلمي تلك الفترة الأهم من تاريخ الإسلام بأنهم ضعيفو الإيمان، وأن إسلامهم وقع منهم رهبةً لا رغبةً، وجهلاً لا وعياً، ومعرفة للإسلام، وبالتالي حباً له وقناعةً به...^١

وعن قبيلة عبد القيس هذه، التي ولد فيها هؤلاء الثلاثة الصالحون ونشأوا في بيئتها وأجوائها وأعرافها؛ قال أبو عبيدة: ولعبد القيس ست خصال فاقت بها على العرب منها:

أسود العرب بيتاً وأشرفهم رهطاً الجارود هو وولده.
و منها: أشجع العرب حكيم بن جبلة قطعت رجله يوم الجمل فأخذها بيده
و زحف على قاتله فضربه بها حتى قتله و هو يقول:

يا نفس لا تراعي

إن قطعت كراعي

إن معي ذراعي

فلا يعرف في العرب أحد صنع صنيعه.
ومنها: أعبد العرب هرم بن حيان صاحب أويس القرني.
ومنها: أجود العرب عبد الله بن سواد بن همام غزا السند في أربعة آلاف

١. وللمزيد، انظر مقالتنا (قراءة في ظاهرة الردّة) في العدد ٤١ من هذه المجلة، وأنصح بمراجعة مقدمة كتاب الإمام الحسين عليه السلام للشيخ عبد الله العلايلي، وكتاب نصوص الردّة في تاريخ الطبري؛ نقد وتحليل، بقلم الشيخ محمد حسن آل ياسين؛ البداية والنهاية، لابن كثير: ٦ فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد.

ففتحتها وأطعم الجيش كله ذاهباً وقافلاً، فبلغه أن رجلاً من الجيش مرض فاشتبهى خبيصاً، فأمر باتخاذ الخبيص لأربعة آلاف إنسان فأطعمهم حتى فضل وتقدم إليهم ألا يوقد أحد منهم ناراً لطعام في عسكره مع ناره.

ومنها: أخطب العرب مصقلة بن رقة به يضرب المثل فيقال: أخطب من مصقلة.

ومنها: أهدى العرب في الجاهلية وأبعدهم مغاراً و أثراً في الأرض في عدوه وهو دعيميص الرمل كان يعرف بالنجوم هداية وكان أهدى من القطا يدفن بيض النعام في الرمل مملوء ماء ثم يعود إليه فيستخرجه...

كما أن هذه القبيلة كان لها في الشعر مكانة كبيرة، فقد أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس ثم ثقيف. هذا ما قاله عنهم أبو عبيدة.^١

وهذا صعصعة نفسه يتحدث عن قومه، ويصفهم لمعاوية حين سأله في لقاء جمعهما وهو يحمل كتاباً من الإمام علي عليه السلام: ممن الرجل؟

قال: من نزار. قال: وما كان نزار؟ قال: كان إذا غزا نكس، وإذا لقي افترس، وإذا انصرف احترس. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال من ربيعة. قال: وما كان ربيعة؟ قال: كان يطيل النجاد، ويعول العباد، ويضرب ببقاع الأرض العماد. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من جديلة. قال: وما كان جديلة؟ قال: كان في الحرب سيفاً قاطعاً، وفي المكرمات غيثاً نافعاً، وفي اللقاء هباً ساطعاً. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من عبد القيس. قال: وما كان عبد القيس؟ قال كان خصيباً خضرمأً أبيض، وهاباً لضيغه ما يجد، ولا يسأل عما فقد، كثير المرق، طيب العرق، يقوم

١. انظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٨ : ٥٦ - ٥٨ .

للناس مقام الغيث من السماء!

إنهم من أسرة آل صوحان، أسرة كأنها خلقت للإسلام لا لغيره.. وكفاها بذلك فخراً وعزاً وشرفاً، لقد أنجبت ثلاثة إخوة، كانوا بحق أهل إيمانٍ خالص بالله تعالى ورسوله ﷺ وأهل ولاء صادق لأهل البيت عليهم السلام.

إنهم صعصة وسيحان وزيد، أبناء صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس بن صبرة بن جذرجان بن عباس بن ليث بن حُداد بن ظالم بن ذُهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

الكنى:

أشتهر صعصة أنه أبو طلحة وأبو عكرمة، وقيل: أبو عمر. وأما كنى زيد وهو أخوه لأبيه وأمه: فقد ذكروا أنه كان يكنى أبا سلمان، ويبدو أنه أحب هذه الكنية؛ لحبه وملازمته لسلمان الفارسي، وقيل: أبو سليمان، أبو عائشة. أبو مسلم.^١

لقد عرف أبوهم صوحان بأنه «كان رأساً في الجاهليّة وسيّداً في الإسلام»، وصف رائع وصفته به أم المؤمنين عائشة في رسالتها إلى ابنه زيد بن صوحان، سيأتينا ذكرها. وكانت أسرته وقبيلته كما وصفها عبدالله بن عباس حينما قال لصعصة:

«إنك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء»، وكما أطرى عليها عبد الملك بن مروان وهو يتحدث إلى جلسائه عن القبائل العربية، حين وصل الدور لقبيلة

١. انظر تهذيب التهذيب ٤ : ٤٢٢ ؛ والاستيعاب؛ والإصابة، وتاريخ بغداد ٨ : ٤٣٩.

عبد القيس: «إنَّ منهم أشدَّ الناس، وأسخى الناس، وأخطب الناس، وأحضر الناس جواباً؛ ثمَّ أردف عبارته الأخيرة هذه قائلاً: «أما أحضر الناس جواباً فصعصعة بن صوحان».

وهناك الكثير الذي يمكننا قوله وكتابته عن منزلة ومناقب ومواقف عبد القيس، التي تعدُّ من أكبر قبائل البحرين والمعروفة بأصالتها، كما عرفت في الجاهلية وكذا في الإسلام بفصاحتها وبلاغتها وشجاعتها وكرمها، وهو ما تضمنته أقوال كلِّ من تحدث أو كتب عنها، ولم يكتفوا بذكرها بل راحت كلماتهم وكتاباتهم تشييد بها وتثني على منزلتها...

ولم أجد ذاماً لعبد القيس إلاَّ معاوية بن أبي سفيان، الذي راح يصفها بأنها: «شَرُّ قَرْىَ عَرَبِيَّةٍ، أُنْتُنْهَآ نَبْتًا، وَأَعْمَقُهَا وَادِيًا، وَأَعْرَفُهَا بِالْشَّرِّ».

كان هذا منه ردًّا على صعصعة، حين أوجعته أجوبته ومواقفه كثيرًا، كما يأتينا، ومع هذا تراه في موقف آخر يطلب من عقيل بن أبي طالب أن يصف له آل صوحان، ويصفهم بأنهم مخاريف الكلام.^١

فإرثهم واسع، ومواقفهم كبيرة، وجهودهم ثرية، سنذكر ما يتيسر لنا منها،

١. المِخْرَف: الزنبيل الصغير الذي يُجْتَنَى فيه أطيب الثمار في الخريف. والمِخْرَفَةُ: البستان. والسَّكَّة بين صفين من نخيل، والطريق الواضح، جمع مخارف ومخاريف. أو «مخاريق الكلام» المِخْرَاقُ: السِّيفُ والسَّيْدُ، والمِخْرَاقُ أيضاً: السَّخِي المِجَادُ. كَأَنَّ سَيُوفَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ * مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا. وفي حديث عليٍّ عليه السلام: «الْبَرْقُ مَخَارِيقُ الْمَلَائِكَةِ». أي: آله يزجى بها الْمَلَائِكَةُ السَّحَابَ وَتَسْوِقُهُ. وَهُوَ مِخْرَاقٌ حَرْبٌ أَي: صَاحِبُ حَرْبٍ...

وبما يناسب هذه المقالة، التي ستتحدث عن رجالها الثلاثة بالذات.^١

الاختلاف في عددهم:

لقد وقع اختلاف في عدد أولاد صوحان بين الثلاثة والأربعة، وإن كان المشهور أنَّ له ثلاثة هم صعصة وسيحان وزيد، ومع هذا نشير إلى أن هناك قولاً بأن له رابعاً وهو عبد الله، إلا أنَّ في جواب عقيل بن أبي طالب عن سؤال أو طلب وجهه له معاوية بن أبي سفيان حول أصحاب الإمام علي عليه السلام، حين قال له: مَيِّز لي أصحاب عليٍّ، وابدأ بآل صوحان، فإنهم (مخاريف أو مخاريق) الكلام، فذكر عقيل زيدا وصعصة وعبد الله ولم يذكر سيحان.

وكذلك في الحديث الذي دار بين صعصة وابن عباس عندما سأل ابن عباس صعصة قائلاً: أين أخواك منك يا ابن صوحان؟ - فثناهما «أخواك»، ولم يجمعهم - فأجابه صعصة عن عبد الله وزيد ولم يذكر سيحان.

وهذان القولان وإن دلاً على أنَّ لصوحان ثلاثة أولاد، إلا أنَّهما أضافا خلافاً آخر في أنَّ الولد الثالث هو عبد الله، ولم يذكر سيحان، الذي اشتهر ذكره في المصادر، حيث إنَّ المؤرخين ذكروا سيحان دون عبد الله، ولعلَّ القول باتحادهما أي أنَّهما لشخص واحد هو الأنسب.. هذا وأنَّ الاختلاف وإن وقع في هذا، لكن الاتفاق حاصل في الأخوين صعصة وزيد ابني صوحان العبدية نسبةً إلى جدهم عبد القيس.

والتي ما إن اعتنق رجال منها الإسلام، حتى شمروا عن سواعدهم كدحاً

١. انظر أقوالهم في مروج الذهب ٢ : ٣٤٤-٣٤٥؛ والعقد الفريد ٣ : ٣٦٦، ٤ : ٣١٧؛ والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار للمقدسي: ٥١؛ تاريخ الطبري ٢ : ٦٣٥، سنة ٣٣؛ تاج العروس؛ والمعجم الوسيط ٢٣٠، ٢٢٩، المخرف، المخرق...

وجهاداً في سبيل إعلاء كلمة الله بلا تَوَانٍ ولا تَلَكٍُّ ولا تَحَاذُلٍ... فسجلوا بذلك سيرة خالدة انصبت في الدفاع عن رسالة الإسلام وحفظها من كل مكر وكيد وعدوان... ما إن اقترب وصول عبد القيس المدينة المنورة لزيارة رسول الله ﷺ وإعلان إسلامهم بين يديه المباركتين، حتى نسبت إليه ﷺ أقوال عديدة انطلقت لتسجل لهم أوسمة خُلدت، منها قوله ﷺ يخاطب المسلمين: «سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق». وعند قدومهم، قال: «مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى»، وراح يدعو لهم قائلاً: «اللهم اغفر لعبد القيس».

وفي شرح النهج؛ قال أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب التاج: إن رسول الله ﷺ أكرم الجارود و عبد القيس حين وفدا إليه، وقال للأنصار: «قوموا إلى إخوانكم و أشبه الناس بكم». قال: لأنهم أصحاب نخل كما أن الأوس والخزرج أصحاب نخل، ومسكنهم البحرين واليمامة.^١

أقول: ولعلَّ عبارة رسول الله ﷺ - حين جعلهم إخوانهم وأشبه الناس بهم في الإسلام - : «قوموا إلى إخوانكم وأشبه الناس بكم في الإسلام»، لا لأنهم أصحاب نخل، فالنخل موجود في مرحلتي الجاهلية والإسلام؛ ولأنهم جاءوا إلى الإسلام إيماناً ونصرةً بمحض رغبتهم وإرادتهم كما الأنصار. بدليل أنه ﷺ ما إن قال مخاطباً الأنصار: «يا معشر الأنصار أكرموا إخوانكم، فإنهم أشبه الناس بكم في الإسلام». حتى أردف ذلك بقوله ﷺ: «أسلموا طائعين غير مكرهين ولا موتورين».^٢

١. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٨ : ٥٦.

٢. كنز العمال، المتقي الهندي ١٢ : ٦٤؛ وأعيان الشيعة، السيد محسن الأمين ١ : ٢٤٢؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي ٨ : رقم ١٣٦٢٤ وغيرها.

لقد عرفت هذه القبيلة، وبالذات أسرة صوحان؛ منذ أن أسلمت، بثباتها على الدين، الذي آمنت به، وقد أبت إلا أن ترسم نموذجاً فذاً، ومثلاً كبيراً في تفانيها بالأنفس والأموال وكلمات الحق التي أطلقها أبناؤها عند أمراء الجور والتعسف، كل ذلك من أجل دينها، الذي آمنت به عن وعي وبصيرة، فسجلوا إراثاً طيباً وتاريخاً ناصعاً في الدنيا، خلّد لهم رصيдаً عظيماً في الآخرة.

من هذه الأسرة الطيبة، وفي هذا الوسط العلمي المعروف بالبلاغة والفصاحة، وفي هذه الأجواء، كانت ولادة ونشأة هؤلاء الإخوة الثلاثة.

فقد ذكروا أن صعصعة، ولد في جزيرة دارين بمنطقة القطيف سنة ٢٤ قبل الهجرة النبوية المباركة، وفي قول ولد في ديار قومه بني عبد القيس، وكانت نشأته بين أشرافها وزعمائها...

إسلامهم:

فما كان من صعصعة، وهو صغير يافع، إلا أن يعتنق الإسلام الذي أحبه، وأدرك عصره الأول على حياة رسول الله ﷺ، ولكنه لم يرزق شرف لقائه ﷺ وهو ما ذكره كل من ابن عبد البر: «كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ لم يلقه ولم يره صغر عن ذلك».

وعن الذهبي: «صعصعة بن صوحان العبدي سيد شريف كبير، أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يره»^١.

وكذا أخوه زيد، فقد أسلم أيضاً في حياة النبي ﷺ وهذا نص الرواة: «كان مسلماً على عهد النبي ﷺ». وذكر بعضهم أنه وفد على رسول الله ﷺ. والوفادة

١. الاستيعاب؛ أسد الغابة؛ الإصابة رقم ٤١٣٤؛ سير أعلام النبلاء ٣: ٥٢٥؛ الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٩٥٧.

هذه قد تكون هي التي أشار إليها الحافظ بن عبد البر بقوله: «أدرك النبي ﷺ بسنة مسلماً». أي في السنة المعروفة بسنة الوفود...

وأما أخوهم الثالث فهو سيحان، وكان ممن أسلم، إلا أنه لم يعرف وقت إسلامه...

زيد وسيحان والصحبة المباركة:

فيما يتعلق الأمر بصعصعة بن صوحان، لم أجد فيما تيسر لي من ذكر أنه من الصحابة، بعكس ما جاء في زيد وسيحان من أقوال، فقد وقع الاختلاف في أقوال من ذكر زيدا ومن ترجم له في كونه صحابياً أم لا. فعلى قول: إنه نال وسام الصحبة المباركة لرسول الله ﷺ، فهذا ابن حجر يقول: أدرك النبي ﷺ وصحبه. وجاء في الاستيعاب: قتل يوم الجمل، ذكره محمد بن السائب الكلبي عن أشياخه في تسمية من شهد الجمل فقال: و زيد بن صوحان العبدي وكان قد أدرك النبي ﷺ وصحبه؛ هكذا قال: ولا أعلم له صحبة، ولكنه ممن أدرك النبي ﷺ بسنة...

وهناك من استفاد من هذه الأبيات لشاعرٍ من عبد القيس، أنه أدرك صحبة النبي ﷺ ففي الإصابة:

«وكفى بزيد حين يذكر فعله

طوي لذلك من صريع مكرم

ذاك الذي سبقت لطاعة ربّه

منه اليمين إلى جنان الأنعم

فدعا التّبيّ لهم هنالك دعوة

مقبولة بين المقام وزمزم».

فقد ذكر ابن عساكر هذه الأبيات في ترجمة زيد بن صوحان. وعلى هذا فهو صحابي لا محالة.

فيما ذهب آخرون أنه من التابعين، وفي قول: إنه من تابعي الكوفة كما عن ابن سعد في الطبقات. وعن ابن إسحاق: أنه أدرك النبي ﷺ. وعن أبي عبيدة: أن له وفادة...^١

وأما سيحان فعند بعض كانت له صحبة، وعجبت من الذهبي الذي قال عنه: «ولهما أخ اسمه سيحان لا يكاد يُعرف». فهذا الذي (لا يكاد يعرف) عند الذهبي، قال عنه غيره: إنه من الصحابة؛ لأن الخلافة يومذاك كانت لا تؤمر إلا الصحابة، وكان الرجل أميراً في حرب الردّة، ذكر ذلك الطبري، وهذه عبارته: «... جاءت المسلمين موادّهم العظمى من بني الناجية... ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان... فقوى الله بهم أهل الإسلام، ووهن الله بهم أهل الشرك، فولّى المشركون الأدبار».

وهو ما ذكره سيف بن عمر - كما في الإصابة - عن سهل بن يوسف الأنصاري عن القاسم بن محمد أنه كان أحد الأمراء في قتال أهل الردّة،... وأنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة.

كما أن سيحان عُدَّ وأخواه صعصعة وزيد في الطبقة الأولى من أهل الكوفة. وإن جاء في الإصابة ما رواه ابن حجر عن ابن مندة بخصوص زيد: «أن عداداه في أهل الحجاز والمعروف أنه مخضرم».. ويمكن رفع التنافي بين الخبرين بأن زيدا قد

١. انظر الاستيعاب؛ وأسد الغابة؛ والإصابة رقم ٤١٣٤؛ وسير أعلام النبلاء ٣: ٥٢٥؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٢٩٥٧؛ و زاد عليها ابن عساكر ثلاثة أبيات؛ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٧: ١٠٢؛ الأعلام، للزركلي.

سكن الحجاز مدةً، قبل أن يسكن الكوفة مع بني قومه عبد القيس، فعُدَّ مع صعصة وسيحان من سكنتها، كان هذا بعد تمصيرها، واشترآه في فتح العراق.

إضافةً إلى مشاركته في حرب الجمل في صفِّ الإمام عليٍّ عليه السلام ضدَّ الناكثين، وقد نفر من مقرِّه في الكوفة يريد البصرة تلبيةً لنداء الإمام له، وقبل مغادرته الكوفة، كانت له خطبة فيمن خطب في أهل الكوفة، قائلاً: أيُّها الناس، إنه لا بدَّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعزِّ المظلوم ويجمع الناس، وهذا واليكم يدعوكم؛ لينظر فيما بينه وبين صاحبيه، وهو المأمون على الأمة، الفقيه في الدين، فمن نهض إليه فإننا سائرون معه... فلما فرغ سيحان من خطبته، تكلم عمار.

لقد شارك في قتال الناكثين يحمل راية قومه عبد القيس بقوة وثبات، إلى جنب أخويه صعصة وسيحان، واشتدت المعركة، وتنقلت الراية بين الثلاثة؛ يقول ابن منظور وغيره: وكان سيحان الخطيب قبل صعصة، وكانت الراية يوم الجمل في يده، فقتل، فأخذها زيد، فقتل، فأخذها صعصة. قال الطبري: فارتُث صعصة، وفي قول ثانٍ للطبري: وصرع صعصة، وهو ما يتنافا مع كون صعصة بقي حياً إلى أن توفي في عهد معاوية. فيما أُصيب سيحان وأخوه زيد، واستشهدا ودفنا في قبر واحد.^١

بعد استشهاد سيحان رضوان الله عليه، وقد قدمنا الحديث عنه قبل زيد وصعصة؛ بقي علينا أن نقرأ ما بقي مما تيسر لي من سيرة كلٍّ من زيد وصعصة،

١. انظر في هذا كله الاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ وسير أعلام النبلاء ٣: ٥٢٥ رقم ١٣٣ ترجمة زيد بن صوحان؛ ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ترجمة صعصة بن صوحان؛ و تاريخ الطبري ٢: ٢٩٢؛ والإصابة رقم ٣٦٣٢؛ تاريخ الطبري ٣: ٢٧-٤٢ سنة ٣٦؛ كتاب الطبقات أو طبقات خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هجرية) ص ١٤٤. وانظر الإصابة رقم ٢٩١٢ أيضاً.

ونبدأ ببشارة الرسول ﷺ لزيد بالجنة أولاً وبشهادته ﷺ لصعصعة بالإيمان ثانياً.

✽ وأبشروا بالجنة!

لقد بُشِّرَ زيد بأنه من أهل الجنة، بعضه سبقه إلى الجنة، ليلتحق كله به يوم كان بصف علي عليه السلام يُقاتل الناكثين يوم الجمل سنة ست وثلاثين هجرية، فهو صاحب يدٍ مباركة سبقته إلى الجنة، هذا ما جاء بحقه حين رَوَوْا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من سرّه أن ينظر إلى رجل يسبقه بعضُ أعضائه إلى الجنة، فليُنظر إلى زيد بن صوحان».

وقد خصَّصَ البيهقي في كتابه دلائل النبوة باباً أسماه: باب ما روي في إخباره ﷺ عن قتل زيد بن صوحان شهيداً:

فكان كما أخبر قتل يوم الجمل، فعن علي رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن ينظر إلى رجل يسبقه بعضُ أعضائه إلى الجنة، فليُنظر إلى زيد بن صوحان».

وفي خبر آخر، حدّثوا فيه أنَّ رسول الله ﷺ لَمَّا انْصَرَفَ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، نَزَلَ رَجُلٌ فَسَاقَ بِالْقَوْمِ وَرَجَزَ، ثُمَّ نَزَلَ آخَرُ فَسَاقَ بِالْقَوْمِ وَرَجَزَ، ثُمَّ بَدَأَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُوَاسِيَ أَصْحَابَهُ، فَنَزَلَ فَجَعَلَ يَقُولُ:

«جُنْدُبُ وَمَا جُنْدُبُ وَالْأَقْطَعُ الْخَيْرُ زَيْدُ!»

فَدَنَا مِنْهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يَنْفَعُنَا مَشْيُكَ مَخَافَةَ أَنْ تُلْسَعَكَ دَابَّةُ الْأَرْضِ، أَوْ تُصِيبَكَ نَكْبَةٌ، فَرَكِبَ وَدَنُوا مِنْهُ، فَقَالُوا: لَقَدْ قُلْتَ قَوْلًا مَا نَدْرِي مَا هُوَ؟!

قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟

قَالُوا: قَوْلُكَ: «جُنْدُبُ وَمَا جُنْدُبُ وَالْأَقْطَعُ الْخَيْرُ زَيْدُ»!

فَقَالَ: «رَجُلَانِ يَكُونَانِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ يَضْرِبُ أَحَدُهُمَا ضَرْبَةً يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَتَقْطَعُ يَدُ الْآخِرِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَنْتَعِ اللَّهُ آخِرَ جَسَدِهِ بِأَوَّلِهِ!»
فَكَانَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ قُطِعَتْ يَدُهُ يَوْمَ جُلُولَاءَ، وَقُتِلَ يَوْمَ الْجَمَلِ مَعَ عَلِيٍّ.
وَأَمَّا جُنْدُبٌ فَإِنَّهُ رَجُلٌ دَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقَبَةَ، وَعِنْدَهُ سَاحِرٌ يُكْنَى أَبَا شَيْبَانَ يَأْخُذُ أَعْيُنَ النَّاسِ، فَيُخْرِجُ مَصَارِينَ بَطْنِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا فِيهِ، فَجَاءَ مِنْ خَلْفِهِ فَقَتَلَهُ، وَقَالَ:

«إِلْعَنُ وَكِيدًا وَأَبَا شَيْبَانَ

وَابْنَ حُبَيْشٍ رَاكِبَ الشَّيْطَانِ

رَسُولَ فِرْعَوْنَ إِلَى هَامَانَ».

أما ابن عبد البر فقد ذكر في استيعابه أنه رُوي من وجوه أن النبي ﷺ كان في مسيرة له، فبينما هو يسير، إذ هوَّم، فجعل يقول: «زيد وما زيد! جندب وما جندب!»

فسئل عن ذلك فقال: «رجلان من أمتي؛ أما أحدهما فتسبقه يده»، أو قال: «بعض جسده إلى الجنة، ثم يتبعه سائر جسده. وأما الآخر فيضرب ضربة يفرق بها بين الحق والباطل».

قال أبو عمر أصيبت يد زيد يوم جلولاء، ثم قتل يوم الجمل مع علي بن أبي طالب..

وكما ذكرنا أعلاه أن أحد شعراء عبد القيس، وهو ينشد شعره فخراً بقبيلته ورجالها؛ لم يغفل عن ذكر زيد فقال:

وكفى بزيد حين يُذكر فعله طوبى لذلك من صريع مُكرم

ذاك الذي سبقت لطاعة ربّه منه اليمينُ إلى الجنان الأنعم.^١
أيّ عبد صالح هذا، الذي يكون النظر إليه يدخل السرور على القلوب؟!
وفعلًا؛ سبقتَه يده إلى الجنة، بعد أن قطعت في سبيل الله كما هي شهادة
رسول الله ﷺ ولكنهم اختلفوا في أي يوم سبقتَه حين قطعت، ذهب بعضهم إلى أنها
قطعت يوم نهاوند، معركة وقعت في الخلافة الثانية سنة ٢١، وقيل ١٨ أو ١٩
هجريّة، قرب مدينة نهاوند في بلاد فارس. وبعضهم ذهب إلى أنها قطعت يوم
جلولاء سنة ١٦ هجريّة.

وثالث ذهب إلى أن ذلك كان يوم القادسية سنة ١٥ هجريّة.
ورابع ذهب إلى أنه: «كان ذلك في جيش عليهم سلمان الفارسي، فكان
يؤمهم زيد بن صوحان، يأمره بذلك سلمان».

فيما العبارة في تاريخ بغداد: «قطعت يد زيد في جهاده المشركين، وعاش بعد
ذلك دهرًا حتى قتل يوم الجمل». دون أي إشارة إلى الوقت أو اسم المعركة، واكتفى
بذلك، وقد يفهم من عبارته أنّ اليد المذكورة، قطعت في العصر النبويّ حين كان
هناك قتال ضدّ المشركين.

كما وقع الاختلاف في أيهما قطعت؛ اليمين أو الشمال، فقد ذكر بعضهم أنها
الشمال، فقد روي أنّ زيد بن صوحان يحدث، فقال أعرابي: إنّ حديثك يعجبني،
وإنّ يدك لتربيني. قال: أو ما تراها الشمال؟

قال: والله ما أدري اليمين يقطعون أم الشمال؟

فقال زيد: صدق الله: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا

١. انظر دلائل النبوة للسيهقي ٦ : ٤١٦، وغيره؛ وطبقات ابن سعد ٦ : ٨٤؛ وكتاب الأغاني ٥ :

١٤٤، رقم الحديث ١٤٧؛ والاستيعاب؛ وأسد الغابة وغيرها.

أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ. فذكر الأعمش أنَّ يده قطعت يوم نهاوند.

فيما سكت غيرهم.

وإن وردت اليمين في بيت الشعر أعلاه.^١

* يشهده عصابة من المؤمنين!

وكذا صعصة، فقد وردت فيه ونخبة من المؤمنين شهادة من النبي ﷺ بالإيمان. فمن مظاهر فساد وظلم الخلافة الثالثة نفيها للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري إلى الربذة، حيث مكان وفاته رضوان الله عليه، وإذا بصعصة مع رهط من الحجيج قد أقبلوا من مكة؛ من بيت الله الحرام، فكان مرورهم بالربذة، إذ بامرأة تعلق مرتفعاً راحت تلوي بطرف رداؤها إليهم، تنادي: يا عباد الله المسلمين، يا عباد الله الصالحين، هذا أبوذر هلك غريباً، ليس لي من يعينني عليه، فأسرعوا إليه، وحضروا وفاته، وشاركوا في دفنه، فكان صعصة ممن شملته شهادة رسول الله ﷺ بالإيمان: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض، تشهده عصابة من المؤمنين...»^٢.

ولمكانة زيد بن صوحان عند كبار الصحابة؛ ها هو سلمان الحمدي، الفارسي؛ على جلالة قدره وعلو شأنه في الإسلام، يقدم زيدا يأمُّ الناس في صلاة الجمعة، فقد ذكروا أنه كان في جيش عليهم سلمان الفارسي، فكان يؤمهم زيد بن

١. انظر الطبقات لابن سعد ٦ : ٨٥؛ وسير أعلام النبلاء ٣ : ٥٢٦ — ٥٢٧؛ الاستيعاب ١ : ٥٤٠؛

الإصابة ١ : ٥٦٦؛ تاريخ بغداد ٨ : ٤٤٠؛ باب الزاي رقم ٤٥٠٢؛ الإصابة؛ وتاريخ ابن عساکر.

٢. الاستيعاب؛ طبقات ابن سعد؛ شرح نهج البلاغة ١٥ : ٩٩-١٠٠؛ وفتوح ابن أعثم ٢ : ١٦١-

١٦٢؛ وانظر مقالتنا «أبوذر الغفاري، وحده» مجلة ميقات الحج ١٣ : ١٩٨.

صوحان يأمره بذلك سلمان.

أن سلمان كان يقول لزيد بن صوحان يوم الجمعة: قم، فذكر قومك؛ وأما منزلته عند الخليفة الثاني، فتظهر جليّةً بعد ذكرهم للكوفة وأنها بعد أن مُصِّرت، سكنها المسلمون ومنهم زيد مع لقيف من قومه عبدالقيس، قدم وفد من الكوفة فيه زيد على عمر بن الخطاب، فجاءه رجل من أهل الشام يستمد.

فقال: يا أهل الكوفة إنكم كنز أهل الإسلام، إن استمدكم أهل البصرة، أمددتموهم، وإن استمدكم أهل الشام، أمددتموهم.

وجعل عمر يرحل لزيد، وقال: يا أهل الكوفة هكذا فاصنعوا بزيد وإلا عذبتكم.

و دعا عمر زيد بن صوحان، فضفّنه على الرحل كما تضيفون أمراءكم، ثم التفت إلى الناس، فقال: اصنعوا هذا بزيد وأصحاب زيد.^١

هذا بعض ما جاء في زيد، وسيأتي مزيد، أما صعصة، فقد تميّز هو الآخر بمؤهلاته الخطابية، والخطابة تعدُّ الفن البياني الأكثر قدرةً في التأثير، والأعظم وسيلةً لإبلاغ المراد، وهي دليل نباهة الخطيب وبيانه وفصاحته، ومن خلالها كما من خلال الشعر، تُعرف مهارة الإنسان وقدرته البيانية في إيصال أفكاره، وبها يحتلّ الإنسان مكانته الثقافية والاجتماعية، ولأهمية الخطابة وخطورتها، أشار الإمام عليّ عليه السلام بهذه الصفة، «هذا الخطيب الشحشح» ومعناها هنا: الخطيب الماهر بالخطبة، الماضي فيها...

وهذا ابن أبي الحديد بعد أن يذكر وصف الإمام عليه السلام لصعصة، يقول:

١. سير أعلام النبلاء للذهبي؛ والإصابة؛ وطبقات ابن سعد: زيد بن صوحان.

«إنَّ الشَّحْشَحَ يَأْتِي بِمَعْنَى الْغِيُورِ، وَالشَّجَاعِ، وَالْمَوَاطِبِ عَلَى الشَّيْءِ الْمُلَازِمِ لَهُ، وَالشَّحْشَحُ: الْحَاوِي، وَمِثْلُهُ الشَّحْشَحَانُ. وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ قَالَهَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَصَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ الْعَبْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ».

ثُمَّ يَعْقِبُ قَائِلًا: «وَكَفَى صَعْصَعَةَ بِهَا فَخْرًا أَنْ يَكُونَ مِثْلَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُثْنِي عَلَيْهِ بِالْمَهَارَةِ وَفَصَاحَةِ اللِّسَانِ؛ وَكَانَ صَعْصَعَةُ مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ، ذَكَرَ ذَلِكَ شَيْخُنَا أَبُو عَثْمَانَ الْجَا حِظَّ».

وَكَذَا كَانَ أَخُوَاهُ زَيْدٌ وَسِيحَانُ، فَهَذَا ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، بَعْدَ أَنْ يَقُولَ عَنْ صَعْصَعَةَ: - وَكَانَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ قَوْمِهِ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَكَانَ فَصِيحًا خَطِيبًا عَاقِلًا لَسَنًا دِينًا فَاضِلًا بَلِيغًا يَعُدُّ فِي أَصْحَابِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَذْكُرُ مَا قَالَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ عَنْ الثَّلَاثَةِ: صَعْصَعَةُ وَزَيْدٌ وَسِيحَانُ - بَنُو صُوحَانَ - كَانُوا خُطَبَاءَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ... وَمَا قَالَهُ الشَّعْبِيُّ: كُنْتُ أَتَعَلَّمُ مِنْهُ الْخُطْبَ.

وَكَذَا قَالَ عَنْهُ أَصْحَابُ التَّرَاجِمِ وَالسِّيَرِ، فَهَذَا الذَّهَبِيُّ يَقُولُ عَنْهُ: كَانَ أَحَدَ خُطَبَاءِ الْعَرَبِ، كَانَ شَرِيفًا مَطَاعًا أَمِيرًا فَصِيحًا مَفْهُومًا، ... يَقَالُ: وَفَدَّ عَلَى مَعَاوِيَةَ فَخُطِبَ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأُبْغِضُ أَنْ أَرَاكَ خُطِيبًا، قَالَ: وَأَنَا، إِنْ كُنْتُ لَأُبْغِضُ أَنْ أَرَاكَ خَلِيفَةً!

وَأَيْضًا الزَّرْكَلِيُّ فِي أَعْلَامِهِ: كَانَ خُطِيبًا، بَلِيغًا، عَاقِلًا، لَهُ شَعْرٌ.

وَيُمَيِّزُ أَيْضًا بِحِكْمَتِهِ وَبِقُدْرَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ، حَتَّى دَفَعْتَ ابْنَ عَبَّاسٍ لِيَقُولَ لَهُ:

«أَنْتَ يَا ابْنَ صُوحَانَ بَاقِرُ عِلْمِ الْعَرَبِ». وَمَعَ كَوْنِهِ أَحَدُ مَنْ حَوْلَهُ سَنًا،

فَإِنَّ عِلْمَهُ كَانَ مَعْرُوفًا وَحِكْمَتَهُ وَاضِحَةً لَدَيْهِمْ؛ فَقَدْ جَاءَ عَنْ بَرِيدَةَ: بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ بِالْكُوفَةِ فِي مَجْلِسٍ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلًا، وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمًا، وَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ عِيَالًا».

فَقَالَ صَعْصَعَةُ وَهُوَ أَحَدُ الْقَوْمِ سَنًا: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ لَمْ يَقُلْهَا كَانَ

كذلك».

فتوسّمه رجل من الجلساء، فقال له، بعدما تصدّع القوم من مجلسهم: ما حملك على أن قلت: صدق نبيُّ الله ﷺ ولو لم يقلها كان كذلك؟! قال: بلى، أما قول النبي ﷺ: «إنَّ من البيان سحراً»، فالرجل يكون عليه الحقُّ، وهو ألحنُّ بالحجج من صاحب الحقِّ، فيُسحر القومَ ببيانه، فيذهب بالحقِّ وهو عليه.

وأما قوله: «إنَّ من العلم جهلاً»، فيكلف العالم إلى علمه ما لا يعلم فيجهله ذلك. وأما قوله: «إنَّ من الشعر حكماً»، وفي بعض المصادر (حكمة) فهي هذه المواعظ والأخبار التي يتعظها الناس. وأما قوله: «إنَّ من القول عيلاً»، فعرضك كلامك وحديثك إلى ما ليس من شأنه ولا يريده.

لقد رفعت قدراته هذه وغيرها لا في قومه فحسب، بل جعلته موضع احترام وتقدير عند الجميع، فنراه مع كونه ما زال شاباً، لا يتوقف أن يضع رأياً أو قولاً أو موقفاً يراه صائباً نافعاً بين أيدي كبار الناس ومشايخهم؛ وهذا ما نجده، وهو يسجل رأيه بل اعتراضه على الخليفة الثاني، فقد ذكروا أنَّ صعصة هو القائل لعمر بن الخطاب، حين قسم المال الذي بعثه إليه أبو موسى، وكان ألف ألف درهم، وفضلت فضلة فاختلفوا، أين نضعها؟

فخطب عمر الناس، وقال: أيها الناس، قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس.

فقام صعصة بن صوحان، وهو غلام شاب، وقال: يا أمير المؤمنين، إنما تشاور الناس فيما لم ينزل فيه قرآن، فأما ما نزل به القرآن فضعه مواضعه التي وضعه الله عزّ وجلّ فيها.

فقال: صدقت، أنت مني وأنا منك. فقسّمه بين المسلمين.^١

رسالة صعصعة لعقيل:

وهنا لا بدّ لي من أن أذكر ما كتبه صعصعة لعقيل بن أبي طالب عندما وردّه وصف عقيل لآل صوحان أمام معاوية، حين طلب منه قائلاً: ميز لي أصحاب علي وأبدأ بآل صوحان فإنهم مخاريق الكلام!

قال: أما صعصعة فعظيم الشأن غضب اللسان قائد فرسان قاتل أقران يرتق ما فتق ويفتق ما رتق قليل النظر وأما زيد وعبد الله فإنهما نهران جاريان يصب فيهما الخلدجان ويغاث بهما البلدان رجلا جد لا لعب منه وأما بنو صوحان كما قال الشاعر:

إذا نزل العدو فإن عندي أسوداً تخلص الأسد النفوسا

فكلام صعصعة يدل على ما يتمتع به الرجل من إيمان صادق وعمق ومعرفة، فكان له محذراً ناصحاً، مبيناً مناقب أهل البيت (عليهم السلام) ودورهم في هداية الناس.. كان ذلك حين اتصل كلام عقيل بصعصعة، فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون، وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة.

أما بعد، فقد بلغ مولاك كلامك لعدو الله وعدو رسوله، فحمدت الله على

١. انظر لسان العرب ٨ : حرف الشين: شح؛ وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٩: ١٠٦ رقم ٢٥٩؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي المالكي (ت ٤٦٣)؛ تهذيب الكمال، للمزني عن طبقات ابن سعد؛ وأسد الغابة، لابن الأثير حرف الصاد؛ ومروج الذهب ٢ : ٣٤٤-٣٤٥؛ وسير أعلام النبلاء؛ والأعلام، صعصعة بن صوحان؛ وانظر العلل، لابن أبي حاتم رقم الحديث: ٢٣٢٩، ومختصر تاريخ دمشق، لابن منظور ٤ : ٤ صعصعة بن صوحان.

ذلك وسألته أن يفيء بك إلى الدرجة العليا والقضيب الأحمر والعمود الأسود، فإنه عمود من فارقه فارق الدين الأزهر.

ولئن نزع بك نفسك إلى معاوية طلباً لماله؛ إنك لذو علم بجميع خصاله، فاحذر أن تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة! فإن الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم، فما كان من فضل أو إحسان فبكم وصل إلينا، فأجل الله أقداركم وحى أخطاركم وكتب آثاركم، فإن أقداركم مرضية وأخطاركم محمية وآثاركم بدرية، وأنتم سلم الله إلى خلقه ووسيلته إلى طرقه، أيدٍ عليه ووجوهٍ جلية، وأنتم كما قال الشاعر:

فما كان من خير أتوه وإنما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل!

لقد أعطيت لساناً حديداً!

هذا ما قاله معاوية لصعصعة بعد أن لم يترك له عذراً، ولم يستطع عليه حجة ولم يطق معه صبراً، تعال معي أيها القارئ العزيز؛ لنرى - باختصار - كيف أجاب معاوية وفند آراءه وأقواله في العديد من اللقاءات:

في سنة ٣٣ هجرية، بعد أن قدم سعيد بن العاص الكوفة والياً عليها من قبل الخلافة الثالثة، حدثت مشاجرة بينه وبين جمع من وجوه الكوفة، كان بينهم مالك بن الحارث الأشتر النخعي، وصعصعة وزيد ابنا صوحان العبديان، وكانا مقيمين في الكوفة حتى عدا من وجوه أهلها، فكتب سعيد إلى عثمان: أن رهطاً من أهل الكوفة ستمهم له عشرة يؤلبون ويجمعون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا، وقد

خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثرُوا.

فكتب إليه: أن سيرهم إلى معاوية، وكتب عثمان إلى معاوية أن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خُلِقُوا للفتنة، فرُعهم، وقم عليهم، فإن آنستَ منهم رشداً، فاقبل منهم. وإن أعيوك فارددهم عليهم.

ففي لقاء بل وأكثر من لقاء؛ راح معاوية يشيد بأبيه أبي سفيان وبين عظمته، وبالتالى عظمته هو؛ وقد سبق ذلك هجومه على صعصة وقبيلته واتهامه وهجاؤه لهم ولمن سير معه من الكوفة إلى الشام.. جاء كل هذا من كلام طويل له معهم:

... فَأَمَّا أَنْتَ يَا صَعْصَعَةُ فَإِنَّ قُرَيْتَكَ شَرُّ قُرَى عَرَبِيَّةٍ، أَتَتْهَا نَبْتًا، وَأَعْمَقُهَا وَادِيًا، وَأَعْرِفُهَا بِالشَّرِّ، وَالْأَمُّهَا جِرَانًا، لَمْ يَسْكُنْهَا شَرِيفٌ قَطُّ وَلَا وَضِيعٌ إِلَّا سُبَّ بِهَا، وَكَانَتْ عَلَيْهِ هُجْنَةٌ، ثُمَّ كَانُوا أَفْبَحَ الْعَرَبِ أَلْقَابًا، وَالْأَمَّةُ أَصْهَارًا، نُزَاعَ الْأُمَمِ، وَأَنْتُمْ جِرَانُ الْخَطِّ وَفَعْلَةُ فَارِسٍ، حَتَّى أَصَابَتْكُمْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَكَبْتُمْ دَعْوَتَهُ، وَأَنْتَ تَزِيعُ شَطِيرٍ فِي عُمَانَ، لَمْ تَسْكُنِ الْبَحْرَيْنِ فَتُشْرِكْهُمُ فِي دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَنْتَ شَرُّ قَوْمِكَ، حَتَّى إِذَا أُبْرَزَكَ الْإِسْلَامُ، وَخَلَطَكَ بِالنَّاسِ، وَحَمَلَكَ عَلَى الْأُمَمِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْكَ، أَقْبَلْتَ تَبْغِي دِينَ اللَّهِ عِوَجًا، وَتَنْزَعُ إِلَى اللَّامَةِ وَالذَّلَّةِ وَلَا يَضَعُ ذَلِكَ قُرَيْشًا، وَلَنْ يَضُرَّهُمْ، وَلَنْ يَمْنَعَهُمْ مِنْ تَأْدِيَةِ مَا عَلَيْهِمْ،... وَإِنِّي لَأُظَنُّ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ، لَوْ وَلَدَ النَّاسُ لَمْ يَلِدْ إِلَّا حَازِمًا.

وهنا انبرى له صعصة قائلاً: «كذبت، قد ولد لهم خيرٌ من أبي سفيان، مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَهُ، فَكَانَ فِيهِمُ الْبِرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْأَحْمَقُ وَالْكَيْسُ».

وجاء تجاوزه ذاك بعد أن أسمعته صعصة ما لا يُرضيه، فقد قال لهم معاوية يوماً من أيام لقاآته بهم - ويبدو أنه في أول لقائه بهم بعد وصولهم الشام - : إِنَّكُمْ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ لَكُمْ أَسْنَانٌ وَالْأَسْنَةُ، وَقَدْ أَدْرَكْتُمْ بِالْإِسْلَامِ شَرْفًا وَعَلَبْتُمْ الْأُمَمَ

وَحَوَيْتُمْ مَرَاتِبَهُمْ وَمَوَارِيثَهُمْ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ نَقِمْتُمْ قُرَيْشًا، وَأَنْ قُرَيْشًا لَوْ لَمْ تَكُنْ عُدْتُمْ أَذِلَّةً كَمَا كُنْتُمْ، إِنَّ أَيْمَتَكُمْ لَكُمْ إِلَى الْيَوْمِ جُنَّةٌ فَلَا تَشْدُوا عَنْ جُنَّتِكُمْ، وَإِنْ أَيْمَتَكُمْ الْيَوْمَ يَصْرُبُونَ لَكُمْ عَلَى الْجَوْرِ، وَيَحْتَمِلُونَ مِنْكُمْ الْمُنُونَةَ، وَاللَّهُ لَتَنْتَهِنَ أَوْ لَيَبْتَلِيَنَّكُمْ اللَّهُ بَنَ يَسُومُكُمْ، ثُمَّ لَا يَحْمَدُكُمْ عَلَى الصَّبْرِ، ثُمَّ تَكُونُونَ شُرَكَاءَ لَهُمْ فِيمَا جَرَرْتُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِي حَيَاتِكُمْ وَبَعْدَ مَوْتِكُمْ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ قُرَيْشٍ فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ أَكْثَرَ الْعَرَبِ وَلَا أَمْنَعَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتُخَوِّفُنَا، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْجُنَّةِ فَإِنَّ الْجُنَّةَ إِذَا اخْتَرَقَتْ خُلَصَ إِلَيْنَا.

هذا في تاريخ الطبري ٢ : ٦٣٥، سنة ٣٣، لم يصرح باسم الرجل القائل، إلا أن المقطع الذي ذكره الطبري قد يشير إلى أنه صعصعة، ولكن ابن الأثير ذكره صراحة حيث قال: فقال رجل منهم وهو صعصعة:...

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: عَرَفْتُكُمْ الْآنَ، عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي أَغْرَاكُمْ عَلَى هَذَا قِلَّةُ الْعُقُولِ، وَأَنْتَ خَطِيبُ الْقَوْمِ، وَلَا أَرَى لَكَ عَقْلاً، أَعْظَمُ عَلَيْكَ أَمْرَ الْإِسْلَامِ، وَأَذْكَرُكَ بِهِ، وَتَذَكَّرُنِي الْجَاهِلِيَّةَ! وَقَدْ وَعَظْتُكَ وَتَزَعَّمُ لِمَا يَجْنُكَ أَنَّهُ يُخْتَرَقُ، وَلَا يُنْسَبُ مَا يُخْتَرَقُ إِلَى الْجُنَّةِ،... أَفْ لَكَ وَلَا صَحَابَكَ! وَلَوْ أَنَّ مَتَكَلَّمًا غَيْرَكَ تَكَلَّمَ، وَلَكِنَّكَ ابْتَدَأْتَ...^١

فخرج تلك الليلة من عندهم، ثم أتاهم القابلة، فتحدث طويلاً، ومما قاله: «أَيُّهَا الْقَوْمُ، رُدُّوا عَلَيَّ خَيْرًا أَوْ اسْكُتُوا وَتَفَكَّرُوا وَأَنْظَرُوا فِيمَا يَنْفَعُكُمْ وَيَنْفَعُ أَهْلِيكُمْ، وَيَنْفَعُ عَشَائِرَكُمْ، وَيَنْفَعُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، فَاطْلُبُوهُ تَعِيشُوا وَنَعِشْ بِكُمْ. فَقَالَ صَعْصَعَةُ: لَسْتُ بِأَهْلٍ ذَلِكَ، وَلَا كَرَامَةً لَكَ أَنْ تُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

١. انظر تاريخ الطبري ٢ : ٦٣٥ سنة ٣٣؛ والكامل في التاريخ، لابن الأثير سنة ٣٣ سير عثمان نفراً من أهل الكوفة إلى الشام؛ ونهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري ٥ : ٣٠٦.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:.... وَأَمْرُكُمْ بِتَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَكَرَاهَةِ الْفُرْقَةِ، وَأَنْ تُوقِرُوا أَيْمَتَكُمْ وَتَدُلُّوهُمْ عَلَى كُلِّ حَسَنٍ مَا قَدَرْتُمْ، وَتَعْظُوهُمْ فِي لَيْلٍ وَلُطْفٍ فِي شَيْءٍ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ... فَقَالَ صَعْصَعَةُ: " فَإِنَا نَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ عَمَلَكَ، فَإِنَّ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ أَبُوهُ أَحْسَنَ قَدَمًا مِنْ أَبِيكَ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ أَحْسَنَ قَدَمًا مِنْكَ فِي الْإِسْلَامِ...».

وفي الفتوح: قال معاوية: قاتلك الله يا صَعْصَعَةُ! قد أعطيت لساناً حديداً... أخرج عني، أخرجك الله إلى النار! ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ:.... فَإِنَّكَ بَعَثْتَ إِلَيَّ أَقْوَامًا يَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنَةِ الشَّيَاطِينِ وَمَا يُمْلُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَأْتُونَ النَّاسَ - زَعَمُوا - مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ، فَيُشَبِّهُونَ عَلَى النَّاسِ، وَكَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَعْلَمُ مَا يُرِيدُونَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ فُرْقَةً، وَيُقَرِّبُونَ فِتْنَةً، قَدْ أَثْقَلَهُمُ الْإِسْلَامُ وَأَضْجَرَهُمْ، وَتَمَكَّنَتْ رُفَى الشَّيْطَانِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، فَقَدْ أَفْسَدُوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَلَسْتُ أَمِنُ إِنْ أَقَامُوا وَسَطَ أَهْلِ الشَّامِ أَنْ يُغْرَوْهُمْ بِسِحْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ، فَارْدُدْهُمْ إِلَى مِصْرِهِمْ، فَلَتَكُنْ دَارُهُمْ فِي مِصْرِهِمْ الَّذِي نَجَمَ فِيهِ نِفَاقُهُمْ، وَالسَّلَامُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ يَأْمُرُهُ أَنْ يَرُدَّهُمْ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بِالْكُوفَةِ، فَارْدُدَّهُمْ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَكُونُوا إِلَّا أَطْلَقَ السِّنَةَ مِنْهُمْ حِينَ رَجَعُوا. وَكَتَبَ سَعِيدٌ إِلَى عُثْمَانَ يَضِجُ مِنْهُمْ، فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى سَعِيدٍ أَنْ سِيرَهُمْ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى حِمصَ...

وفي خبر أنه لما خرجوا من دمشق، سمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان على حمص فدعاهم إليه، وأسمعهم كلاماً قاسياً وتوعدهم بالسوء، كانت بدايته: (يا آله الشيطان لا مرحباً بكم ولا أهلاً...) وأبقاهم عنده شهراً، ثم سرحوا

إلى الكوفة أو هم فرّوا إليها من قبضة عبد الرحمن بعد غيابه عن حمص...^١

الفساد في الخلافة الثالثة:

مع ما جرى لهذه النخبة المؤمنة، لم تتوقف سيرة صعصة وزيد ومن معهما في ملاحقة والي الكوفة، وقد تردت الأوضاع فيها وساءت، وكلما ازدادت حياة الناس سوءاً، والولاة فساداً، تعالى استنكارهم وتوقّدت نيران غضبهم، واشتدت مواقفهم واتسعت لتتعدى الكوفة، فاختاروا وفداً كان من بين أعضائه كلٌّ من زيد وصعصة؛ لمقابلة الخليفة عثمان، وكان مطلبهم عزل سعيد عن ولاية الكوفة، ولم يجدوا من الخليفة إلاّ الغضب عليهم، ولأنّ صعصة كان هو خطيب الجمع، ولأنه أكثر الكلام عنده، جاء ردُّ عثمان عليه شديداً، واصفاً إياه بالبجباة النفاخ، فقال: «أيها الناس إنّ هذا البجباة النفاخ لا يدري ما الله ولا أين الله».

قال في الفائق: البجباة الذي يهمز الكلام وليس لكلامه جهة، وروي الفجفاج وهو الصياح المكثّر، وقيل المأفون المختال. والنفاخ الشديد الصلف. «لا يدري ما الله ولا أين الله». معناه أن حاله وفي وضع لسانه من إكثار الخطل وما لا ينبغي أن يقال كل موضع كحال من لا يدري أن الله سميع لكل كلام؛ عالم بما يجري في كل مكان. ولم ينسبه إلى الكفر وقد شهد صعصة مع علي رضي الله عنه يوم الجمل، وكان من أخطب الناس، وأخوه زيد الذي قال فيه النبي ﷺ: «زيد الخير الجذم من الخيار الأبرار».^٢

وتوالى الوفود من الكوفة ومصر وغيرهما على مقر الخلافة في المدينة؛

١. تاريخ الطبري ٢ : ٥٣٩-٦٣٤، سنة ٣٣؛ والفتوح، لابن أعثم الكوفي ٢ : ١٧٧؛ وأنساب الأشراف ٥ : ٤٣؛ والكامل في التاريخ، لابن الأثير (٦٣٠هـ) سنة ٣٣.
٢. انظر الفائق في غريب الحديث، الزمخشري جار الله، (ت ٥٣٨هـ).

هدفها إنهاء الفساد الذي راح ينخر جسد الأمة، ولما اشتد الضغط على الخليفة، راح يعطي العهد تلو الآخر دون أن يفي بشيء منها، كما باءت كل المحاولات للإصلاح بإنهاء أسباب الفساد والتجاوز على أحكام الله وحقوق الناس؛ حتى انتهى الأمر بقتله، فازدادت الأمة اضطراباً وتفرقاً، وعمت الفوضى، واعتدى على أحكام الدين ومفاهيمه، وعلى الصالحين من أهل الحق ورجاله؛ وغدا التأويل سيد الموقف، فتحكمت قاعدة من تأول فأصاب فله أجران ومن تأول فأخطأ فله أجر، فصار الجميع في أفعالهم وأقوالهم وما صدر منهم ووقع وإن سفكت بسببه الدماء وانتهكت به المحارم، ودمر بسببه الحرث والنسل؛ في دائرة الاجتهاد الذي يمد هؤلاء وهؤلاء بالقوة والحقانية، وبالتالي لا يحرمهم من عطاء السماء، فكلاً وعد الله الحسنى، فلا إثم عليهم ولا حساب لا في قضاء الدنيا ولا في قضاء الآخرة، وبالتالي توقف القضاء الحق، وضاعت الحقوق، وصار القاتل والمقتول، والظالم والمظلوم سواء في هذه الأمة مع اختلاف في الأجر، واحد له أجران والآخر له أجر، أي استهانة هذه بالدين وأي عدالة هذه، وأي استخفاف بالعقول؟!

إنه لأمر يوجع القلوب حقاً، لا أقول غيره، فالمقالة ليست مجالاً لمناقشة قاعدتهم المذكورة، التي بانّت خطورتها وأضرارها حينما وسعوا دائرة عملها من استنباط الأحكام الشرعية من منابعها من قبل المستنبط ذي القدرة العلمية، ببذل جهده وإفراغ وسعه، مع ورع في الدين وإخلاص وصدق في العمل والسلوك، إلى مواقف الحياة السياسية والاجتماعية... فاستخدمت استخداماً سيئاً في تاريخنا، وتركت آثارها على العقائد والسلوكيات حتى يومنا هذا، بل حتى يأتينا اليقين!!

البيعة للإمام علي عليه السلام:

عرف أبناء صوحان باتباعهم المطلق للإمام علي عليه السلام، فحبهم لعلي عليه السلام ابّنى على معرفة به، وبإمامته الحقّة، فلم يتغير، وولاءهم له

لم يتبدل، فلقد رأوا في عليٍّ عليه السلام - وهو الحقُّ - علاقته المتينة بالله تعالى وذوبانه فيه، بعد معرفته بالله (فأول الدين معرفته)، وهو ما وجدوه في عشرتهم له، ولمسوه في مصاحبتهم إياه، ولم يجدوا مثيلاً له بعد رسول الله ﷺ فتمسَّكوا فيه أيما تمسَّك؛ ولاذوا به، فتفانوا دفاعاً عنه؛ لأنَّ الدفاع عنه دفاع عن منهج السماء، وعن الهدى الذي تمثل فيه...

وهذا ما نجده واضحاً في كلمات صعصة حينما أتاه عائداً، وهي دليل معرفته به: «... يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً، فوالله لقد كان الله في صدرك عظيماً، ولقد كنتَ بذات الله عليمًا!»

فيجيبه الإمام عليٌّ عليه السلام: «... وأنت يرحمك الله، فلقد كنت خفيف المؤونة، كثير المعونة». وفي خبر آخر: «و الله ما علمتك إلا كثير المعونة، قليل المؤونة، فجزاك الله خيراً».

ويجيبه صعصة قائلاً: «و أنت فجزاك الله أحسن من ذلك، فإنك ما علمتك إلا بالله عليم، والله في عينك عظيم!»

ولم يغفل صعصة سيرة عليٍّ معه ومع جميع أصحابه، وكذا سيرتهم معه: «كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قيادٍ، وكنا نهاه مهابة الأسير المربوط للسيِّف الواقف على رأسه»^١.

لقد كانت مبادرته وأخوته إلى بيعة الإمام عليٍّ عليه السلام بالخلافة أمراً أملاه عليهم ولاؤهم الصادق له، ومعرفتهم بأحقِّيته ﷺ، المنبثقة من إيمانه الخالص، ومواقفه العظيمة دفاعاً عن الإسلام، ومناقبه الجليلة، ومؤهلاته الكبيرة، التي أفاضها

١. مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني : ٥٠؛ شرح نهج البلاغة، ١ : ٢٥، القول في نسب أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ وذكر لمع يسيرة من فضائله؛ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ١ : ٣٢٣.

الله تعالى عليه؛ حتى جعلت إمامته إمامة الحق، وخلافته لرسول الله ﷺ هي وحدها الخلافة الصالحة العارفة، الجديرة بإقامة الحق والعدل، وتطبيق أحكام الشريعة، إلا أن هذه التجربة، التي راح الجميع يترقبها بشوق ولهفة، وينتظر منها أن تحقق الآمال عبر قيامها في إدارة شؤون الأمة، صدّت وحوصرت من قبل ذوي الأحقاد والضغائن، ومتبعي الأهواء، ومحبي السلطة والمال، الذين ما اجتمعت موافقهم يوماً واتحدت، رغم اختلافهم في الكثير، إلا على تفويض خلافة الإمام علي عليه السلام، بل القضاء عليها حتى وإن عظم حجم الفساد الذي أدخلوه على الدين، وعلى كاهل هذه الأمة بتمزيقها، وإهلاك حرثها ونسلها... والإساءة لكل خير، بل والإطاحة به...

... وكان القاسطون، فكانت حرب صفين... وكان المارقون، فكانت حرب النهروان. وهكذا اشتدت الأزمات، وتوالت الموانع، وعظمت العقبات، التي نصيها هؤلاء لإفشال منهج الإصلاح والتغيير في الأمة بعد أن أفسد أوضاعها من لم يكن جديراً بإدارتها.

فكان الناكثون، وكانت حرب الجمل: وقبل أن تقع معركة الجمل وتبدأ فصولها؛ قدم الإمام الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر وقيس بن سعد الكوفة مستنفرين أهلها، وكان معهم كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل الكوفة... وبعد قراءة الكتاب، كانت هناك خطبة للإمام الحسن عليه السلام، تبعه كل من عمار بخطبة وقيس بأخرى...

وكانت لزيد خطبة:

ثم جاء دور زيد بن صوحان؛ ليرد على خطبة أبي موسى الأشعري، التي راح يثبّط بها الناس عن الخروج، «... أشيموا سيوفكم، وقصروا رماحكم، وقطعوا أوتاركم، والزموا البيوت...».

فنهض ورفع يده - وكانت يده قطعت يوم جلولا - ثم قال: «يا أبا موسى تريد أن ترد الفرات عن أدراجه، أنه لا يرجع من حيث بدأ، فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد، ويلك! ما لست مدركه. ﴿الْم﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾»^١

ثم قال: أيها الناس، سيروا إلى أمير المؤمنين، وأطيعوا ابن سيد المرسلين (الإمام الحسن)، وانفروا إليه أجمعين تصيبوا الحق، وتظفروا بالرشد، قد والله نصحتكم، فاتبعوا رأيي ترشدوا».

* كان صعصة أول من حمل نصيحة الإمام علي عليه السلام لأصحاب الجمل، وذلك حين سار أمير المؤمنين (عليه السلام) من ذي قار قدم صعصة بن صوحان بكتاب علي (عليه السلام) إلى طلحة والزبير وعائشة يعظم عليهم حرمة الإسلام، ويخوفهم فيما صنعوه، وقبيح ما ارتكبوه من قتل من قتلوا من المسلمين، وما صنعوا بصاحب رسول الله ﷺ عثمان بن حنيف رحمه الله، وقتلهم المسلمين صبراً. ووعظهم ودعاهم إلى الطاعة، قال صعصة رحمه الله: «فقدمت عليهم، فبدأت بطلحة، وأعطيته الكتاب وأديت الرسالة».

فقال: «الآن حين عضت ابن أبي طالب الحرب ترفق لنا. ثم جئت إلى الزبير فوجدته ألين من طلحة، ثم جئت إلى عائشة فوجدتها أسرع الناس إلى الشر، فقالت: نعم قد خرجت للطلب بدم عثمان، والله لأفعلن وأفعلن. فعدت إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلقينته قبل أن يدخل البصرة، فقال: ما وراءك يا صعصة؟

قلت: يا أمير المؤمنين رأيت قوماً ما يريدون، إلا قتالك.
فقال: الله المستعان»^١

وكتبت إلى زيد

قبل وقوع معركة الجمل، راحت رسائل أم المؤمنين عائشة تصل إلى العديد من الشخصيات، تستنصرهم على علي عليه السلام، أو تثبطهم وتحذلهم ومن معهم عن نصره علي عليه السلام، وكان منها رسالتها إلى زيد بن صوحان العبدى إذ قدمت البصرة:

من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان. سلام عليك، أما بعد: فإن أباك كان رأساً في الجاهلية، وسيداً في الإسلام، وإنك من أبيك بمنزلة المصلى من السابق، يقال: كاد أو لحق، وقد بلغك الذي كان في الإسلام من مصاب عثمان بن عفان، ونحن قادمون عليك، والعيان أشفى لك من الخبر، فإذا أتاك كتابي هذا، فأقدم فانصرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل، فثبط الناس عن علي بن أبي طالب، وكن مكانك حتى يأتيك أمري، والسلام. ولم يتأخر رد زيد بن صوحان على عائشة، فكتب إليها:

«من زيد بن صوحان إلى عائشة أم المؤمنين، سلام عليك، أما بعد: فإن الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر، أمرك أن تقرى في بيتك، وأمرنا أن نقاتل الناس حتى لا تكون فتنة، فتركت ما أمرت به، وكتبت تنهينا عما أمرنا به، فأمرك عندنا غير مطاع، وكتابك غير مجاب، والسلام».

١. كتاب الجمل ٢٤٨، ٣١٣؛ البداية والنهاية ٧: ٢٣٦ وفيها: (... فقام زيد بن صوحان فقال: أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، سيروا إليه...)؛ الفتوح ٢: ٢٩١-٢٩٢.

وفي رواية الطبري: كتب إليها من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر...
أما بعد: فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت هذا الأمر، ورجعت إلى بيتك، وإلا فأنا أول
من نابذك.^١

وجاء أيضاً في تاريخ الطبري حول ما قاله زيد عن كتاب عائشة:... وَثَارَ
زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ وَطَبَقْتُهُ وَثَارَ النَّاسُ، وَجَعَلَ أَبُو مُوسَى يُكَفِّفُ النَّاسَ، ثُمَّ انْطَلَقَ
حَتَّى أَتَى الْمَنْبَرَ، وَسَكَنَ النَّاسُ، وَأَقْبَلَ زَيْدٌ عَلَى حِمَارٍ حَتَّى وَقَفَ بَبَابِ الْمَسْجِدِ
وَمَعَهُ الْكِتَابَانِ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَيْهِ وَإِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَقَدْ كَانَ طَلَبَ
كِتَابِ الْعَامَّةِ فَضَمَّهُ إِلَى كِتَابِهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَمَعَهُ كِتَابُ الْخَاصَّةِ وَكِتَابُ الْعَامَّةِ:
أَمَّا بَعْدُ، فَتَبَطُّوا أَيُّهَا النَّاسُ وَاجْلِسُوا فِي بُيُوتِكُمْ إِلَّا عَنْ قَتْلَةِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْكِتَابِ قَالَ: أَمَرْتُ بِأَمْرٍ وَأَمَرْنَا بِأَمْرٍ، أَمَرْتُ أَنْ تَقَرَّ فِي بَيْتِهَا،
وَأَمَرْنَا أَنْ تُقَاتِلَ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً، فَأَمَرْتُنَا بِمَا أَمَرْتُ بِهِ وَرَكِبْتُ مَا أَمَرْنَا بِهِ.
فَقَامَ إِلَيْهِ شَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ فَقَالَ: يَا عُمَانِيُّ - وَزَيْدٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ عُمَانٌ وَلَيْسَ
مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ - سَرَقْتَ مَجْلُولَاءَ فَقَطَعَكَ اللَّهُ، وَعَصَيْتَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَتَلَكَ اللَّهُ! مَا
أَمَرْتُ إِلَّا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، فَقُلْتُ: وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، وَتَهَاوَى
النَّاسُ.^٢

وقبل أن يبدأ القتال، دعا الإمام علي عليه السلام كلاً من زيد بن صوحان

١. العقد الفريد ٢ : ٢٢٧ ؛ شرح نهج البلاغة ٢ : ٨١؛ وكتاب الجمل، للشيخ المفيد ٤٣٠-٤٣١؛

وتاريخ الطبري ٣ : ٢٦ سنة ٣٦.

٢. كتاب الجمل، للشيخ المفيد ٢٤٤-٢٤٩؛ تاريخ الطبري ٣ : ٢٦-٢٧ سنة ٣٦؛ وفيه: يا عبد

الله بن قيس، وهو اسم أبي موسى الأشعري؛ وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٤ : ١٩-٢٠.

وعبد الله بن عباس.

فقال لهما: «امضيا إلى عائشة فقولاً لها: ألم يأمرك الله تبارك وتعالى أن تقرري في بيتك؟ فخذعت وانخدعت، واستنفرت فنفرت، فاتقي الله الذي إليه مرجعك ومعادك، وتوحي إليه، فإنه يقبل التوبة عن عباده، ولا يحملنك قرابة طلحة، وحب عبد الله بن الزبير على الأعمال التي تسعى بك إلى النار». فانطلقا إليها وبلغاها رسالة علي (رضي الله عنه).

فقال عائشة: ما أنا برادة عليكم شيئاً، فإني أعلم أني لا طاقة لي بحجج علي بن أبي طالب.

فرجعا إليه وأخبراه بالخبر.^١

وبعد كل هذا وغيره، وقعت المعركة.. وكانت ساحتها ميداناً للإخوة الثلاثة، ولم يخلو هذا الميدان ممن يحاول تثبيطهم، فقد انبرى لزيد رجل من قومه يقول له: تنح إلى قومك، ما لك ولهذا الموقف! ألسن تعلم أن مضر بحالك، وأن الجمل بين يديك، وأن الموت دونه!

فقال له زيد: الموت خير من الحياة، الموت ما أريد!

كيف يتخلى زيد عن مشوار الشهادة التي بشر بها، وقد سبقته يده إليها، قبل أكثر من ١٥-٢٠ سنة حسب اختلاف الأخبار، كما ذكرنا، فهي أمامه في الجنة تنتظره!

وراحت راية عبد القيس تنتقل بين الثلاثة في قتال شديد، واجتلاذ عنيف، حتى إذا وقع صوحان شهيداً - كما ذكرنا - تناولها زيد، الذي كان على خيل عبد القيس، يصول بها ويقا تل تحتها؛ ليستلمها منه أخوه صعصة بعد أن نال وسام

١. الفتوح ٢ : ٤٦٧.

الشهادة، حين قتله عمرو بن يثربي، وكان من شياطين أصحاب الجمل، كما يسمونه، وبدأ يفتخر ويقول:

إن تنكروني (تقتلوني) فأنا ابن يثربي

قاتل علباء وهند الجملي

ثم ابن صوحان على دين عليّ

ولم يدم افتخار عمرو طويلاً، فقد ضربه عمار ضربة هلك منها وخرّ صريعاً... وقول أنه أسرّ ثم أمر به عليّ عليه السلام فضربت عنقه.^١
لقد ذهب زيد بن صوحان شهيداً بأيدي باغية ناكثة إلى حيث تلك اليد المباركة، التي أشرفت عليه من السماء، تقول له: هلمّ إلينا! فلقد روي: «أنّ زيد بن صوحان العبدي قال لعليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين، إني رأيت يداً أشرفت عليّ من السماء، وهي تقول: هلمّ إلينا! وأنا خارج إلى ابن يثربي، فإذا قتلني، فادفني بدمي، ولا تغسلني فأني محاصم عند ربّي. ثم خرج فقتله عمرو».^٢

وصيته:

وقد أوصى زيد بن صوحان من حوله: «لا تغسلوا عني دماً، ولا تنزعوا عني ثوباً إلاّ الخفين، وارمسوني في الأرض رمساً، فأني محاصم أحاج يوم القيامة... ثمّ قال: ادفنوني وابن أمّي في قبر، ولا تغسلوا عنا دماً، فإننا قوم محاصمون». وروي أنه

١. كتاب الجمل، للشيخ المفيد ٣٤٦؛ والإصابة، لابن حجر ٥: ١٢٢، رقم ٦٥١٣؛ والاشتقاق

٢٤٦-٢٤٧؛ وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٢٥٨.

٢. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ٢٥٨.

أمر أن يدفن معه مصحفه.^١

وفعلًا قُتِلَا مَعًا وَدُفِنَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ رَضَوَانِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمَا.

وأخيراً ترحمت عليهم:

ففي ختام المعركة، ومن منزلها، وصلتها أخبار وتفاصيل ما دار من قتال، فلما سمعت بمقتل زيد ذكروا أنّها قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، يرحمه الله.

ولكن عائشة لم تقل هذا لزيد فقط، وإنما استرجعت وترحمت على طلحة وعلى الزبير لما أخبرت بمقتلهما أيضاً، راحت أم المؤمنين عائشة تسترجع وتوزع الرحمات!! وهذا هو الخبر الذي ذكره البيهقي.^٢

... عن ابن سيرين قال: قال خالد بن الوائشة، لما فرغ من أصحاب الجمل، ونزلت عائشة منزلها، دخلتُ عليها، فقلت: السلام عليك يا أم المؤمنين. فقالت: من هذا؟ فقلت: خالد بن الوائشة.

قالت: ما فعل طلحة؟ قلت: أصيب. قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ يرحمه الله.

قالت: ما فعل الزبير؟ قلت: أصيب. قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ يرحمه الله.

قلت: بل نحن لله وإنا إليه راجعون في زيد بن صوحان.

قالت: وأصيب؟! قلت: نعم. قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ يرحمه الله.

١. تاريخ دمشق، لابن عساکر، حرف الزاي، زيد بن صوحان، رقم الحديث: ١٨٣٨٢؛ وسير

أعلام النبلاء، للذهبي، تحت عنوان: وممن أدرك زمان النبوة، زيد بن صوحان.

٢. انظر دلائل النبوة، للبيهقي ٦ : ٤١٦-٤١٧؛ وتاريخ دمشق، لابن عساکر ١٩ : ٤٤٤.

وفي خبر الاستيعاب: قلت: بل نحن لله ونحن إليه راجعون على زيد وأصحاب زيد...

قالت: زيد بن صوحان؟ قلت: نعم.
فقلت له خيراً.

قلت: والله لا يجمع الله بينهما في الجنة أبداً.
قالت: لا تقل، فإن رحمة الله واسعة وهو على كل شيء قدير.
قلت: يا أم المؤمنين، ذكرت طلحة، فقلت: يرحمه الله. وذكرت الزبير، فقلت: يرحمه الله. وذكرت زيدا، فقلت: يرحمه الله. وقد قتل بعضهم بعضاً، والله لا يجمعهم الله في الجنة أبداً.

قالت: أولا تدري أن رحمة الله واسعة وهو على كل شيء قدير؟!
وفعلاً ما علينا إلا أن نسترجع أيضاً، بل ونتعوذ من هكذا فهم للدين ولرحمة الله تعالى، التي تساوي في نظرها بين الظالم والمظلوم، والقاتل والمقتول...، وإن قلنا لهم: أين هذا الفهم من الآية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا...﴾^١ نجد الجواب حاضراً: الآية تقول: متعمداً، لا متأولاً؛ وبالتالي فهؤلاء متأولون، والمتأول إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر... حقاً إنه لفهم للدين يوجع القلوب! كما أن أم المؤمنين تغافلت عن آية: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، وكأنها نزلت لغير هذه الأمة، ولغير من تدافع عنهم من الصحابة، وإما أنهم ليسوا من أولي الألباب، ولا ذت

١. دلائل النبوة، للبيهقي ٦: ٤١٦-٤١٧؛ وتاريخ دمشق، لابن عساكر ١٩: ٤٤٤؛ والاستيعاب

١: ٥٦٠ - ٥٦١، باب الزاي؛ والإصابة ١: ٥٨٣؛ وأسد الغابة ٢: ١٤٠؛ أعيان الشيعة؛ زيد بن صوحان.

٢. النساء: ٩٤.

بفهمها عن العديد من الآيات القرآنية التي تتوعد البغاة والظالمين، والآية التي تصرح:
﴿أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ...﴾.

وأي تشجيع أكثر من هذا لإشاعة عملية القتل بين الناس، والفساد في الأرض، مادام القاتل والمقتول، والمعتدي والمعتدى عليه مأجورين، تشملهما رحمة الله؟!!

وعن قولها: فقالت له خيراً.

يقول السيد محسن الأمين: وقولها له خيراً يشبه قول القائل:

وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل.

وقول الآخر:

وما أخالك بعد الموت تندبني

وفي حياتي ما زودتني زادي.

ورحمة الله واسعة ولكنه شديد العقاب.^١

أقوال فيه:

إضافةً لما ذكرناه عن هذا العبد الصالح «زيد بن صوحان» هناك الكثير من الأقوال حوله، نوجزها بالتالي:

١. أعيان الشيعة: زيد بن صوحان؛ وانظر الوافي بالوفيات ٩، رقم ١٩٦٥؛ الشاعر امرؤ القيس: دنت وظلال الموت بيني وبينها/ وجادت بوصلٍ حين لا ينفع الوصل؛ وانظر ديوان عبيد بن الأبرص: ٤٧-٥٠، تحقيق حسين نصار.
لأعرفنك بعد الموت تندبني / وفي حياتي ما زودتني زادي / أو لا ألفينك...

فقد نسب إلى رسول الله ﷺ أنه قال فيه:.. «والأقطع الخير زيد.. زيد الخير الأجدم من الخيار الأبرار!» زيد وما زيد؟ «يسبقه بعض جسده إلى الجنة، ثم يتبعه سائر جسده إلى الجنة».^١

... لما أراد زيد أن يركب دابته أمسك عمر بركابه، ثم قال لمن حضره: هكذا فاصنعوا بزيد وإخوته وأصحابه.

كان زيد سيداً في قومه، كان من سادة التابعين على القول بأنه تابعيٌّ، من خواص عليٍّ عليه السلام، من الصلحاء الأتقياء، ثقةً فاضلاً، من العلماء العبّاد، وكان صوّماً قوَّاماً... كان يقوم الليل ويصوم النهار؛ وإذا كانت ليلة الجمعة أحيّاها، معاوية بن أبي سفيان، يطلب من عقيل بن أبي طالب أن يصف له أصحاب عليٍّ عليه السلام. فقال: أما زيد و عبد الله (أخوه) فإنهما نهران جاريان يصب فيهما الخلدجان، ويغاث بهما اللهفان، رجلاً جدّاً لا لعب معه... وهذا صعصعة، نزولاً عند رغبة ابن عباس، يصف له زيداً؛ لما قال له: أين أخواك منك زيد وعبد الله؟ صفهما.

قال: كان «زيد» والله يا ابن عباس عظيم المروة، شريف الأخوة، جليل الخطر، بعيد الأثر، كميّش العروة، أليف البدوة، سليم جوانح الصدر، قليل وساوس الدهر، ذاكر الله طرفي النهار و زلفاً من الليل، الجوع والشبع عنده سيان، لا ينافس في الدنيا، وأقل في أصحابه من ينافس فيها، يطيل السكوت، ويحفظ الكلام، وإن ينطق نطق بمقام يهرب منه الدعار الأشرار، ويألفه الأحرار الأخيار.

فقال ابن عباس: ما ظنك برجل من أهل الجنة، رحم الله زيداً!^٢

١. انظر الفائق، للزمخشري ١: ٣٥.

٢. المصدر نفسه؛ تاريخ ابن عساكر ٦: ١١-١٣؛ تاريخ بغداد ٨: ٤٤٠؛ الاستيعاب ١: ١٩٧؛

أسد الغابة ٣: ٢٣٤؛ الإصابة ١: ٥٨٢؛ مروج الذهب ٢: ٧٥.

عبادته:

أما عن عبادته، وكما قالوا: كان من العلماء العبّاد، صَوَّاماً قَوَّاماً، «يقوم الليل ويصوم النهار؛ وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها»، والعبارة الأخيرة جاءت ضمن مقطع، نوجزه:

كان زيد بن صوحان يقوم الليل ويصوم النهار، فإذا كانت ليلة الجمعة أحياها... فبلغ سلمان ما كان يصنع، فأتاه فقال: أين زيد؟ قالت امرأته: ليس ها هنا، قال: فإني أقسم عليك لما صنعت طعاماً ولبست محاسن ثيابك، ثم بعثت إلى زيد، فجاء زيد، وقرب الطعام، فقال سلمان: كل يا زيد، فقال: إني صائم، قال: كل يا زيد لا تنقص دينك، إن شر السير المحققة، إن لعينك عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، كل يا زيد، فأكل، وترك ما يصنع^١.

ولما مصّرت الكوفة، سكنها كثيرون، وكان منهم زيد مع جمع من أبناء قبيلته، فأنشأ مسجداً يتعبد فيه ويتهجّد، ويقرأ القرآن الكريم، فهو من القراء، ومما كان يدعو به، خاصة في صلاة الليل، هذا الدعاء:

«إلهي قَدْ مَدَّ إِلَيْكَ الْخَاطِيءُ الْمُذْنِبُ يَدَيْهِ مُحْسِنٌ ظَنَّهُ بِكَ، إلهي قَدْ جَلَسَ الْمُسِيءُ بَيْنَ يَدَيْكَ مُقِرّاً لَكَ بِسُوءِ عَمَلِهِ وَرَاجِياً مِنْكَ الصَّفْحَ عَنْ زَلَلِهِ، إلهي قَدْ رَفَعَ إِلَيْكَ الظَّالِمُ كَفِّهِ رَاجِياً لِمَا لَدَيْكَ فَلَا تُخَيِّبْهُ بِرَحْمَتِكَ مِنْ فَضْلِكَ، إلهي قَدْ جَنَّا الْعَائِدُ إِلَى الْمَعَاصِي بَيْنَ يَدَيْكَ خَائِفاً مِنْ يَوْمٍ تَجُثُّ فِيهِ الْخَلَائِقُ بَيْنَ يَدَيْكَ، إلهي جَاءَكَ الْعَبْدُ الْخَاطِيءُ فَرِعاً مُشْفِئاً وَرَفَعَ إِلَيْكَ طَرْفَهُ حَذِراً رَاجِياً، وَفَاضَتْ عَبْرَتُهُ مُسْتَعْفِراً نَادِماً، وَعِزَّتِكَ وَجَلَالُكَ مَا أَرَدْتُ بِمَعْصِيَتِي مُخَالَفَتَكَ، وَمَا عَصَيْتُكَ إِذْ عَصَيْتُكَ وَأَنَا بِكَ

١. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٥: ١١١؛ تاريخ بغداد ٨: ٤٣٩، وفيه: كل يا زبيد سير المحققة: المتعب من السير، وقيل: أن تحمل الدابة ما لا تطيقه.

جاهِلٌ، وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ، وَلَا لِنَظَرِكَ مُسْتَخِفٌّ، وَلَكِنْ سَوَّلْتَ لِي نَفْسِي، وَأَعَانْتَنِي عَلَى ذَلِكَ شَقَوَتِي، وَغَرَّيْتَنِي سِتْرَكَ الْمُرْخَى عَلَيَّ، فَمِنْ الْآنَ مِنْ عَذَابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي، وَبَحَلَّ مَنْ أَعْتَصِمُ إِنْ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي، فَيَا سَوَاتَاهُ غَدًا مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْكَ إِذَا قِيلَ لِلْمُخَفِّينَ جُوزُوا وَلِلْمُثْقَلِينَ حُطُّوا، أَفَمَعَ الْمُخَفِّينَ أَجُوزُ أَمْ مَعَ الْمُثْقَلِينَ أَحْطُ، وَيَلِي كُلَّمَا كَبُرَ سِنِّي كَثُرَتْ ذُنُوبِي، وَيَلِي كُلَّمَا طَالَ عُمْرِي كَثُرَتْ مَعَاصِي، فَكَمْ أَتُوبُ وَكَمْ أَعُودُ أَمَا أَن لِي أَنْ أَسْتَحْيِيَ مِنْ رَبِّي، اَللَّهُمَّ فَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَخَيْرَ الْغَافِرِينَ»^١.

وكان القاسطون... فكانت حرب صفين:

وأما أخوهما صعصعة، فقد مدَّ الله في عمره، بعد أن كتب الله له السلامة في معركة الجمل، وإن كثرت جراحاته وأثخنه، يقول الطبري: «فقتل على راية الميسرة من أهل الكوفة زيد، وصرع صعصعة، ثمَّ سيحان». وقبل عبارته هذا بصفحة قال: «فأصيب (زيد) وأخوه سيحان، وارثت صعصعة». وهذا هو الصحيح. وكلمة ارثت لغة: (ارثت فلان: ضُرب في الحرب فأثخن وحملَ وبه رمقٌ ثمَّ مات، فهو مُرثتٌ)، نعم ارثت وحمل من المعركة إلا أنه لم يصرع، فهناك دور قدر له بل أدوار تنتظره، فقد عاش صعصعة، فكان ممن حضر معركة صفين، وسجل دوراً واضحاً في أحداثها، فكان مستشاراً ومحاوراً ومقاتلاً، فهو ممن استشارهم الإمام عليٌّ (عليه السلام) في موضوع معاوية - بعد انتهاء معركة الجمل - وأنه حمل كتاباً كتبه بيده، ولعله أول كتاب، من

١. بحار الأنوار، للعلامة المجلسي ١٠٠ : ٤٤٤-٤٤٥؛ وكتب الأدعية؛ دعاء مسجد زيد، وهو قريب من مسجد السهلة في الكوفة، ويقال: إلى جانبه مسجد أخيه صعصعة.

الإمام عليّ عليه السلام حينما نزل الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان.^١

كان هذا حين التقى الإمام عليّ عليه السلام بعد انصرافه من معركة الجمل بجمع من أصحابه، وكان منهم صعصعة بن صوحان العبدي، فقال لهم: أنتم وجوه العرب عندي، ورؤساء أصحابي، فأشيروا عليّ في أمر هذا الغلام المترف - يعني معاوية - فافتنت بهم المشورة عليه.

فقال صعصعة: إن معاوية أترفه الهوى، وحببت إليه الدنيا، فهانت عليه مصارع الرجال، وابتاع آخرته بدنياههم، فإن تعمل فيه برأي ترشد وتصب إن شاء الله، والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا أمير المؤمنين! والرأي أن ترسل إليه عيناً من عيونك، وثقةً من ثقاتك بكتاب تدعوه إلى بيعتك، فإن أجاب وأجاب كان له ما لك وعليه ما عليك، وإلاّ جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين.

فقال عليّ عليه السلام: عزمتُ عليك يا صعصعة إلاّ كتبت الكتاب بيدك، وتوجهت به إلى معاوية، واجعل صدر الكتاب تحذيراً وتخويفاً، وعجزه استتابة واستنابة، وليكن فاتحة الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية، سلام عليك، أما بعد»، ثم اكتب ما أشرت به عليّ، واجعل عنوان الكتاب: «ألا إلى الله تصير الأمور».

قال: اعفني من ذلك.

قال: عزمت عليك لتفعلن!

قال: أفعل.

فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق، فأتى باب معاوية، فقال لأذنه: استأذن لرسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وبالباب أزفلة من بني أمية،

١. تاريخ الطبري ٥ : ٤٤ ثم ٤٣، سنة ٣٦.

فأخذته الأيدي والنعال لقوله، وهو يقول: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله» وكثرت الجلبة واللغط، فاتصل ذلك بمعاوية، فوجه من يكشف الناس عنه فكشفوا، ثم أذن لهم فدخلوا.

فقال لهم: من هذا الرجل؟ فقالوا: رجل من العرب يقال له: «صعصعة بن صوحان»، معه كتاب من علي.

فقال: والله! لقد بلغني أمره، هذا أحد سهام علي وخطباء العرب، وقد كنت إلى لقاءه شيقاً، إئذن له يا غلام فدخل عليه، فقال: السلام عليك يا ابن أبي سفيان! هذا كتاب أمير المؤمنين. فقال معاوية: أما إنه لو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو إسلام لقتلتك!

ثم اعترضه معاوية في الكلام وأراد أن يستخرجه ليعرف قريحته أطبعاً أم تكلفاً؟ فقال: ممن الرجل؟ قال: من نزار. قال: وما كان نزار؟ قال: كان إذا غزا نكس، وإذا لقي افترس، وإذا انصرف احترس. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من ربيعة. قال: وما كان ربيعة؟ قال: كان يطيل النجاد، ويعول العباد، ويضرب ببقاع الأرض العماد. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من جديلة. قال: وما كان جديلة؟ قال: كان في الحرب سيفاً قاطعاً، وفي المكرمات غيثاً نافعاً، وفي اللقاء لهباً ساطعاً. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من عبد القيس. قال: وما كان عبد القيس؟

قال: كان خصيباً خضرمأً أبيض، وهاباً لضيغه ما يجد، ولا يسأل عما فقد، كثير المرق، طيب العرق، يقوم للناس مقام الغيث من السماء.

قال: ويحك يا ابن صوحان! فما تركت لهذا الحي من قريش مجداً ولا فخراً. قال: بلى والله يا بن أبي سفيان! تركت لهم ما لا يصلح إلا بهم، ولهم تركت الأبيض والأحمر والأصفر والأشقر والسرير والمنبر والملك إلى المحشر، وأنى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله في الأرض ونجومه في السماء؟

ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها، فقال: صدقت يا ابن صوحان! إن ذلك لكذلك.

فعرف صعصعة ما أراد، فقال: ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد، بعدتم عن أنف المرعى، وعلوتم عن عذب الماء.

قال: فلم ذلك ويلك يا ابن صوحان؟ قال: الويل لأهل النار، ذلك لبني هاشم، قال: قم، فأخرجوه.

فقال صعصعة: الصدق ينبي عنك لا الوعيد، من أراد المشاجرة قبل المحاورة. فقال معاوية: لشيء ما سوده قومه، وددت والله! إني من صلبه. ثم التفت إلى بني أمية، فقال: هكذا فلتكن الرجال.^١

ويظهر لي أن صعصعة لم يحمل كتاباً إلى معاوية في الشام غير هذا، ولا أدري، فقد ذكروا أكثر من لقاء له مع معاوية، وجرى فيها جدال بينهما، وفيه ذكر لكتاب معه من علي عليه السلام، اللهم إلا أن يكون صعصعة قد تأخر أياماً في الشام، ينتظر جواباً من معاوية، وخلالها عقدت جلسات يريد من ورائها معاوية الثناء على نفسه وقومه، وإظهار قدراته وما يملكه من أموال وسلطة، دون أن تخلو من تهديد وتخويف لصعصعة، كجزء من حرب إعلامية، فلعل صعصعة يحملها إلى علي عليه السلام ومن معه، فتترك آثارها وانعكاساتها النفسية والمعنوية عليهم.

ومن هذه اللقاءات، أن معاوية قال يوماً وعنده صعصعة، وكان قدم عليه بكتاب علي عليه السلام، وعنده وجوه الناس: الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزاً لي.

فقال صعصعة:

١. مروج الذهب، للمسعودي ٣ : ٣٧ - ٣٨.

تَنِيكَ نَفْسُكَ مَا لَا يَكُونُ ❀ ❀ نَ جَهْلًا مَعَاوِي لَا تَأْثَمَ

فقال معاوية: يا صعصعة! تعلمت الكلام؟!

قال: العلم بالتعلم، ومن لا يعلم يجهل.

قال معاوية: ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرك.

قال: ليس ذلك بيدك، ذلك بيد الذي لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها.

قال: ومن يحول بيني وبينك؟

قال: الذي يحول بين المرء وقلبه.

قال معاوية: اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير.

قال: اتسع بطن من لا يشبع، ودعا عليه من لا يجمع.

وفي خبر يحمل كلاماً آخر، قال معاوية يوماً لجلسائه: الأرض لله وأنا

خليفته، فما أخذتُ فلي حلال، وما تركتُ للناس فلي عليهم فيه منة. فقال

صعصعة: ما أنت وأقصى الأمة فيه إلاّ سواء، ولكن من ملك استأثر. فغضب معاوية

وقال: لقد هممت...

قال صعصعة: ما كل من همّ فعل.

قال: ومن يحول بيني وبين ذلك؟

قال: الذي يحول بين المرء وقلبه!

وهذه هي سياسة معاوية ومنهجه في السلطة والأموال، واستتثاره بها، ولم

يُخَفِّرَ ذلك، يصرح بها غير آبه ولا مكترث، فقد خطب يوماً، فقال: إن الله تعالى

يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.

فعلام تلوموني إذا قصرت في إعطائكم؟

فتصدى له الأحنف بن قيس قائلاً: إنا والله ما نلومك على ما في خزائن الله،

ولكن على ما أنزله لنا من خزائنه، فجعلته أنت في خزائنك وحلت بيننا وبينه!^١
وهكذا هي إجابات صعصعة وردوده على معاوية، كانت جريئة، وكانت مسكتة، ومحرجة لمعاوية ولغيره كما ذكرنا، وسنذكر أمثلةً أخرى منها.
المهم أنَّ صعصعة عاد من الشام، دون أن يجد استجابة من معاوية، ولم تنفع أي خطوة لحقن الدم المسلم، ورجوع معاوية عما يبغى، فكانت فصول حرب لا بدَّ منها ضدَّ من بغى وتجبر، وكان صعصعة فيها صاحب دور كبير عن علم وبصيرة، ولعلَّه راح يستعجله، وهو القائل:.... وكيف نتأثى بالقاسية قلوبهم، القليل في الإسلام حقَّهم، أعوان الظلم والعدوان، وليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من التابعين بإحسان.^٢

والتقى الجمعان:

جمع المؤمنين، وجمع البغاة، الأول كان بحدود ثمانين ألف مقاتل، فيما الثاني قارب جمعهم ١٢٠ ألف مقاتل؛ على تراب صفين، موقع جغرافي على ضفاف نهر الفرات، في بلدة الرقة السورية، قريباً من الحدود العراقية، وقعت معركة كبرى بينهما، دامت ثلاثة أيام؛ ذهب ضحيتها آلاف من الطرفين، وقد سبقتها مناوشات ومبارزات طيلة ثلاثة أشهر، رافقتها محاولات للإصلاح وحقن الدماء، لم تثمر إلاَّ عن قتال مرير ومدمر، انتهى بالتحكيم.

ما إن وصل جيش الإمام عليٍّ عليه السلام أرض صفين، حتى وجدوا جيش معاوية قد سبقهم إليها، صفوا على الشريعة الخيل والرجالة، وأجمعوا أن ينعوا

١. مروج الذهب ٣: ٤٠؛ التذكرة الحمدونية ٧: ١٦٩، رقم ٨٠٣؛ كتاب نثر الدر ٢: ١٩٥-١٩٦.

٢. كتاب الفتوح، لابن الأعمش ٢: ٤٤٥.

الماء عن غيرهم. فكانت أول مهمة قبل بداية القتال، يُكلف بها صعصة بن صوحان، حين دعاه الإمام عليٌّ عليه السلام فقال له: أنت معاوية، فقل: إنا سرنا مسيرنا هذا، وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنك قد قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك. وهذه أخرى قد فعلتموها، حتى حلتكم بين الناس وبين الماء، فخلّ بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم. وإن كان أحبَّ إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ قال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعه ابن عفان حصروه أربعين يوماً يمنعونه برد الماء ولين الطعام، اقتلهم عطشاً قتلهم الله! قال عمرو: خلّ بين القوم وبين الماء، فإنهم لن يعطشوا وأنت ريان، ولكن غير الماء فانظر فيما بينك وبينهم. فأعاد الوليد مقالته، وقال عبدالله ابن أبي سرح، وهو أخو عثمان من الرضاعة: امنعهم الماء إلى الليل، فإنهم إن لم يقدرُوا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمتهم. امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة.

فقال صعصة بن صوحان: إنما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة شربة الخمر، ضربك وضرب هذا الفاسق؛ يعني الوليد بن عقبة - فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه.

فقال معاوية: كفوا عن الرجل فإنه رسول...

يقول عبد الله بن عوف بن الأحمر، وهو الذي روى هذا الحادث، أن صعصة رجع إلينا فحدثنا بما قال معاوية، وما كان منه وما ردّ عليه، فقلنا: وما ردّ عليك معاوية؟ قال: لما أردت الانصراف من عنده، قلت: ما تردّ عليّ؟ قال: سيأتيكم رأيي.

قال: فوالله ما راعنا إلاّ تسوية الرجال والخيل والصفوف، فأرسل إلى أبي

الأعور: امنعهم الماء.

فازدلفنا والله إليهم، فارتمينا وأطعنا بالرماح، واضطربنا بالسيوف، فطال ذلك بيننا وبينهم، فضاربناهم فصار الماء في أيدينا، فقلنا: والله لا نسقيهم. فأرسل إلينا عليُّ عليه السلام: «خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى عسكركم، وخلوا بينهم وبين الماء، فإن الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم...»^١. واستعد الجمعان لفصول المعركة، فعقدت الألوية، وأمّرت الأمراء، وكتبّت الكتاب،... فكان صعصعة بن صوحان على عبد القيس الكوفة، فيما على عبد القيس البصرة عمرو بن حنظلة.

وإضافةً إلى كون صعصعة شغله القتال المرير في صفين، فكان فيها كعادته مقاتلاً صبوراً، فقد كان يعدُّ من رواتها، ومما رواه عن مبارزات عليٍّ عليه السلام: أن علي بن أبي طالب عليه السلام صاف أهل الشام، حتى برز رجل من حمير من آل ذي يزن، اسمه كُريب بن الصباح، ليس في أهل الشام يومئذ رجل أشهر شدة بالبأس منه. ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه المرتفع بن الوضاح الزبيدي، فقتل المرتفع. ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن الجلاح فقتل؟ ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه عائد بن مسروق الهمداني، فقتل عائداً، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض، ثم قام عليها بغياً واعتداءً. ثم نادى هل بقي من مبارز؟ فبرز إليه عليٌّ عليه السلام ثم ناداه: «ويحك يا كُريب، إني أحذرك [الله وبأسه ونقمته]، وأدعوك إلى سنة الله وسنة رسوله، ويحك لا يُدخلنك ابنُ آكلة الأكباد النار».

١. كتاب وقعة صفين، لنصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة ٢١٢هـ تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون: ١٦٢.

فكان جوابه أن قال: ما أكثر ما قد سمعنا هذه المقالة منك، فلا حاجة لنا فيها. أقدم إذا شئت. من يشتري سيفي وهذا أثره؟ فقال عليه السلام: «لا حول ولا قوة إلا بالله». ثم مشى إليه، فلم يهله أن ضربه ضربةً خراً منها قتيلاً يتشحط في دمه.

ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري، فقتل الحارث.

ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه المطاع بن المطلب القين، فقتل مطاعاً.

ثم نادى: من يبرز؟ فلم يبرز إليه أحد.

ثم إن علياً نادى: يا معشر المسلمين،

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ مِثْلَ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^١.

ويحك يا معاوية هلم إليّ، فبارزني، ولا يُقتلَنَّ الناس فيما بيننا.

فقال عمرو: اغتَنِمه مُنْتَهَظاً، قد قتل ثلاثة من أبطال العرب، وإني أطمع أن يُظفرَك الله به.

فقال معاوية: ويحك يا عمرو، والله إن تُريد إلا أن أقتل، فتصيب الخلافة بعدي، اذهب إليك، فليس مثلي يُخدع...!^٢

وهو الذي روى خطبة الأشعث بن قيس الكندي ليلة الهيرير في أصحابه من كندة... وقصة رفع المصاحف... وموقف كبار أصحاب الإمام عليه السلام وأقوال بعضهم: عدي بن حاتم والأشتر النخعي وعمرو بن الحمق... تجدها في كتاب وقعة

١. البقرة : ١٩٤.

٢. كتاب وقعة صفين، لنصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة ٢١٢ هـ تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون: ٣١٥-٣١٦.

صفين لنصر بن مزاحم: ٤٨٠-٤٨٤.

وكان المارقون... وكانت معركة النهروان

الخوارج مرقوا من الدين كما يبرق السهم من الرمية، بدأوا فتنتهم في معركة صفين، واتسعت بعد أن عاد الإمام عليه السلام إلى الكوفة من معركة صفين، فطال جدالهم له قرابة ستة أشهر، وتكاثر عددهم، وتجمعوا في حروراء بقيادة ابن الكواء... فأرسل الإمام عليه السلام أكثر من وفد، لعلهم يرجعون، وكان صعصة بن صوحان في الوفد مع عبد الله بن عباس، وزياد بن النضر الحارثي، فناشدوهم الطاعة وترك العناد، فأبوا عليهم ذلك. وتكررت خطوة الإصلاح هذه فأرسل لهم كلاً من عبد الله ابن عباس وصعصة بن صوحان.

فَقَالَ لَهُمْ صَعْصَعَةُ: أَذْكُرُّكُمْ اللَّهَ أَنْ تَجْعَلُوا فِتْنَةَ الْعَامِ مَخَافَةَ فِتْنَةِ عَامٍ قَابِلٍ.
فَقَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ إِنِّي دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ؟
فَقَالُوا: بَلَى.

فَقَالَ: فَإِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَطَاعَ هَذَا الرَّجُلَ فَإِنَّهُ وَاغِظُ شَفِيقٌ. فَخَرَجَ مَعَهُ مِنْهُمْ نَحْوُ مِنْ خَمْسِمِائَةٍ فَدَخَلُوا فِي جُمْلَةٍ عَلَيَّ وَجَمَاعَتِهِ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ نَحْوُ مِنْ خَمْسَةِ آلَافٍ رَجُلٍ، فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اثْرُكُوهُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا، وَيَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا. فَفَعَلَ ذَلِكَ.^١

وفي خبر آخر أن صعصة قال: يا أمير المؤمنين، إئذن لي في كلام القوم.
قال: نعم، ما لم تبسط يداً.

فنادى صعصة ابن الكواء فخرج إليه، فقال: أنشدكم الله يا معشر الخارجين

١. أنساب الأشراف، للبلاذري، رقم الحديث: ١٠١٠، أمر الحكّمين وما كان منهمما.

أن لا تكونوا عاراً على من يغزو لغيره، وأن لا تخرجوا بأرض تُسمّوا بها بعد اليوم، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل.

فقال له ابن الكواء: إنَّ صاحبك لقينا بأمرٍ، قولك فيه صغير فأمسك.^١

ولما لم تؤد هذه المساعي لدرا فتنة الخوارج ومروقهم، وبعد اعتدائهم، حين احتلوا منطقة النهروان الواقعة على بعد ما يقارب ٣٥ كم من بغداد، وسفكهم الدم الحرام، بقتلهم واليها من قبل الإمام عليٍّ عليه السلام؛ عبد الله بن خباب مع زوجته، وكذا قتلهم الصحابي الجليل الحارث بن مرة، المرسل من قبل الإمام عليه السلام ليستطلع الأمر...، توجه إليهم الإمام عليه السلام بجنده وأتباعه، فأفشل مشروعاتهم، ووأد فتنتهم، في معركة سميت معركة أو النهروان، وكان لصعصعة كما لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله دورهم الكبير في قتال هؤلاء الخوارج، ومن ذلك ما جاء عن ربيعة بن عبد الله النميري، أنه قال: أخبرني رجل من الأزد، قال: نظرت إلى أبي أيوب الأنصاري، في يوم النهروان، وقد علا عبد الله بن وهب الراسي، فضربه ضربة على كتفه، فأبان يده، وقال: بؤ بها إلى النار يا مارق، فقال عبد الله: ستعلم أينما أولى بها صلياً، قال: وأبيك إني لأعلم؟

إذ أقبل صعصعة بن صوحان فوقف، وقال: أولى بها والله صلياً من ضلّ في الدنيا عمياً، وصار إلى الآخرة شقياً، أبعدك الله! وأنزحك! أما والله: لقد أنذرتك هذه الصرعة بالأمس، فأبيت إلاّ نكوصاً على عقبيك، فذق يا مارق وبال أمرك، وشرك أبا أيوب في قتله: ضربه ضربة بالسيف أبان بها رجله، وأدركه بأخرى في بطنه، وقال: لقد صرت إلى نار لا تطفأ، ولا يبوخ سعيها... وانتهت فصول هذه المعركة، التي استأصلتهم إلاّ قليلاً منهم. وفي ختامها قال الإمام عليه السلام لهما (أبو أيوب

١. انظر العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي ٢ : ١١٩.

الأنصاري وصعصعة بن صوحان): اطلبوا لي ذا الثدية، فطلب فلم يوجد، فرجعوا إليه وقالوا: ما أصبنا شيئاً.

فقال: والله لقد قتل في يومه هذا، وما كذبتني رسول الله ﷺ ولا كذبت عليه، قوموا بجمعكم فاطلبوه.

فقامت جماعة من أصحابه، فتفرقوا في القتلى، فأصابوه في دهاس من الأرض، فوقه زهاء مائة قتيل، فأخرجوه يجرّ برجله، ثم أتى به عليٌّ ع، فقال: اشهدوا أنه ذو الثدية.^١

كان شاعراً

وبليغاً، وكان ذا رأي سديد، وقول حكيم، وكان عالماً بأخبار العرب، وكان شديداً في الحق، عاملاً به، لقد عرف عن صعصعة بحسن بلاغته وبشعره وبخطابته، حتى أن ابن عباس حبر الأمة إذا ما أراد أن يستمع إلى البلاغة والحكم وسداد الرأي وما عفا من أخبار العرب يجالس صعصعة ويسأله ويرتوي من فيض نبعه... ولقد اختاره وفد المصريين لرئاسة جماعة منهم عند دخولهم على الخليفة عثمان لطلب الإصلاح... ولصعصعة شعر جميل يرثي به الإمام علياً عليه السلام، فيقول:

هل خبر القبر سائليه أم قرّ عيناً بزائريه
أم هل تراه أحاط علماً بالجسد المستكين فيه
لو علم القبر من يوارى تاه على كل من يليه
ياموت ماذا أردت مني حققت ما كنت أتقيه

١. انظر مروج الذهب، للمسعودي ١ : ٣٢٢؛ به أبو أيوب وصعصعة.

ياموت لو تقبل افتداء لكنْتُ بالروح افتديه

دهر رماني بفقد إلفي أذمُّ دهري وأشتكيه

وهناك مرثية أخرى في الإمام عليه السلام، نسبت إليه، وقد وجدت عدداً من أبياتها، مع اختلاف بسيط، نسبت إلى الشاعر المعروف أبي العتاهية، المتوفى في بغداد سنة ٢١٣هـ. يرثي علي بن ثابت وكان مؤاخياً له... جاء هذا في الموسوعة الشاملة، كتاب الأمالي للزجاجي مصدر الكتاب: موقع الوراق.

إلى مَنْ لي بأنسك يا أخياً

وَمَنْ لي أن أبثك ما لديّ

طوتك خطوب دهر قد توالى

لذاك خطوبه نشرأ وطياً

فلو نشرت قواك لي المنايا

شكوت إليك ما صنعت إلّياً

بكيتك يا عليّ بدمع عيني

فلم يُغن البكاء عليك شيئاً

كفى حزناً بقتلك ثم إني

نفضتُ تراب قبرك من يديا

وكانت في حياتك لي عظامٌ

وأنت اليوم أوعظ منك حيّاً

فيا أسفاً عليك وطول شقوتي

ألا لو إن ذلك ردّ شيئاً^١.

مواقف أخرى:

وإن توقف القتال في صفين، إلا أن جهاد الكلمة لم يتوقف، فقد راح صعصعة يواصل جهاده هذا، ومنهجه الذي اختطّه لنفسه منذ أن آمن برسالة السماء، ثابتاً عليه حتى يلقي مقعد صدق عند مليك مقتدر، وله في منهجه هذا أن منحه الله تعالى قدرات عجيبة؛ فقد كان جوابه حاضراً ولفظه نادراً وإشارته جميلة، وحكمته بالغة، وقد أحسن المدائني حين قال: أحسن الجواب ما كان حاضراً مع إصابة المعنى، وإيجاز اللفظ، وبلوغ الحجة!

وأما المسعودي فيقول عنه: ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان، وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والإيضاح عن المعاني، على إيجاز واختصار^٢.

وهو ما امتازت به حوارات صعصعة واحتجاجاته الكثيرة، والتي واجهت معاوية، الذي استعمل أيّ وسيلة لتقوية إمارته، يوم كان أميراً على الشام، ولتقوية خلافته يوم صار خليفة على المسلمين، ومن وسائله التفاخر، فكان يعقد المجالس للمفاخرة، ومما كان يقوله في بعضها:

قد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها إلا ما جعل الله لنبيه ﷺ فإنه انتخبه وأكرمه، وإني لأظنّ أبا سفيان لو ولد الناس كلّهم لم يلد إلاّ حازماً. يقول هذا وهو ما زال أميراً.

١. انظر كتاب المناقب، لابن شهر آشوب ٢: ٨٢-٨٣؛ وكتاب البحار ٤٢ : ٢٤٢.

٢. مروج الذهب، للمسعودي ١: ٣٦٧؛ من أخبار صعصعة.

يقول السيد العسكري: أرأيت مفاخرة أبعد من هذه في التيه! يرى أن أباه لو ولد الناس كلهم لم يلد إلا حازماً، وإن أباه كان أكرمها وابن أكرمها لولا نبوة النبي! كان هذا حد مفاخرته في أيام إمارته؟!

أما في عصر خلافته، فقد كان حدود مفاخرته أبعد مدى من هذه وأشد، فقد اجتمعت لديه يومذاك إلى داعي المفاخرة دواع أخرى، كانت في حسابه أهم من دواعي التغي بأعجاد القبيلة، فإنه قد أصبح ملكاً يبذل قصارى جهده في تثبيت ملكه وترسيخ أساسه، وكيف يتم له ذلك، وفي المسلمين من يقول له في وجهه مقال صعصعة بن صوحان العبدي: ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله ﷺ إنما أنت طليق وابن طليق أطلقكما رسول الله ﷺ، فأني تصحّ الخلافة لطلق؟^١

أيّ الخلفاء رأيتموني؟

حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي وعبد الله بن الكواء الإشكري ورجالاً من أصحاب عليّ عليه السلام مع رجال من قريش. فدخل عليهم معاوية يوماً، فقال: نشدتكم بالله! إلا ما قلتم حقاً وصدقاً، أي الخلفاء رأيتموني؟

فقال: ابن الكواء: لولا أنك عزمت علينا ما قلنا، لأنك جبار عنيد، لا تراقب الله في قتل الأخيار، ولكننا نقول: إنك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة، قريب الثرى بعيد المرعى، تجعل الظلمات نوراً والنور ظلمات!

فقال معاوية: إن الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذابين عن بيضته التاركين لمحارمه، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلين ما حرم الله

١. انظر كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة، للسيد مرتضى العسكري ١: ٣٦٦، دواعي وضع الحديث. بتصرف.

والمحرمين ما أحل الله...

فتكلم صعصعة وقال:

تكلمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت، ولم تقصر عما أردت، وليس الأمر على ما ذكرت، أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً، ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً؟ أما والله! ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه إلا كما قال القائل: «لاحلي ولا سيري»، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله ﷺ وإنما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله ﷺ فأنى تصلح الخلافة لطليق؟!

فقال معاوية: لولا أنى أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول:

قابلت جهلهم حلماً ومغفرة

والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم!

من البررة والفسقة؟

في لقاء نوجزه، قال معاوية يا ابن صوحان! أنت ذو معرفة بالعرب ومجاهلها، فأخبرني عن أهل البصرة؟ وإياك والحمل على قوم لقوم! قال: البصرة واسطة العرب، ومنتهى الشرف والسؤدد،...

قال: فأخبرني عن أهل الكوفة؟ قال: قبة الإسلام، وذروة الكلام،...

قال: فأخبرني عن أهل الحجاز؟ قال: أسرع الناس إلى فتنة، وأضعفهم عنها وأقلهم غناء فيها، غير أن لهم ثباتاً في الدين وتمسكاً بعروة اليقين، يتبعون الأئمة الأبرار، ويخلعون الفسقة الفجار.

فقال معاوية: من البررة والفسقة؟

فقال: يا ابن أبي سفيان! ترك الخداع من كشف القناع، عليُّ وأصحابه من الأئمة الأبرار، وأنت وأصحابك من أولئك! وهكذا راح معاوية يسأله، وصعصة يجيب حتى أمسك معاوية. فقال له صعصة: سل يا معاوية! وإلا أخبرتك بما تحيد عنه. قال: وما ذاك يا ابن صوحان؟! قال: أهل الشام. قال: فأخبرني عنهم؟ قال: أطوع الناس لمخلوق، وأعصاهم للخلق، عصاة الجبار، وخلفة الأشرار، فعليهم الدمار، ولهم سوء الدار! فقال معاوية: والله يا ابن صوحان! إنك لحامل مديتك منذ أزمان، إلا أن حلم ابن أبي سفيان يرد عنك. فقال صعصة: بل أمر الله وقدرته، إن أمر الله كان قدراً مقدوراً!

وإنك لما رج من نار:

ودخل صعصة بن صوحان على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على سرير، فقال: وسّع له على ترابيّة فيه! فقال صعصة: إني والله لترابي، منه خلقت، وإليه أعود، ومنه أبعث؛ وإنك لما رج من نار! وقال سفيان بن عيينة: تكلم صعصة عند معاوية فغرق، فقال معاوية: بهرك القول! فقال صعصة: «إن الجياد نضّاحة بالماء»^١.

اللعن:

لم يعد معاوية إلى ضغائنه الأولى، فهي لم تغادره أو يغادرها، فكانت تظهر

١. العقد الفريد ٥ : ١١٥؛ ونثر الدر للآبي ١ : ٤٣٩؛ البيان والتبيين ١ : ١٢٧.

على لسانه، بعد أن لم يطق عليها صبراً، حتى يشفي قلبه من عليٍّ؛ فكان لعنه منهجه، الذي أقسم أن لا يتركه، حين طُلب منه ذلك، قائلاً: «لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر له ذاكراً فضلاً». فكان يأمر به من قبضته من أتباع عليٍّ ومحبيه، فأمر صعصة بن صوحان: اصعد المنبر فالعن عليّاً، فامتنع من ذلك، وقال: أو تعفيني؟ قال: لا.

فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: معاشر الناس، إن معاوية أمرني أن ألعن عليّاً، فالعنوه لعنه الله!

وكان معاوية ملتفتاً لهذه الطريقة في اللعن؛ ففي بعض المصادر كان يقول: لا والله ما عنيتَ غيري... ما عنى غيري، أخرجوه...^١

ابن عباس وصعصة:

سبق وقد ذكرنا قول المسعودي: «ولصعصة بن صوحان أخبار حسان، وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والإيضاح عن المعاني، على إيجاز واختصار». قول افتتح به كلامه عن أسئلة ابن عباس لصعصة، وإعجابه بما قدمه من إجابات جميلة ورائعة.

يقول: ومن ذلك خبره مع عبد الله بن العباس، وهو ما حدث به المدائني، عن زيد بن طليح الذهلي الشيباني، قال: أخبرني أبي، عن مصقلة بن هبيرة الشيباني، قال: سمعت صعصة بن صوحان وقد سأله ابن عباس: ما السؤدد فيكم؟ فقال: إطعام الطعام، ولين الكلام، وبذل النّوال، وكف المرء نفسه عن السؤال،

١. العقد الفريد، لابن عبد البر ١: ٢٤٤؛ ومثله في معجم رجال الحديث تحت الرقم: ٥٩٢٣؛ رجال الكشي: ٥٦، رقم ١٩.

والتودد للصغير والكبير، وأن يكون الناس عندك شرعاً.

قال: فما المروءة؟

قال: أخوان اجتماعاً، فإن لقياً قهراً حارسهما قليل، وصاحبهما جليل، يحتاجان إلى صيانة مع نزاهة وديانة.

قال: فهل تحفظ في ذلك شعراً؟

قال: نعم، أما سمعت قول مرة بن ذهل ابن شيبان حيث يقول:

إنَّ السيادةَ والمروءةَ عُلِّقَا

حيث السماء من السَّمَاءِ الأعزل

وإذا تقابل مُجْرِيَانِ لغاية

عثر الهجين وأسلمته الأرجل

ويجي الصريحُ مع العتاق معوداً

قرب الجياد فلم يجئه الأفكل.

فقال له ابن عباس: لو أن رجلاً ضرب آباط إبله مشرقاً ومغرباً لفائدة هذه الأبيات ما عنفته، إنا منك يا ابن صوحان لعلی علم وحكم واستنباط ما قد عفا من أخبار العرب.

فمن الحكيم فيكم؟

قال: مَنْ ملك غضبه فلم يعجل، وسعي إليه بحق أو باطل فلم يقبل، ووجد قاتل أبيه وأخيه فصيح ولم يقتل، ذلك الحكيم يا ابن عباس، قال: فهل تجد ذلك فيكم كثيراً. قال: ولا قليلاً، وإنما وصفت لك أقواماً لا تجدهم إلا خاشعين راهبين لله مريدين ينيلون ولا ينالون، فأما الآخرون فإنهم سبق جهلهم حلمهم، ولا يبالي

أحدهم إذا ظفر ببغيته حين الحفيظة ما كان بعد أن يدرك زعمه يقضي بغيته، ولو وتره أبوه لقتل أباه، أو أخوه لقتل أخاه، أما سمعت إلى قول زبان بن عمرو بن زبان، وذلك أن عمراً أباه قتله مالك بن كومة، فأقام زبان زماناً، ثم غزا مالكا، فأتاه في مائتي فارس صباحاً وهو في أربعين بيتاً فقتله، وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن قتل، ويقال: بل كان أخاه، وذلك أنه كان جاورهم، فقبل لزبان في ذلك: قتلت صاحبنا، فقال:

فلو أمي تَقَفْتُ بِحَيْثُ كَانُوا

لَبَلَّ ثِيَابَهَا عِلْقَ صَبِيبٍ

ولو كانت أمية أخت عمرو

بهذا الماء ظَلَّ لها نَحِيبٍ

شهرت السيف في الأدنين مني

ولم تعطف أو اصرنا قلوب

فقال له ابن عباس: فمن الفارس فيكم؟ حدّ لي حدّاً أسمع منك فإنك تضع الأشياء مواضعها يا ابن صوحان، قال: الفارس من قصر أجله في نفسه، وضغم على أمله بضره، وكانت الحرب أهون عليه من أمسه، ذلك الفارس إذا وقدت الحروب، واشتدت بالأنفس الكروب، وتداعوا للنزال، وتزاحفوا للقتل، وتخالسوا المهج، واقتحموا بالسيوف اللجج، قال: أحسنت والله يا ابن صوحان، إنك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء، ما ورث هذا من كَلَالَةٍ، زدني قال: نعم، الفارس كثير الحذر، مدير النظر، يلتفت بقلبه، ولا يدير خرزات صلبه، قال: أحسنت والله يا ابن صوحان الوصف، فهل في مثل هذه الصفة من شعر؟ قال: نعم، لزهير بن جناب

الكلبي يرثي ابنه عمراً حيث يقول:

فارس تكلاً الصحابة منه ❀ بحسام يمرُّ مرَّ الحريق

لاتراه لدى الوغى في مجال ❀ يغفل الطرف، لا، ولا في مضيق

من يراه يَحُلُّه في الحرب يوماً ❀ أنه أخرج مضل الطريق

في أبيات، فقال له ابن عباس: فأين أخواك منك يا ابن صوحان؟ صِفْهُمَا لأعرف
وزنكم. قال: أما زيد فكما قال أخو غني:

فتى لا يبالي أن يكون بوجهه ❀ إذا سدَّ خلَّاتِ الكرام شُحُوبُ

إذا ما ترا آه الرجال تحفظوا ❀ فلم ينطقوا العوراء وهو قريب

حليف الندى يدعو الندى فيجيبه ❀ إليه، ويدعوه الندى فيجيب

يبيت الندى يا أم عمرو ضَجِيعه ❀ إذا لم يكن في المنتقيات حلوب

كأن بيوت الحي مالم يكن بها ❀ بَسَّاسُ مايلفى بهن عَرِيبُ

في أبيات، كان والله يا ابن عباس عظيم المروءة، شريف الأخوة، جليل الخطر، بعيد
الأثر، كميث العروة، أليف البدوة، سليم جوانح الصدر، قليل وساوس الدهر، ذاكراً
الله طرفي النهار و زُلْفاً من الليل، الجوع والشبع عنده سيان، لا ينافس في الدنيا،
وأقل أصحابه من يُنَافَس فيها، يطيل السكوت، ويحفظ الكلام، وإن نطق نطق بَعْقَام،
يهرب منه الدُّعَّار الأشرار، ويألفه الأحرار الأخيار.

فقال ابن عباس: ماظنك برجل من أهل الجنة، رحم الله زيدا، فأين كان عبد الله
منه. قال: كان عبد الله سيداً شجاعاً، مألُفاً مطاعاً، خيره وساع، وشره دفاع، قُلُوبِي
النحيزة، أحوذِي الغريزة، لا ينهنهه منهنة عما أَرَادَه، ولا يركب من الأمر إلاَّ اعتاده،

سماع عدي، وباذل قرى، صعب المقادة، جَزَلُ الرفادة، أخو إخوان، وفقى فتیان، وهو
كما قال البرجمي عامر بن سنان:

سِمَامُ عَدَى، بالنبل يقتل من رمى

بالسيف والرمح الرُّدَيْنِيَّ مشغب

مهيّب مفيد للنوال مُعوّد بفعل الندى والمكرّمات مجرب

وفي أبيات، فقال له ابن عباس: أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب ومن
أخبار صعصة ما حدث به أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي، عن أبي الهيثم يزيد
بن رجاء الغنوي، قال: أخبرني رجل من بني فزارة ثم من بني عدي، قال: وقف
رجل من بني فزارة على صعصة، فأسمعه كلاماً منه: بسطت لسانك يا ابن صوحان
على الناس فتهيبوك، أما لئن شئت لأكونن لك لصاقاً، فلا تتنطق إلاّ حَدَدْتُ لسانك
بأذْرَبَ من ظُبّةِ السيف، بعضب قوي، ولسان علي، ثم لا يكون لك في ذلك حل
ولا ترحال.

فقال صعصة: لو أجد غرضاً منك لرميت، بل أرى شبحاً ولا أرى مثلاً، إلاّ
مسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، أما لو كنت كفوّاً
لرميت حصائلك بأذْرَبَ من ذلك السنان، ولرشتك بنبال تردعك عن النضال،
ولخطمتك بخنطام يخزم منك موضع الزمام، فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك من
الفزاري، وقال: أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبال شمام إلى
الهضام، لكان أهون عليه من منازعة أخي عبد القيس، خاب أبوه، ما أجهله!!
يستجهل أخا عبد القيس، وقواه المريرة، ثم تمثل:

صَبَّتْ عَلَيْكَ وَلَمْ تَنْصَبْ مِنْ أُمَّم * إِنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشَقَّيْنِ مَصْبُوبٌ.^١

الخوارج مرةً أخرى:

كما قدر لمن بقي من مريدي الإمام عليه السلام وشيعته أن يعيشوا في ظلّ تسلط معاوية، وواليه في الكوفة المغيرة بن شعبة، قدر لهم الثبات على ولائهم لنهج الإمام عليه السلام وسيرته، وعدم نسيان ما حصل له من آلام ومتاعب خلقها هؤلاء له ومن هم على شاكلتهم؛ الناكثون والمارقون... وراحوا يتابعون بحرص وحذر الأوضاع وما يحدث في الساحة... ولم يُبعدوا أنفسهم عن التفاعل مع الأمة والتصدي لما تتعرض لها من أخطار بمواقف جريئة وخطب واعية ومواجهات كلامية تلجم الأعداء وتخرجهم... ومن هذه الأخطار: الخوارج وأفكارهم القاتلة... لقد كان صعصة بن صوحان، كما كان غيره من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام، ذوي بصيرة بهؤلاء المارقين الخوارج، كما أنهم لم ينسوا أن هؤلاء الخوارج هم السبب فيما حصل في معركة صفين وقفاً للقتال وقبولاً للتحكيم، وإكراهاً للإمام عليّ عليه السلام في القبول بذلك، ثمّ تمردهم وانقلابهم عليه، وتكفيرهم له، وتمزيقهم جيش الإمام عليّ عليه السلام، وتضعيف الأمة... وهو ما جاء على لسان صعصة واضحاً صريحاً: «ولا قوم أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة، الذين فارقوا إمامنا، واستحلوا دماءنا، وشهدوا علينا بالكفر».

ويبدو أن صعصة كان يترقب أن يتحركوا يوماً ما، وفعلاً لما سمع أن بقاياهم الذين كانوا ارتثوا يوم النهر، قد اجتمعوا على الخروج، وكان هذا في سنة ثلاث وأربعين، في أيام المغيرة بن شعبة والي معاوية بن أبي سفيان على الكوفة... وقف

١. مروج الذهب، للمسعودي ١: ٣٦٩.

صعصعة خطيباً في أهل الكوفة، وبالذات في قومه عبد القيس، مبيّناً ما وقعت به الأمة من اختلاف بعد وفاة رسول الله ﷺ وبعد البيعة بالخلافة للإمام عليٍّ عليه السلام... ثم راح يبين خطورة الخوارج، ويدعو الناس إلى عدم إيوائهم...

كما ذكر ذلك «ابن مخنف»... عن مرة بن النعمان، قال: قام فينا صعصعة بن صوحان... فقال: قولاً حسناً، ونحن يومئذ كثيرٌ أشرافنا، حسنٌ عددنا، قال: فقام فينا بعد ما صلى العصر، فقال: يا معشر عباد الله، إن الله - وله الحمد كثيراً - لما قسم الفضل بين المسلمين خصكم منه بأحسن القسم، فأجبتكم إلى دين الله الذي اختاره الله لنفسه، وارتضاه للملائكة ورسله، ثم أقمت عليه حتى قبض الله رسوله ﷺ ثم اختلف الناس بعده فثبت طائفة، وارتدت طائفة، وأدهنت طائفة، وتربصت طائفة، فلزمت دين الله إيماناً به وبرسوله، وقاتلت المرتدين حتى قام الدين، وأهلك الله الظالمين، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كل شيء، وعلى كل حال، حتى اختلفت الأمة بينها، فقالت طائفة: نريد طلحة والزبير وعائشة، وقالت طائفة: نريد أهل المغرب، وقالت طائفة: نريد عبد الله بن وهب الراسبي، راسب الأزد، وقتلتم أئمتهم: لا نريد إلا أهل البيت الذين ابتدأنا الله من قبلهم بالكرامة، تسديداً من الله لكم وتوفيقاً، فلم تزالوا على الحق لازمين له، آخذين به، حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مثل هداكم ورأيكم الناكثين يوم الجمل، والمارقين يوم النهروان - وسكت عن ذكر أهل الشام؛ لأن السلطان كان حينئذ سلطانهم - ولا قوم أعدى الله ولكم ولأهل بيت نبيكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة، الذين فارقوا إمامنا، واستحلوا دماءنا، وشهدوا علينا بالكفر؛ فإياكم أن تؤوؤوهم في دوركم، أو تكتموا عليهم، فإنه ليس ينبغي لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم، وقد والله ذكر لي أن بعضهم في جانب من الحي، وأنا باحث عن ذلك وسائل، فإن كان حكي لي ذلك حقاً، تقربت إلى الله تعالى بدمائهم، فإن دماءهم حلال. ثم

قال: يا معشر عبد القيس، إن ولاتنا هؤلاء هم أعرف شيء بكم وبرأيكم، فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً، فإنهم أسرع شيء إليكم وإلى أمثالكم. ثم تنحى فجلس. فكل قومه قال: لعنهم الله! وقال: برىء الله منهم، فلا والله فلا نؤويهم، ولئن علمنا بمكانهم لنطلعنك عليهم».

ولأنَّ شيعة عليٍّ عليه السلام كانوا أكثر معرفةً بهؤلاء الخوارج، وكانوا يرصدون تحركاتهم ويتربصون بهم، وهو أمر يعرفه الجميع ومنهم المغيرة بن شعبة والي الكوفة؛ الذي ما إن بلغه أن الخوارج خارجة عليه، حتى دعا جمعاً من أصحاب الإمام عليٍّ عليه السلام وشيعته، «وهم - كما وصفهم المغيرة بن شعبة نفسه - أكثر معرفةً بهؤلاء الخوارج، أشدَّ استحقاقاً لدماء هذه المارقة، وأجراً عليهم من غيرهم، وقد قاتلوا قبل هذه المرة»، دعاهم مع أناس آخرين؛ يبلغهم ويستشيرهم ويستعين بهم، فقال: إنَّ هؤلاء الأشقياء قد أخرجهم الحين وسوء الرأي، فمن ترون أبعث إليهم؟

فتحدث عدد من أتباع الإمام عليه السلام، أولهم عدي بن حاتم، ومما قاله: كلنا لهم عدو، ولرأيهم مسفه،... ثمَّ معقل بن قيس، فقال: إنك لا تبعث إليهم أحداً ممن ترى حولك... إلَّا وجدته لهم مفارقاً، ولهلاكهم محبباً، ولا أرى أصلحك الله أن تبعث إليهم أحداً من الناس أعدى لهم ولا أشدَّ عليهم مني، فابعثني إليهم فإني أكفيكمهم بإذن الله. فقال: اخرج على اسم الله... وفعلاً، كان الذي خرج معه ثلاثة آلاف نقاوة الشيعة وفرسانهم.

إلَّا صعصة!

ولتحمس صعصة لقتال الخوارج، قال للأمير الكوفة المغيرة بن شعبة، كما

يقول الخبر: وأما صعصعة بن صوحان «فقام بعد معقل بن قيس، وقال: ابعتني إليهم أيها الأمير، فأنا والله لدمائهم مستحل، وبجملها مستقل». وما موقف صعصعة هذا إلا تحمساً منه ورغبةً في قتال الخوارج.

فكان ردُّ المغيرة عليه أن قال له: اجلس؛ فإنما أنت خطيب، فكان أحفظه ذلك». وإنما قال له ذلك؛ لأنه يعيب عثمان بن عفان، ويكثر ذكر عليٍّ ويفضله. فدعاه، فقال: إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئاً من فضل عليٍّ علانيةً، فإنك لستَ بذاكر من فضل عليٍّ شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بداً، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّةً، فإن كنتَ ذاكرًا فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرًّا، وأما علانيةً في المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا، ولا يعذرنا به.

فكان يقول له: نعم أفعل، ثم يبلغه أنه قد عاد إلى ما نهاه عنه... هذا ما رواه الطبري، وروى أيضاً: فلما قام (صعصعة) إليه وقال له: ابعتني إليهم، وجد المغيرة قد حقد عليه خلافه إياه، فقال: اجلس فإنما أنت خطيب، فأحفظه. فقال له: أو ما أنا إلا خطيب فقط! أجل والله، إني للخطيب الصليب الرئيس، أما والله لو شهدتني تحت راية عبد القيس يوم الجمل حيث اختلفت القنا، فشؤون تُفري، وهامةٌ تُختلى؛ لعلمتَ أني أنا الليث الهزبر! فقال: حسبك الآن، لعمري قد أوتيتَ لساناً فصيحاً^١

١. انظر تاريخ الطبري ٣ : ١٨٠-١٨٢، سنة ٤٣. بتصرف.

مع علماء الرجال:

ذكره السيد الخوئي في معجم رجال الحديث، تحت الرقم ٥٩٢٣. قال النجاشي: «صعصة بن صوحان العبدي، روى عهد مالك بن الحارث الأشتر؛ وعده الشيخ في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام؛ فيما عده البرقي من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من ربيعة... كان من شهود وصية أمير المؤمنين عليه السلام». وقال الكشي (١٩): صعصة بن صوحان... عن أحمد بن أبي نصر، قال: كنت عند أبي الحسن الثاني عليه السلام، قال: ولا أعلم إلا قام ونفض الفراش بيده، ثم قال لي: يا أحمد أن أمير المؤمنين عليه السلام عاد صعصة بن صوحان في مرضه، فقال: يا صعصة لا تتخذ عيادتي لك أبهة على قومك، قال: فلما قال أمير المؤمنين عليه السلام لصعصة هذه المقالة، قال صعصة: بلى والله أعدّها منةً من الله عليّ وفضلاً، قال: فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إني كنت ما علمتك إلا لخفيف المؤونة، حسن المعونة، قال: فقال صعصة: وأنت والله يا أمير المؤمنين ما علمتك إلا بالله عليمًا، وبالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا.

...عن داود بن أبي يزيد، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): ما كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من يعرف حقّه إلا صعصة وأصحابه. ذكر السيد الخوئي هذه الرواية في ترجمة أخيه سيحان بن صعصة، تحت رقم ٥٦٥٨، العبدي أخو صعصة: من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، رجال الشيخ. وعن ابن داود: ضبطه بالباء الموحدة. قائلًا: ولا يبعد استفادة مدحه من قول الصادق عليه السلام: «ما كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من يعرف حقّه إلا صعصة وأصحابه.

١. الكافي: الجزء ٧، كتاب الصدقات، باب صدقات النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة والأئمة عليهم السلام (٣٥)، الحديث ٧؛ والتهذيب: الجزء ٩، باب الوقوف والصدقات، الحديث ٦٠٨.

...عاصم بن أبي النجود، عمن شهد ذلك، أن معاوية حين قدم الكوفة، دخل عليه رجال من أصحاب عليٍّ عليه السلام، وكان الحسن عليه السلام قد أخذ الأمان لرجال منهم مسمّين بأسمائهم وأسماء آبائهم، وكان فيهم صعصة، فلما دخل عليه صعصة، قال معاوية لصعصة: أما والله إني كنت لأبغض أن تدخل في أمانني، قال: وأنا والله أبغض أن أسمىك بهذا الاسم، ثم سلم عليه بالخلافة، قال: فقال معاوية: إن كنت صادقاً فاصعد المنبر والعن علياً!! قال: فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، أتيتكم من عند رجل قدم شره، وآخر خيره، وإنه أمرني أن ألعن علياً، فالعنوه لعنه الله، فضجّ أهل المسجد بآمين، فلما رجع إليه، فأخبره بما قال، قال: لا والله ما عنيت غيري، أرجع حتى تسميه باسمه، فرجع وصعد المنبر، ثم قال: يا أيها الناس، إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب، فالعنوا من لعن علي بن أبي طالب، قال: فضجوا بآمين، قال: فلما خبر معاوية، قال: لا والله ما عني غيري، أخرجوه، لا يسكنني في بلد فأخرجوه.^١

ولم أجد في المعجم ذكراً لزيد بن صوحان! نعم ذكر في المستدرک تحت رقم ٥٩٤٤، زيد بن صوحان العبدي أخو صعصة، أكبر منه، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من الأبدال ومن التابعين ورؤسائهم وزهادهم... حدثهم في البصرة، عن حذيفة بن اليمان، أنه قال: انظروا الفئة التي فيها عليٌّ فأتوها ولو زحفاً على ركبكم، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «عليٌّ أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله إلى يوم القيامة».

كلماته في ترغيب أهل الكوفة في نصره أمير المؤمنين عليه السلام وقوله: أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين، وانفروا إليه أجمعين، تصيبوا الحق راشدين.

١. معجم رجال الحديث ١٠: ١١٢-١١٤ رقم ٥٩٢٣، بتصرف وتلخيص.

كش: إنَّ عائشة كتبت من البصرة إلى زيد بن صوحان، إلى الكوفة: من عائشة زوجة النبي ﷺ إلى ابنها زيد بن صوحان الخالص. أما بعد إذا أتاك كتابي هذا، فاجلس في بيتك، وخذل الناس عن علي بن أبي طالب حتى يأتيك أمري. فلما قرأ كتابها، قال: أمرت بأمر وأمرنا بغيره، فركبت ما أمرنا به، وأمرتنا أن نركب ما أمرت هي به. أمرت أن تقرأ في بيتها، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة. والسلام.

إنفاذ أمير المؤمنين عليه السلام، إياه مع ابن عباس، لموعظة عائشة. النبوي ﷺ ذكر زيد بن صوحان، فقال: «زيد! وما زيد! يسبق منه عضو إلى الجنة». فقطعت يده يوم نهاوند في سبيل الله. عن الصادق عليه السلام، قال: لما صرع زيد بن صوحان رحمه الله يوم الجمل، جاء أمير المؤمنين عليه السلام حتى جلس عند رأسه فقال: رحمك الله يا زيد، لقد كنت خفيف المؤونة، عظيم المعونة. قال: فرفع زيد رأسه إليه، ثم قال: وأنت فجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، فوالله ما علمتك إلا بالله عليمًا، وفي أم الكتاب حكيماً، وأن الله في صدرك لعظيم، والله ما قاتلت معك على جهالة، ولكنني سمعت أم سلمة زوجة النبي ﷺ تقول: «سمعت رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. فكرهت والله أن أخذلك فيخذلني الله». ورواه المفيد في الاختصاص عنه، مثله... وقريب منه إلا أنه في آخره: سمعت حذيفة بن اليمان، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي أمير البرة - إلى آخر ما تقدم، وزاد: ألا وإن الحقَّ معه يتبعه، ألا فميلوا معه... وأنه من الثلاثة الذين شهدوا معه بصفين. ونقله المفيد في الاختصاص: ٨٢ مسائله عن أمير المؤمنين عليه السلام. كمبا ١٧: ٩٩، وجد ٧٧: ٣٧٧. وفي ترجمة إبراهيم بن هاشم القمي ما يتعلق به وبمسجده...

وقال العلامة الأميني: زيد بن صوحان العبدي، الشهير بزيد الخير. أدرك النبي الأعظم ﷺ، وترجمه ابن الأثير وابن حجر - ثم ذكر الروايات النبوية وكلمات العلماء في مدحه والثناء عليه وبيان جلالته وقوله لأمر المؤمنين ﷺ يوم الجمل: «ما أراني إلا مقتولاً». وذلك لما رآه في المنام. كتاب الغدير ط ٢، ٩: ٤١-٤٣.

وفي القاموس، نقل عن المسعودي كلمات صعصعة في مدح أخيه زيد حين سأله ابن عباس. فقال: كان والله عظيم المروءة، شريف الإخوة، جليل الخطر، بعيد الأثر، كميث العروة، أليف البدوة...^١

وفاته رضوان الله عليه

بقي حقد المغيرة بن شعبة عليه، وراح يزداد، وصعصعة لا يتوقف عن المجاهرة بحبه للإمام عليّ ﷺ وبولائه، وبعده للسلطة الأموية، حتى صار ينظرها كما وصفه عفير، حين يقول لمعاوية عن صعصعة: ... أعظم جرماً عندك... وأنكأ لقلبك، وأقدح في صفاتك، وأجد في عداوتك، وأشد انتصاراً في حربك.

إذن وبسبب مواقفه هذه غير المهادنة للمغيرة وسلطته، ضاق المغيرة به ذرعاً، فنفاه عن الكوفة بأمر معاوية، وكان نفيه مردداً بين مكانين هما: جزيرة أوالى من البحرين.

جزيرة ابن كافان أو كاوان ويُقال: جزيرة بني كاوان، وبقي في منفاه حتى توفاه الله تعالى سنة ٦٠ هـ.

وقد ذكر ابن سعد أنه توفي بالكوفة في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

١. انظر مستدركات علم رجال الحديث، للشيخ علي النمازي الشاهرودي ٣: ٤٧٤-٤٧٦ رقم

٥٩٤٤؛ وانظر رجال الكشي: ٥٥، رقم ١٨.

وقال صاحب كتاب مراقد المعارف «المعروف أن قبره في ظهر الكوفة بـ
«الثوية».

فيما ذكر صاحب كتاب العتبات المقدسة في الكوفة أنه لم يعرف إلى الآن أن
لصعصعة قبراً لا بالكوفة ولا في ضواحيها القديمة. وهناك قبر مشهور يُزار في جزيرة
عسكر، يحكى عن البحرانيين أنه معروف بقبر صعصعة بن صوحان...
نعم، يقال: إن هناك مسجداً له في الكوفة إلى الشرق من مسجد السهلة،
ومساحته ٧٥ متراً كان يتعبد فيه.^١

لقد التحق هؤلاء الإخوة الثلاثة الصالحون بالرفيق الأعلى؛ ليجدوا لهم مقعد
صدق «مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً».
نسأله تعالى أن يُوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله!



١. انظر الإصابة ٢: ١٩٢؛ تهذيب التهذيب ٤: ٤٢٢؛ وطبقات ابن سعد؛ مراقد المعارف، لمحمد حرز
الدين: ٤٠٧١؛ تاريخ الكوفة ٤٦-٤٧؛ والبحار ١٠٠ : ٤٤٦-٤٤٨؛ وغيرها من كتب المزارات
والأدعية؛ وانظر معجم البلدان ٢: ١٠٣ فيه كلام عن هذه الجزيرة.



فِي رِجَالِ سِلْسِلَةِ

«كَخَاتِرِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ» (٣)

محمد حسين الواعظ

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزاً وحصناً، وجعل البيت العتيق مثابةً للناس وأمناً، تهوي إليه أفئدة المؤمنين، وتشتاق إليه نفوس عباده الصالحين، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين، وآله الطيبين الميامين.

وبعد، لما كانت الكعبة المكرمة قبلةً للمسلمين، وقد فرض الله على الناس حجَّ بيته الحرام، وكانت المدينة المنورة حرم رسول الله ﷺ مهبطاً للوحي، وموطئاً

للقلوب؛ فقد كانت الشيعة الإمامية - كسائر فرق المسلمين - تولي الحرمين الشريفين بالغ الاهتمام، وغاية التعظيم والاحترام، وتبذل في سبيلهما الغالي والنفيس، وتسعى لإقامة الشعائر الإلهية في تلك الديار المقدسة..

إلا أنه مما يؤسف له، أن جهود الشيعة في هذا المجال، وتراثهم العريق، وماضيهم المشرق، لم تحظَ بالاهتمام، ولم تلقَ اعتناءً من خلال الدراسات التخصصية، والأبحاث العلمية، والموسوعات الريادية..

أفهل يشكّ اثنان في جهود علماء الإمامية في فقه الحج والزيارة، أم يختلف باحثان في مجد الشيعة الأثيل وماضيهم الحميد في أمر الحج وتاريخ الحرمين الشريفين؛ فلم يخلُ يوماً الحرمان الشريفان من الشيعة الإمامية وعلمائهم، وقد ترك أعلامنا آثاراً خالدة، ومصنفات رائدة في مضمار الحج والحرمين الشريفين.

ومع كثرة الأبحاث والدراسات التراثية، بقيت ثغرة خطيرة و فجوة علمية كبيرة من البحث والتحقيق، وهو تاريخ الشيعة الإمامية في الحرمين الشريفين وأمر الحج، وتاريخ أعلام هذه الطائفة المحقة ممن نشأ في تلك البلدتين المقدستين أو قطن بهما، وجهودهم العلمية، وآثارهم العملية في الحفاظ على الحرمين الشريفين، وتسهيل أمر الحجاج وحفظ نفوسهم، وإلى غير ذلك مما يرتبط بهذا المجال.

وانطلاقاً مما مضى، انبرى أحد أعلام الباحثين والفضلاء المحققين، وهو سماحة العلامة الحجة الشيخ حسين الوائلي، دامت فضائله وفواضله، وتصدّى بعزم وإرادة، وثمر عن ساعدَي الجد والاجتهاد لدراسة وتحقيق تاريخ الشيعة الإمامية في الحرمين الشريفين، من خلال السلسلة التي يصدرها تحت عنوان: «ذخائر الحرمين الشريفين».

وتعتبر هذه السلسلة من المقالات في هذه المجلة الغراء «مِيقَاتُ الْحَجَّ» دراسة شاملة عنها وما اشتملت عليه من كنوز ونفائس.

فقبل سنين من الزمن، دفعت الهمة بشيخنا الواتقي أن يطرح على الجهات المعنية والمؤسسات المختصة أطروحة مهمة للغاية تحت عنوان: «الموسوعة المكيّة والمدنيّة الشيعيّة الكبرى»، وهي تشتمل على محورين:

الأول: المواضيع والعناوين المشتركة بين الشيعة والسنة، فمن المعلوم أنّ الحجّ والحرمين الشريفين تجمع كافة فرق الإسلام، وعامة أهل القبلة، وهي إحدى القواسم المشتركة بينهم، الداعية لاتحاد صفوفهم وكلمتهم.

الثاني: المواضيع والعناوين الخاصة بالشيعة في الحرمين الشريفين، نحو: تاريخ الشيعة وعلمائهم، ورواة الأحاديث في الحرمين الشريفين، وما بذله الشيعة في خدمة الحجاج وتعمير الحرمين... وما إلى ذلك ممّا طرح بالسط والتفصيل في مقالة جامعة نشرت في مجلّة آئينه پژوهش [=مرآة التحقيق]، العدد ٩٧، ص ٨٤ - ٩١.

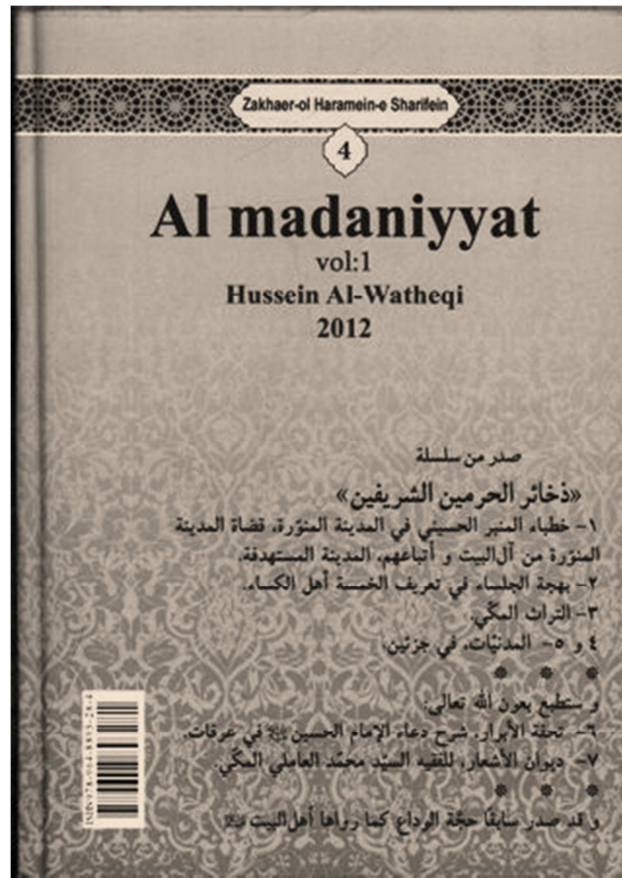
ولكنّ ممّا يؤسف له - كلّ الأسف - أنّ هذه الأطروحة العلمية البكر لم تلقَ من العناية والاهتمام، ولم يتوجّه إليه ذوو الجهات المعنية من رجال العلم والثقافة، ولم تذكر كإحدى الأطروحات الضرورية لكونها تفتح آفاقاً جديدة من البحث والتحقيق، ولكونها غير مطروقة من قبل، وتعتبر لازمة البحث والدراسة، وصارت حاجة ملحة عصرية، مع تطوّر آلات البحث، ووفرة أدواته التي كانت من قبل معدومة، وهكذا بقي الحال من عدم العناية، حتّى كاد أن يكون هذا العمل مهجوراً، وكأنّ لم يكن شيئاً مذكوراً...

إلا أنّ ذلك لم يكن ممّا يضعف همة شيخنا الباحث، أو يني من سعيه، حتّى تصدّى بنفسه وباهتمام بالغ، وعمل دؤوب لإخراج سلسلة من الأعمال العلمية التراثية التحقيقية والتأليفية، لتكون جابرة لهذه الثغرة العلميّة، ومبيّنة لهذا السدّ التراثي، ألا وهي سلسلة «ذخائر الحرمين الشريفين» التي نهتمّ بتعريفها في هذه السلسلة من المقالات، وإليك - الآن - المجلّد الرابع والخامس من هذه السلسلة

المباركة وما اشتملت عليه:



مِيقَاتُ الْحَجَّ : ٤٦ - ١٤٣٨ هـ



المدنّيات (سلسلة ذخائر الحرمين الشريفين ٤ و ٥)

تحقيق وتأليف: الشيخ حسين الوائقي، النشر: دانس حوزة، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٤هـ، طبع على نفقة المؤلف، مجلّدان في ١٣٣٦ ص، مصوّر.

يحتلّ كتاب المدنّيات في مجلّدين العدد الرابع والخامس من سلسلة ذخائر الحرمين الشريفين، وكما أسلفنا في الأعداد السابقة من مجلة ميقات الحجّ الغراء، فإنّ الشيخ الوائقي حفظه الله دأب جاداً في سبيل إحياء معالم هاتين البلديتين الطيّبتين،

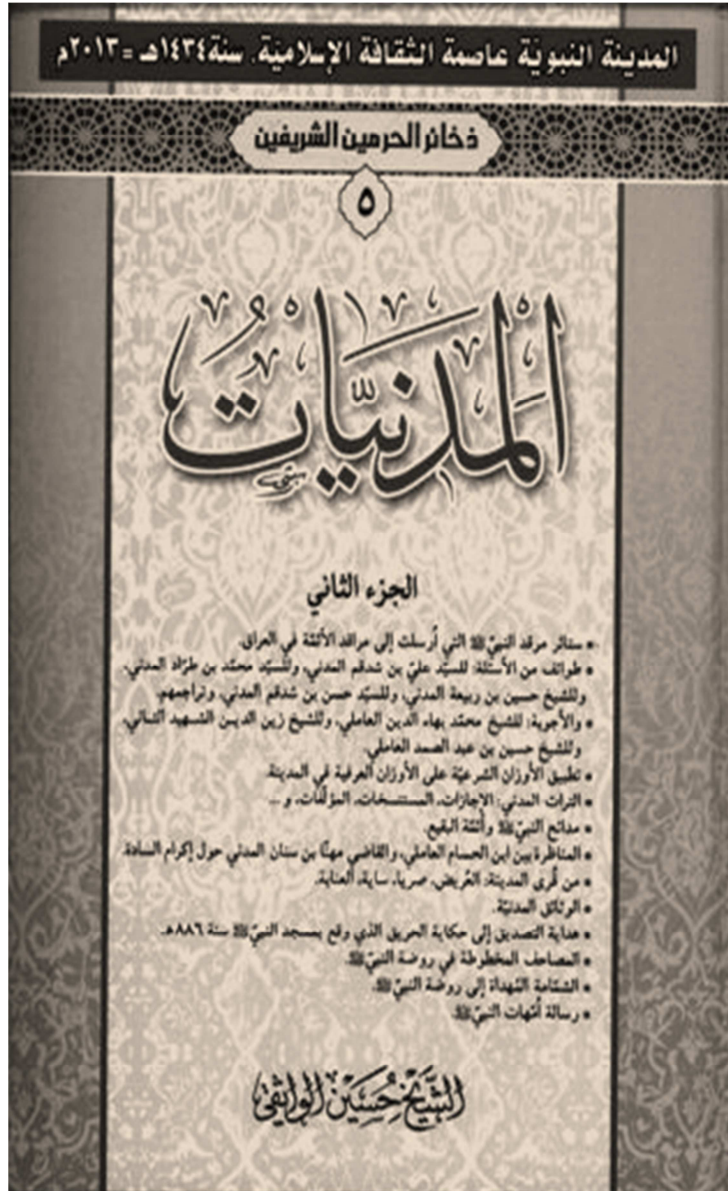
من خلال الرجوع إلى آلاف المخطوطات في شتّى المكتبات، حيث إنّ مصادر البحث والدراسة في هذا المجال شحيحة جداً، لذلك ينبغي الاعتماد على المخطوط أكثر من المطبوع قليل الوجود.

ومن البديهي أنّ القيام بمثل هذا المشروع الضخم يستدعي تفرّغاً تامّاً ودعمّاً معنوياً ومادياً، ولكن الشيخ الوائقي عصاميّ ليس اتّكاله سوى على الله جلّ وعلا، فقد بذل الشيخ أكثر من عشرين عاماً من عمره في سبيل جمع وتحقيق موادّ البحث والدراسة، من خلال التأمل والتدقيق والنظر الفاحص الدقيق في بطون الأسفار، ومتون المخطوطات.

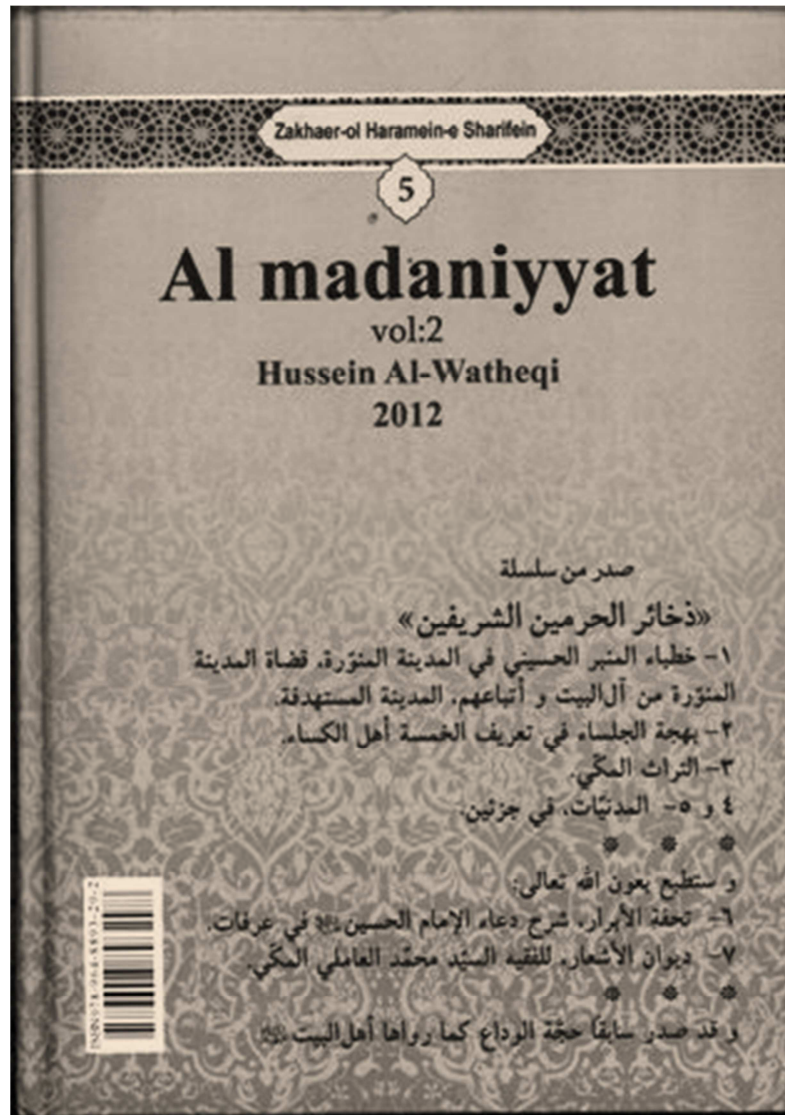
وأما عن هذا الكتاب الذي قدّمه المؤلّف إلى الأوساط العلميّة فهو - بحقّ - دائرة معارف موجزة عن المدينة المنورة وتاريخها ونشاط الشيعة الإمامية الثقافي والعلمي فيها.

فقد اشتمل الكتاب على تراجم شريحة واسعة من العلماء المدنيين وسيرهم ومصنفاتهم، وتحقيق جملة كبيرة من المصنّفات والرسائل الفقهيّة، والأصوليّة، والكلاميّة، والتفسيرية المدنيّة، كما احتوى الكتاب على وثائق تاريخية جمة وأسفاراً مهمة عن تاريخ الشيعة الإمامية في المدينة المنورة.

وقد صدر هذا الكتاب الجليل مرافقاً لإعلان المدينة المنورة عاصمة الثقافة الإسلاميّة سنة ١٤٣٤ هـ = ٢٠١٣ م، والحمد لله ربّ العالمين.



المدنِيَّات



- ومن حسنات هذا الكتاب الاستفادة من بطن الغلاف، حيث اشتمل على التعريف باللوحة الحجرية الثمينة والجميلة التي صنعها الميرزا سנגلاخ الخراساني للروضة النبوية - على مشرقها السلام - وإليك تعريفها:

تعريف باللوحة الجميلة

السلسلة ذخائر الحرمين... (٣)

طولها: ٣٨٠ سنتيمتراً، عرضها: ١٣٣ سنتيمتراً، ضخامتها: ٣٥ سنتيمتراً، وزنها: حوالي ٣٠٠٠ كيلو جراماً، عدد قطعاتها: ٥ قطع، القطعة الأصلية المركزية في الوسط، وأربع قطع في أربعة جوانبه الحواشي.

هذا الحجر هبّاه وخطّ مكتوباته، ثمّ نحتته الميرزا محمد علي سنغلاخ الخراساني (ت ١٢٩٤ هـ) الخطّاط والحجّار الشهير في القاهرة بمصر، وهو صاحب الكتاب الكبير الفارسي المطبوع «تذكرة الخطّاطين»، وكان في نيّته أن ينقله من مصر إلى المدينة المنورة وينصبه في المسجد النبوي الشريف، فلم يوفّق، لأنّ السلطان العثماني لم يسمح له بالإجازة، فلذا نقله إلى تبريز في إيران، وهو عازم على نقله إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام ونصبه في حرم الإمام، فلم يمهله الأجل، وهو الآن محفوظ في متحف تبريز الوطني.

هذا الحجر من المرمّر الأبيض، والمكتوبات عليه بثلاث لغات: العربيّة، والفارسيّة، والتركّيّة العثمانيّة.

ولا يخفى أنّ المكتوب على الدائرة على يسار (بسم الله الرحمن الرحيم) كان اسم الخليفة العثماني آنذاك هكذا: «سلطان البرّين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين، عبد المجيد بن حضرتلرينك هديه لريدير».

ثمّ غيّره بآية قرآنيّة وهي: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾^١ والآن كلاهما ممسوحان.

١. أخذت هذه المعلومة من الورقة التي نُصبت على الجدار في متحف تبريز، حول التعريف بالحجر المذكور.

والميرزا سنغلاخ الخراساني كتب رسالة إلى علي باشا الصدر الأعظم للدولة العثمانية آنذاك، وعدّد خدماته إلى الدولة العثمانية طوال خمس وعشرين سنة التي قضاها في تلك الأراضي، ثمّ قال: ومن تلك الخدمات الحجّ الذي عمله للروضة النبويّة عليه الصلاة والسلام، ولم يعهد مثله في عهد سلاطين المسلمين وفي البلاد الإسلاميّة، وقد صرف في سبيل صنعه وإتقانه ٦٥٨ صرّة من النقود خلال ثمان سنوات من عمره التي قضاها في صنعه وإيجاده، ثمّ نقله بأمر السلطان من مصر إلى إسطنبول عاصمة الدولة العثمانية، ثمّ شكّا ممّا سمع من أمر السلطان بتقويم الحجّ المذكور وبيعه، وشبّه هذا العمل بعمل السلطان محمود الغزنوي مع الفردوسي الطوسي الشاعر الشهير الفارسي وملحمته الشّعريّة «الشاهنامه». (توجد الرسالة في مخطوطة من كتاب مجمع الأوصاف، من مجموعة كريم زاده المهداة إلى مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، الرقم ٥٧، ص ٦٦-٧٢).



اللوحة الجميلة ليرزا محمدعلي سنغلاخ الخراساني الخطاط والحجار الشهير

● ومن حسنات الكتاب تقريظ العلامة السيد عبدالستار الحسيني على الكتاب،^١ وإليك نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب السّماحة و الفضيلة العلامة الفذّ، والمحقق البارع الثبت، الرائد الأول والسابق المجلّي في حفظ تراث الفكر الإمامي المكيّ المدني، المودّع في خبايا الزوايا، حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسين الواقفي - لازال منجم وثائقه العزيرة النادرة مُتَنَجِّعَ الباحثين والمنقّبين في تراث أعلام شيعة العترة في مهبط الوحي الزاهرة - أهدي هذه الأبيات التي حضرّتها صباح يوم الثلاثاء غرة ذي القعدة الحرام سنة ١٤٣٣ هـ، وهي اثنا عشر بيتاً على عدد ولاية الأمر^{عليه السلام}، راجياً التفضّل بالقبول، وإن لم يتشرف ناظمها بالمشول.

يُتْرَاثُ مَكَّةَ وَ الْمَدِينَةَ لَكَ شِيعَةُ الْهَادِي مَدِينَهُ
أُظْهِرْتُهُ بَعْدَ انْدِثَا رٍ، وَاجْتَلَيْتَ لَنَا دَفِينَهُ
مِنْ كُلِّ مَا جَادَتْ بِهِ الْكَ أَعْيَانُ تُحِبُّونَا عُيُونَهُ
فَلَكَ (الرِّيَادَةُ) فِيهِ يَا مَنْ قَدْ حَفِظْتَ لَنَا مُتُونَهُ
لِلَّهِ دَرْكٌ عَيْلِمًا عِلْمًا، لِأَهْلِ الْفَضْلِ زِينَهُ
أُتَحَفَّتْنَا بِنَفَائِسِ الْكَ أَعْلَاقٍ، وَالْدُرَرِ الشَّمِينَهُ
وَحَبَوْتُنَا بِذَخَائِرٍ بَسَطَ الرَّجَاءُ لَهَا يَمِينَهُ

١. و للسيد المكرّم تقريظ آخر على التراث المكيّ، كتبه بعد طبع الكتاب، فنقله بلفظه في أوّل المستدرك على التراث المكي، الصفحات ١١٦٢ - ١١٦٦ من كتابنا هذا المديّيات.

مِنْ مَنَبَعِ الْفِكْرِ الْأَصِيلِ تَدَقَّقْتُ وَحَوْتُ مَعِينَهُ

أَعْظَمُ بِهِنَّ صَحَائِفًا قَدْ وَثَّقَتْ بِيَدِ أَمِينِهِ

يَدِ جِهْدٍ فَذَّلَهُ شَهَدَتْ مَآثِرُهُ الرَّصِينَهُ

ذَاكَ (الْحُسَيْنُ الْوَائِقِي) بِهِ أَعَزَّ اللَّهُ دِينَهُ

حَازَ الْفَخَارَ كَمَا غَدَا التَّوْفِيقُ مُطَرِّدًا - قَرِينَهُ

خادم العلم والعلماء
الأقلُّ عبدالستار الحسيني

وأما الكتاب يحتوي على:

١- الأسئلة للسيد محمد بن الحسن بن شذقم الحسيني المدني (ت ١٠٠٨ هـ)، وأجوبتها من الفقيه الكبير السيد محمد بن علي الموسوي العاملي صاحب مدارك الأحكام (ت ١٠٠٩ هـ) (ص ١٧ - ٤٦).

وقد اشتملت مقدمة التحقيق على ترجمة السائل وإجازة الشيخ حسن بن زين الدين العاملي له، وترجمة المجيب على نحو الاختصار، والتعريف بمخطوطات هذه الرسالة.

والمسائل المطروحة في الرسالة عددها ثلاث وعشرون مسألة، أجاب السيد العاملي عن جميعها قاطبة، وتمتاز الأجوبة بمرافقة الاستدلال الفقهي والنظر إلى الأخبار ودلالاتها على الأحكام، نظراً لمكانة السائل.

ولم تختص المسائل بباب فقهي، بل تشتمل على مسائل شتى من كتاب الوقف والغصب والبيع والأطعمة والأشربة، وغير ذلك، وكذلك بعض المسائل المبتلى بها أو المسائل المستحدثة آنذاك.

٢- الأسئلة للسيد علي بن الحسن بن شذقم الحسيني المدني، وأجوبتها من

الفقيه الكبير السيد محمد بن علي الموسوي العاملي صاحب مدارك الأحكام (ت ١٠٠٩ هـ) أيضاً (٤٧ - ٢٤٢).

اشتملت مقدمة التحقيق لهذه الرسالة على ترجمة وافية للسائل، وعلاقاته بكبار العلماء من مختلف البلدان الإسلامية، واشتملت على إجازة طويلة للمؤيد بالله الإمام محمد بن القاسم الزيدي للسائل، وهي أمانة على الصلات الثقافية بين علماء المذاهب الإسلامية المختلفة من بلدان عديدة.

وتعرض المحقق في المقدمة إلى مصنفات السيد المدني (السائل) والمصنفات التي كتبت بطلب منه، وهي دلالة واضحة على مكانته ومنزلته العلمية السامية، ومن حسنات ترجمة السيد المدني أيضاً إحصاء النسخ التي كانت في تملكه، وقد تم تحقيق هذه الرسالة على أساس نسخة فريدة.

وقد اشتملت الرسالة على تسعة أبواب، صنفها السائل حسب السنين، وقد جمع جوابات مسائل كل سنة في باب مستقل، وقد ضم كل باب عشرات المسائل الفقهية، مع أجوبتها، عدا الباب التاسع والأخير فلم يأت جوابها لرحيل السيد المحيبي صاحب المدارك إلى رضوان الله تعالى.

٣- الأسئلة للسيد محمد بن جويبر التماري المدني الحسيني وأجوبتها من الفقيه العظيم الشيخ حسن بن زين الدين العاملي صاحب المعالم (ت ١٠١١ هـ) وهي أجوبة المسائل المدنيات الأولى لصاحب المعالم، (٢٤٣ - ٢٦٤).

وقد اشتهر من بين مصنفات الشيخ حسن صاحب المعالم، أجوبة المسائل المدنيات الثلاث، وقد أوضح الشيخ الواثقي في مقدمة التحقيق عن تعدادها هل هي ثمانية أو ثلاثة.

وقد استوفى المحقق ترجمة السائل في المقدمة، وتوضيح بعض الأخطاء في كتب التراجم والرجال، وقد أحصى أيضاً مخطوطات هذه الرسالة و أماكن وجودها.

لم يرد صاحب المعالم الأسئلة بتمامها، بل انتقى منها موضع الشاهد، وأخذ في الجواب عن المسائل، وهي على ما في الرسالة ٢٣ مورداً أجاب عنها صاحب المعالم. ٤- الأسئلة، للسيد محمد بن الحسن بن شذقم الحسيني المدني (ت ١٠٠٨ هـ)، والأجوبة للفقهاء العظماء الشيخ حسن بن الشهيد الثاني صاحب المعالم (ت ١٠١١ هـ)، وهي أجوبة المسائل المدنيات الثانية. (ص ٢٦٥ - ٢٩٢).

وقد أورد المجيب السؤالات الواقعة من السيد محمد بن شذقم كلها أولاً، ثم يأخذ بالجواب عنها واحدة تلو الأخرى، وهي ثلاث عشرة مسألة، وقد تم تحقيق هذه الرسالة على مخطوطتين.

ومن حسنات هذه الرسالة القيمة أنها تشتمل على إجازة الشيخ المجيب للسيد السائل في رواية الحديث، وهو مما يغتنم ذكره وعدم الغفلة عنه.

٥- الأسئلة للسيد علي بن الحسن بن شذقم الحسيني المدني (ت حوالي ١٠٣٤ هـ)، والأجوبة للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني، صاحب المعالم (ت ١٠١١ هـ)، وهي أجوبة المسائل المدنيات الثالثة إلى الثامنة، (ص ٢٩٣ - ٤٣٢).

وهي تشتمل على سبعة أبواب، وقد صُنفت فيها الأسئلة والأجوبة حسب تواريخها منذ سنة (١٠٠٠ لغاية سنة ١٠٠٩ هـ)، ومن مميزات هذه الرسالة اشتغالها على تعليقات السيد علي بن شذقم على أجوبة الشيخ حسن صاحب المعالم. وقد تم تحقيق هذه الرسالة على سبع مخطوطات.

ومن الظرائف أن السيد علي بن شذقم المدني قد ألحق بهذه الرسالة كتابين أرسلهما إلى السيد نور الدين علي بن علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي جواباً عن كتابه إليه، وإلى الشيخ محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني.

٦- الأسئلة للسيد علي بن الحسن بن شذقم الحسيني المدني، وأجوبتها للشيخ محمد بن أحمد بن نعمة الله بن خاتون العاملي المكي (ص ٤٣٤ - ٤٦٢).

تشتمل مقدّمة التحقيق على ترجمة الشيخ المكيب وإحصاء مشايخه ومؤلفاته، وقد تمّ تحقيق الرسالة على مخطوطة واحدة فريدة.

٧- مقال حول آية الإفك، للسيد علي بن حسن بن شذقم الحسيني المدني (ص ٤٦٣ - ٤٦٨).

٨- رسالة الاعتقادات، للسيد علي بن حسن بن شذقم الحسيني المدني (ص ٤٦٩ - ٤٨٢).

٩- رسالة في عدم وجوب طواف النساء في عمرة التمتع، للسيد علي بن حسن بن شذقم الحسيني المدني أيضاً، (ص ٤٨٣ - ٤٨٨).

١٠- رسالة في الإشهاد على الطلاق، للسيد علي بن حسن بن شذقم الحسيني المدني، (ص ٤٨٩ - ٤٩٨).

١١- رسالة في علم الشاهدين على الطلاق بالمطلق والمطلقه معيّناً، تأليف العالم الفاضل الشيخ عبد النبي بن سعد الدين الجزائري الحائري، (ص ٤٩٩ - ٥١٦).

١٢- الأسئلة للسيد علي بن حسن بن شذقم الحسيني المدني، وأجوبتها لعلماء السنّة والزيدية المدينيين (ص ٥١٧ - ٦٢٤).

وهي مسائل مختلفة، فقهية وكلامية وغيرها، سأها السيد المدني من عدّة من العلماء من أبناء الفرق الإسلامية الأخرى، وهم:

أ- الشيخ خالد المكي المدرّس بالمدينة المشرفة.

ب - السيد غضنفر المغلي الحنفي الحسيني المدني.

ج - الشيخ محمد بن أبي الخير بن أحمد بن حجر المدني.

د - الملا محمد عاشق بن عمر الحنفي.

هـ - الشيخ علي بن جار الله بن ظهيرة القرشي المخزومي الحنفي.

وقد تضمّنت هذه المسألة دعوى الخلاف بين السيد علي بن شذقم المدني مع

محمد بن أحمد بن سعد حول ميراث زوجة السيد المدني، وهي أخت المذكور. وقد استفتى فيها السيد علي بن شذقم من عدّة من العلماء من العامّة، فحكموا له على محمد بن أحمد بن سعد، وهم:

أ - الملا محمد عاشق بن عمر الحنفي.

ب - عبد الرحمن بن عيسى العمري الحنفي.

ج - المؤيّد بن صلاح الزيدي.

د - محمد بن أحمد المؤيّد الزيدي.

هـ - عمر بن عبد الرحيم الحسيني الشافعي.

و - عبد القادر بن محمد الحسيني الطبري الشافعي.

١٣- الشهاب الثاقب في تخطئة اليزيدي الناصب، للسيد علي بن حسن بن شذقم الحسيني المدني (ص ٦٢٥ - ٦٤٠).

تحتوي هذه الرسالة على جواب والد المصتّف عن جواز لعن يزيد بن معاوية، ثمّ تفصيل الكلام من قبل المؤلّف.

١٤- أسئلة السيد علي بن الحسن بن شذقم الحسيني المدني، وأجوبتها للشيخ محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني (ت ١٠٣٠ هـ)، (ص ٦٤١ - ٦٥٩). وهي تشتمل على ثلاث مسائل: في الوقف على الأولاد، الميراث عن الزوجة، الإقرار.

١٥- إرسال ستائر مقصورة النبيّ إلى مراقد الأئمّة في العراق، (ص ٦٦٠-٦٧٢)، مقال للشيخ الواثق ذكر فيها نماذج على أنّ الستائر المقصورة في المرقد النبوي كانت ترسل إلى قبور ذريّته وأهل بيته في العراق عند استبدالها بستائر جديدة.

وخير شاهد على ذلك القصيدة التي أنشأها الأديب عبد الباقي العمري

الفاروقي (ت ١٢٧٩ هـ) في وصف الستر الذي أرسل من الروضة النبوية إلى مرقد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

١٦- الأسئلة للسيد علي بن حسن بن شذقم الحسيني المدني، وأجوبتها لشيخ الإسلام في إيران المشارك في العلوم الإسلامية الشيخ محمد بهاء الدين العاملي، المعروف بالبهائي (ت ١٠٣٠ هـ). (ص ٦٧٣ - ٧٠٠).

وقد أحصى المحقق مخطوطات هذه الرسالة، وذكر عشرين مخطوطة لها. وهي ستة أسئلة، وهي في الغالب كلامية.

١٧- الأسئلة الثانية التي أرسلها السيد علي بن حسن بن شذقم الحسيني المدني إلى الشيخ محمد بهاء الدين العاملي، إلا أنه لم يعثر على أجوبتها، والظاهر عدم وصول الأسئلة للشيخ، أو عدم وصول الأجوبة للسيد. وهي ثلاثة أسئلة، (ص ٧٠١ - ٧١٨).

١٨- رسالة في تطبيق الأوزان الشرعية على الأوزان العرفية في المدينة المنورة في أوائل القرن الحادي عشر الهجري، تأليف السيد علي بن حسن بن شذقم الحسيني المدني، وعليها تعليقات الفقيه الشيخ محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني (ص ٧١٩ - ٧٤٦).

وقد أجاب السيد ابن شذقم على تعليقات الشيخ محمد العاملي، وقد علّق الشيخ مرة أخرى على إشكالاته وأجاب عنها.

١٩- الأسئلة للسيد محمد بن علي بن طراد الحسيني المدني، وأجوبتها للشيخ زين الدين العاملي الشهيد الثاني (ت ٩٦٥ هـ)، (ص ٧٤٧ - ٧٦٠).

وهي إحدى وعشرون مسألة فقهية من مختلف أبواب الفقه.

٢٠- الأسئلة للشيخ حسين بن ربيعة المدني، وأجوبتها للشيخ زين الدين العاملي الشهيد الثاني (ت ٩٦٥ هـ)، (ص ٧٦١ - ٧٦٨).

وقد أورد المحقق في المقدمة نصّ اجازة الشهيد الثاني للشيخ السائل، وقد أحصى مخطوطاته وهي ثلاثة. وأمّا المسائل فهي عشرون مسألة فقهية.

٢١- الأسئلة للسيد حسن بن شذقم الحسيني المدني، وأجوبتها للشيخ حسين ابن عبدالصمد العاملي والد الشيخ البهائي (ت ٩٨٤ هـ)، (ص ٧٦٩ - ٨١٠).

أمّا المسائل فهي إحدى عشرة مسألة فقهية، وقد استوفى المحقق في المقدمة ترجمة السيد حسن بن شذقم المدني من حيث نسبه، وولادته، ونشاطاته، وإحصاء مشايخه، وذكر نصوص إجازات مشايخه له، وهي أربع إجازات من مشايخ ثلاث، وهم: الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي، والسيد محمد بن علي الموسوي العاملي صاحب المدارك، والشيخ نعمة الله بن خاتون العاملي (إجازاتان).

ومن طرائف ترجمة السيد المدني أنّ المحقق قد أحصى جملة من المخطوطات التي كانت عليها تملّك السيد حسن بن شذقم المدني، كما قد ذكر مؤلفاته ومستنسخاته، وقد تمّ تحقيق هذه الرسالة على ثلاث مخطوطات.

٢٢- التراث المدني: تأليف الشيخ حسين الوائلي، (ص ٨١١ - ٨٥٦).

يشتمل هذا المقال على إحصاء الإجازات والمؤلفات والمستنسخات والتصحيحات والتملكات التي وقعت في المدينة المنورة.

(أ) الإجازات المدنية: وهي ستّ إجازات.

(ب) المؤلفات المدنية: عشرون كتاباً.

(ج) المستنسخات المدنية: ٤٤ كتاباً.

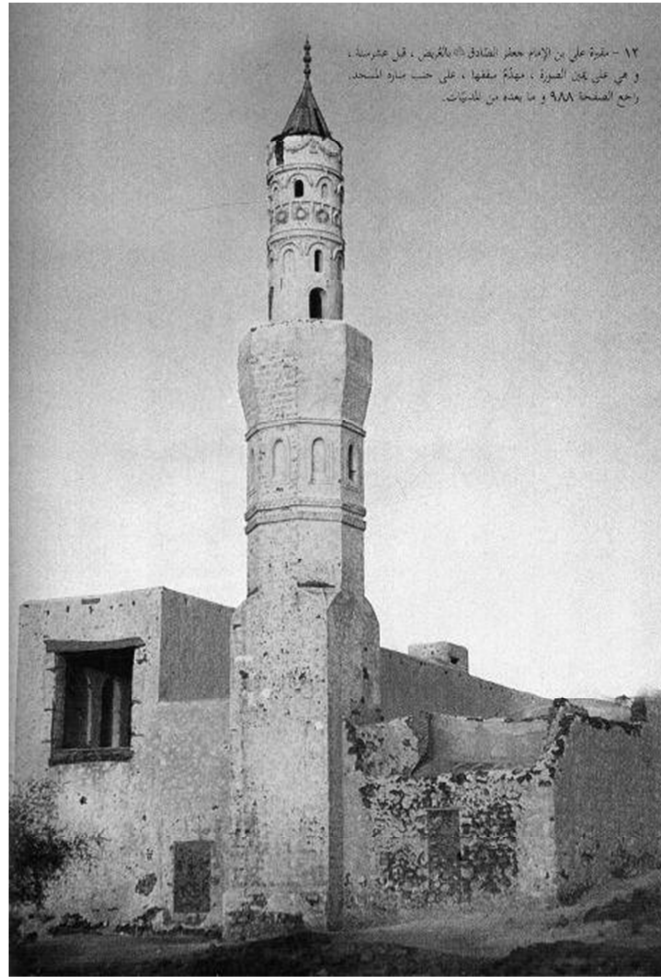
(د) مقابلة الكتب في المدينة.

(هـ) تملّكات الكتب في المدينة.

٢٣- بعض مدائح النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام المدفونين في بقيع الغرقد.

(ص ٨٥٧ - ٩٠٢).

- ٢٤- المناظرة بين الفقيهين حول إكرام السادة الأشراف، (٩٠٣ - ٩٨٦).
- وهذه المناظرة من عيون المراسلات العلمية في القرن الثامن الهجري جرت بين علمين من أعلام الشيعة وهما: الشيخ إبراهيم بن أبي الغيث الشهير بابن الحسام العاملي، والسيد مهنا بن سنان الحسيني القاضي المدني.
- تتضمن الرسالة على المراسلات التالية:
- أ) قصيدة إبراهيم بن الحسام العاملي في نقد بعض الأشراف.
- ب) قصيدة القاضي السيد مهنا الحسيني المدني في ردّ قصيدة ابن الحسام العاملي.
- ج) رسالة كشف اليقين في مودة المتقين وشنآن الفاسقين، لابن الحسام في ردّ رسالة السيد مهنا الحسيني المدني.
- د) رسالة الإيضاح والتبيين بفضل ربّ العالمين على عباده المطيعين والمذنبين، للسيد مهنا الحسيني المدني في ردّ رساله كشف اليقين.
- وقد مهّد المحقق لهذه المناظرة بتمهيد حسن، استوفى فيها ترجمة كلّ من الشيخ إبراهيم بن الحسام العاملي والسيد مهنا الحسيني المدني، ومن الجدير بالذكر أنّ للشيخ الوثاقي كتاباً مستقلاً في حياة و آثار السيد مهنا المدني، وفقه الله لإتمامه وطبعه.
- ٢٥- التعريف ببعض القرى من حوالى المدينة المنورة: العريض، صريا، العنابة، ساية، (ص ٩٨٧ - ١٠٢٢).
- يتعرّض في هذا المقال بتعريف بعض القرى المجاورة للمدينة المنورة، والتي كان فيها لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم دورٌ، وقد جمع شتات هذه المعلومات من مصادر مختلفة.



١٢ - مقبرة علي بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في القريضة ، قبل هجرته ، وهي على شكل الصورة ، مهذبة مرقمة ، على حسب مدار السجدة ، راجع الصفحة ٩٨٨ و ما بعده من المذكرات .

مقبرة علي الغريضي، ابن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) على جنب مسجد
القرية (الغريضة)

٢٦- الوثائق المدنية، (ص ١٠٢٣ - ١٠٤٠).

يشتمل هذا المقال على جملة من الوثائق المدنية، منها:

أ) وثيقة استلام الهدية للحرم النبوي، وهي التي أرسلها السلطان حسين
بايقرا التيموري بواسطة المولى عبد الرحمن الجامي.

(ب) وثائق الوقفية للحرمين الشريفين، ولمرقد الإمام جعفر الصادق عليه السلام وللسادة الأشراف الحسينيين المدنيين.

(ج) رسالة المحقق الشيخ الوثاقي إلى مركز بحوث المدينة حول التعريف بالثلث الأخير المخطوط من كتاب التحفة اللطيفة للحافظ السخاوي.

٢٧- هداية التصديق إلى حكاية الحريق، تأليف: فضل الله بن روز بهان الخنّجي الإصفهاني (ت ٩٢٥ هـ). تحقيق: الأستاذ محمد تقي دانش پژوه، مراجعة: الشيخ حسين الوثاقي، (ص ١٠٤١ - ١٠٧٦).

وهي رسالة نافعة في تاريخ الحريق الواقع في المسجد النبوي الشريف، الذي حدث في العشر الأوسط من شهر رمضان المبارك سنة ٨٨٦ هـ.

٢٨- المصاحف الشريفة المخطوطة في خزانة الروضة النبوية، فهرسها: الأدميرال أيوب صبري باشا (ت ١٣٠٨ هـ)، إعداد: الشيخ حسين الوثاقي (١٠٧٧ - ١١٠٤).

وقد ذيل المحقق بالتعريف بالمصحف الكريم بخط الشريف جّاز بن القاسم أمير المدينة المنورة (حكم سنة ٥٨٣ - ٦١٢ هـ).

٢٩- الشّامة المهداة من السلطان الصفوي العلوي إلى روضة النبي صلّى الله عليه وآله (ص ١١٠٥ - ١١٥٠).

تحدّث هذه الرسالة عن حادثة تاريخية وقعت في المدينة المنورة، ملخصها: إنّ السلطان حسين الصفوي الهاشمي، (حكم من ١١٠٥ - ١١٣٥ هـ)، نذر الله تعالى أن يصنع شّامة فاخرة للروضة النبوية الطاهرة، وقد بذل فيها أموالاً طائلة واستخدم الفنّانين المهرة، وصنعت من الذهب الخالص، وحشيت عنبراً طيباً، وتزينت بمئات الأحجار الثمينة التي لا توجد إلّا في خزائن الملوك.

واتصل بالحكومة العثمانية آنذاك وأخذ الموافقة من السلطان مصطفى خان

العثماني، (حكم من ١١٠٦-١١١٥هـ)، وبعد إتمام صنع الشمّامة أرسلت إلى المدينة المنورة، لكن منع شيخ الحرم نصبها، إلّا بموافقة السلطان العثماني الجديد وهو أحمد خان الثالث (حكم من ١١١٥-١١٤٣هـ)، فامتنع الحاكم، فكتب السلطان الصفوي إلى العثماني ثانياً، وأوضح له قصّة الشمّامة وإذن السلطان السابق، وقيمة الشمّامة، فوافق السلطان العثماني.

لكن لما فتحوا الصندوق وجدوه خالياً، فاضطرب لذلك متولي الحرم والقضاة، ولما أخبر السلطان العثماني شدّد النكير عليهم، فعُلم أن السارق نفر من خدمة الحرم الشريف، واسترجع بعض قطعات منها، وأمر السلطان العثماني بصياغتها من جديد.

وهذه القصة طالت لسنوات حتى سنة ١١٢٠هـ، وقد اعتمد الشيخ الوثاقي في تحقيق ودراسة الموضوع على:

١. رسالة كسر الشمّامة للشيخين كرامة، لعمر بن علي السمهودي المدني، (ت ١١٥٧هـ).

٢. ثلاثة نصوص تاريخية مهمة عن واقعة الشمّامة، وهي: كتاب حكام مكة، لجيرالد دي غوري، وكتاب تنضيد العقود السنّية بتمهيد الدولة الحسينية، للسيد رضي الدين بن محمد بن علي بن حيدر الموسوي العاملي المكي، وكتاب الأخبار الغريبة، لعبد الرحمن بن حسين الأنصاري المدني.

٣. وثيقتان من الأرشيف العثماني حول وضع الشمّامة المذكورة في الروضة النبوية ومحكمة السارقين والمتهاونين في موضوع الشمّامة.

ولقد أشبع المحقق الدراسة حول هذا الموضوع حتّى الثمالة - كما يقولون - ولكن دراسة هذه الواقعة تبين المواجهة السلبية غير الحميدة والموقف المخزي تجاه هذه الشمّامة الجليلة، والتمينة الفاخرة، وما ذلك إلّا نتيجة التعصّب الطائفي المقيت،

مَّا يَنْبَغِي أَنْ يَنْزَعَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَيَجْعَلُوا مِنَ الثَّوَابِ الدِّينِيَّةِ وَالْقَوَاسِمِ الْمَشْتَرَكَةِ حَصَنًا لِلْأُلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ.

ثُمَّ اسْتَدْرَكَ الْمُحَقِّقُ عَلَى مَوْضُوعِ الشَّمَامَةِ بِأَبْيَاتٍ أَرْبَعَةٍ مَنْظُومَةٍ فِي تَارِيخِهَا بِحِسَابِ الْجُمْلِ، وَجَدَهَا فِي الْمَخْطُوطَتَيْنِ وَهِيَ:

زَادَ إِلَهُ مِنْ كَرَمٍ خَيْرَ عَبْدِهِ

سُلْطَانُ حُسَيْنٍ وَقَفَ هَذَا الْمُعْتَبِرِ

طَابَتْ لَهُ الْمُثُوبَةُ مِنْ وَقْفِهِ عَلَى

مَثْوَى نَبِيِّهِ وَثَرَاهُ الْمُعْطَرِ

فَاحْتِ بَدَأَ شَمَائِمُ آثَارِ عَبْدِهِ الْ

مَحْمُودِ نَالَ خَيْرَ جَزَاءٍ بِمُحْشَرِ

رَصَّعَ لِعَامِ زِينَتِهِ النَّظْمَ ثُمَّ قَلَّ

«قَدْ زَانَ بِالْجَوَاهِرِ شَمَامُ عَنْبَرٍ»؛ (سنة ١١١٣ هـ).

وَقَدْ طُبِعَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي آخِرِ الْمَجْلَدِ السَّادِسِ مِنْ مَوْسُوعَةِ ذَخَائِرِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ.

٣٠- رساله أمّهات النبي ﷺ، للشيخ أبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي،

ت ٢٤٥ هـ، (ص ١١٥١ - ١١٦٠). طبعة مصورة ملوثة عن مخطوطة قديمة فريدة.

٣١- المستدرك على التراث المكي، تأليف الشيخ حسين الوائلي

(ص ١١٦١ - ١٢٣٤).

وقد ذكر في هذا المستدرك ما عثر عليه في المكتبات بعد طبع كتاب التراث

المكي، وإليكم تفاصيله:

- (أ) تقرّظ العلامة السيد عبد الستار الحسني على كتاب التراث المكي.
- (ب) المستدرك على الإجازات المكيّة، وفيه ثمان إجازات.
- (ج) المستدرك على المستنسخات المكيّة، وفيه ٤٧ كتاباً.
- (د) المستدرك على المستنسخات في الطائف.
- (هـ) المستدرك على المؤلفات المكية، وفيه ٩ كتب.
- (و) المستدرك على التملّكات في مكّة المكرّمة.
- (ز) المستدرك على المقابلة والتصحيح في مكّة المكرّمة.
- (ح) المستدرك على المؤلفات في طريق مكّة المعظمة.
- (ط) المستدرك على المستنسخات في طريق الحج.
- (ي) المستدرك على الكتب التي اقترح تأليفها في مكّة المعظمة.
- (ك) الكتب التي ألّفت لأجل آل أبي نمي الحاكمين بمكة المعظمة، وهي ١٤ كتاباً.
- وقد ختم المحقق الكتاب بفهارس فنيّة تسعة، للاطلاع أكثر على محتويات الكتاب.
- وقد زيّن الكتاب التصاویر الملونة الجميلة في آخر الكتاب هي خمسة عشر تصويراً.
- خصائص الكتاب:
- إنّ نظرة خاطفة في هذا الكتاب الثمين تبرز أهميّته من عدّة جهات، يمكن أن نعدّها منها مايلي:
١. الأعمّ الأغلب من المنشور في الكتاب هو مما يطبع ويحقّق لأول مرة، بل إنّ بعض بحوثه قد أخرج من كتم العدم.
 ٢. من الجهات المهمّة في الكتاب هو التأسيس، فإنّ المؤلف (حفظه الله) في

مشروعه «سلسلة ذخائر الحرمين» عامّة وفي هذا الكتاب خاصّة يعدّ رائداً في بابه.
٣. ومن ميزات الكتاب هو اعتماده على المخطوطات، فقد راجع المؤلف في تحقيق وتأليف الكتاب إلى مخطوطات كثيرة من عشرات المكتبات، مضافاً إلى الطباعات الحجرية والقديمة، وهو أمر صعب يدلّ على همّة المؤلف القعساء.
ونحن في دراستنا المعاصرة نفتقد ظاهرة الرجوع إلى المخطوط، وقلّما نجد باحثاً يعتمد على المخطوط كما يعتمد على المطبوع، فلا شك أن تراثنا المخطوط أضعاف مضاعفة بالقياس إلى ما طبع منه.
٤. تنوّع البحوث والمطالب في الكتاب، ممّا يعطيه صفة «دائرة معارف» شيعيّة صغيرة، فما ورد في الكتاب دخیل في علوم عديدة، ويمكن الاستفادة منه في مجال البحث عن المدينة المنورة، تاريخياً، ثقافياً، رجالياً وتراجيحياً، سياسياً، جغرافياً... وغير ذلك.

٥. من مميزات الكتاب الممتازة هو عدم الأخطاء المطبعية فيه، وهي إن لم تكن معدومة في الكتاب فهي أندر من النادر، ممّا يعزّز مثيله في كتاب يشتمل على أكثر من ألف ومئتي صفحة.
إطلالة على التراث المدني:

من خلال تصفّح كتاب المدنيّات، وجولة سريعة في رياضها الممتعة يقف القارئ الكريم، على معلومات ثمينة حول تاريخ الشيعة في المدينة المنورة، والصلات الثقافية بينها وبين سائر البلدان، وتاريخ الحوزة العلمية العريقة في هذه البلدة الطيبة، وسوف نذكر في ضمن أمور موارد تستحق البحث والتحقيق:

أولاً: حضور الشيعة الفعّال والنشيط في هذه البلدة، مدينة رسول الله ﷺ ولاغرو في ذلك، فأئمّتهم و سادتهم أهل بيت رسول الله و ذريّته هم من هذه البلدة المكرّمة، وإن طالّتهم يد الظلم والجور عليهم، فأبعد بعضهم عن مدينة جدّهم النبي

الأكرم ﷺ

ثانياً: النشاط العلمي والثقافي لعلماء الشيعة، ووجود الحوزة العلمية فيها، فقد عمّرها علماؤنا بالدرس والتدريس، والبحث والتأليف، إلى جانب العبادة والنسك، في جوار مرقد النبي الأكرم ﷺ، على مدى قرون متواصلة.

ويلاحظ قوّة هذا النشاط العلمي خاصّة في القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري، وازدحام الحوزة المدنيّة بعلماء الشيعة ورجالها وأعلامها.

ثالثاً: وجود الأسر العلمية المدنيّة التي ورثت العلم من أسلافهم، وأورثته لمن خلفهم وهم في الأغلب من الأسر العلوية الهاشميّة، مثل آل شذقم الحسينيين، فقد زخرت بالعلماء والفقهاء والأدباء، وكان لهذه الأسر دورٌ بالغ الأهمية في استمرار الحوزة العلمية وإعمارها بالعلم والعبادة والتقوى.

وذلك على خلاف علمائنا المكّيين، فهم في الأعمّ الأغلب من بلدان أخرى، هاجروا إلى البلد الحرام، واتخذوا من بيت الله جواراً ومن مقام إبراهيم مصلّى.

لكن ممّا يوسف له أنّ رجال هاتين الحوزتين هم من العلماء المغمورين، ممّن خفيت أخبارهم، واندرست آثارهم، فأحيا الشيخ الواثق بمشروعه ذكرهم، وجدّد رسمهم.

رابعاً: الصلات الثقافية والعلمية بين علماء المدينة وعلماء سائر البلدان، خاصّة أعلام الطائفة، ممّن عليهم المعولّ في الفتيا والأحكام، وخير شاهد على ذلك كثرة الأسئلة من العلماء المدنيّين المتمرّسين في الفقه والعلوم الإسلاميّة، والأجوبة من الفقهاء الكبار، والرسائل العلمية المتبادلة بين علماء المدينة، وعلماء سائر البلدان، نحو إيران والعراق وجبل عامل.

فعلى سبيل المثال:

١- أسئلة السيد محمد بن شذقم وأخيه السيد علي من السيد محمد الموسوي

العالمي.

٢- أسئلة السيد محمد بن شذقم وأخيه السيد علي من الشيخ حسن بن الشهيد الثاني، صاحب المعالم.

٣- أسئلة السيد علي بن شذقم من الشيخ محمد بن حسن بن الشهيد الثاني.

٤- أسئلة السيد علي بن شذقم من الشيخ بهاء الدين العالمي شيخ الإسلام في إيران.

٥- أسئلة السيد حسن بن شذقم - والد السيد علي والسيد محمد - من الشيخ حسين بن عبد الصمد العالمي والد الشيخ البهائي.

وجميع هذه الأسئلة والأجوبة مطبوعة في هذا الكتاب، وهناك الكثير ممّا ذكر اسمه فيه.

ثمّ إنّ التأمّل في طيّات هذه الأسئلة والأجوبة والمكاتبات المتبادلة بين هؤلاء الأعلام التي كانت في الأعمّ الأغلب فقهية استدلالية تكشف عن قوّة الأواصر العلمية بين حوزة المدينة المنورة وسائر الأقطار، وغير ذلك من الدلالات والإشارات ممّا يفتقر إلى البحث والدراسة.

خامساً: الموقوفات الشيعية على الحرمين الشريفين وزائريهما ومجاوريهما، تنمّ عن اهتمام علمائنا وأعلامنا الأبرار، وعلقتهم الشديدة بحرم الله وحرم رسوله.

ولاحظ على سبيل المثال عدّة من الوقفيات على مراقد الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في بقيع الغرقد في كتاب المديّنات، (ج ٢، ص ١٠٣٠ - ١٠٣٧).

سادساً: كثرة التأليف والتصنيف في تقرير رحلات الحجّ، نظماً ونثراً، ممّا يدلّ على اهتمامهم بهذه الرحلات المقدسة والشاقّة في الوقت نفسه، وأهمية هذه الرحلات ممّا تعكس من تاريخ الحرمين الشريفين وارتباطهما بسائر البلدان.

سابعاً: التعايش السلمي بين أبناء الأمة الإسلامية من مختلف الطوائف في

حرم الله الذي جعله أمناً وأماناً على زائريه ومجاوريه، والحرم النبوي الشريف، والاحتكاك العلمي السليم بين علماء المذاهب الإسلامية، وتبادل العلم درساً وتدریساً، وأخذاً وعطاءً.

لاحظ على سبيل المثال الأسئلة والأجوبة بين السيد علي بن حسن بن شدقم المدني الحسيني وعلماء سائر المذاهب من أهل السنة والزيدية. (المدنيّات، ج ١، ص ٥١٧ - ٦٢٤).

ثامناً: العلاقات السياسيّة والاجتماعية بين الشيعة وأعلامهم، وبين حكام المدينة المنورة أو حكام البلاد الإسلامية.

تاسعاً: إرسال الهدايا إلى الحرم النبوي الشريف، من قبل السلاطين والحكام وغيرهم، نحو اللوحة الحجرية الجميلة التي نحتها الميرزا محمدعلي سنغلاخ الخراساني، والشمامة المهداة من السلطان الصفوي. (المدنيّات، ج ٢، ص ١١٠٥ - ١١٥٠).

عاشراً: الروابط العلمية بين علماء الحرمين الشريفين، والصلات الثقافية والعلمية بين مكة والمدينة، نحو مناظرة القاضي السيد مهتّا بن سنان الحسيني المدني، (المدنيّات، ج ٢، ص ٩٤٧ - ٩٨٦)، ونحو المناقشات العلمية بين السيد محمد بن جويهر المدني والسيد علي بن شدقم المدني. (المدنيّات، ج ١، ص ٢٤٤ - ٢٤٥).



المصوّرات

العشرة ثلاثون ارجوا لمحمد وشتر شقا لاشرا باثمنين قتلوه واعد سجده

١ - الصفحة ٥١٣ من المخطوطة المرعشية المرقمة ٦٦٦٢، وفي ذيل الصفحة خط علي بن شديم
مقابلة المخطوطة بنفسه ٢٢ شعبان سنة ١٠٢٨ هـ. راجع الصفحة ٧٣٢ من المدينيات.

٢ - الصفحة ٤٤٢ من المخطوطة المرعشية للرقعة ٦٦٦٢، و هي بداية أسئلة علي بن شافع من الشيخ محمد تهاه الدين العاملي، راجع الصفحة ٦٧ من العدييات.

٣ - الصفحة ٤٥٤ من المخطوطة المرعشية المرقمة ٦٦٦٢، و هي لحابة
أسئلة على ابن شاذان، و أول أجوبتها للشيوخ محمد بن ماء الدين العالمى،
رابع الصفحة ٦٩٨ من المدينيات.

أَنْ يُبَيِّنُوا وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَرُّ الْأَخْوَانِ مَنْ تُكَلِّفُ
لَكَ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا اجْتَنَشِمَ الْمُؤْمِنُ إِخَاهُ فَقَدْ
فَارَقَهُ هَذَا الْخُرْمَادُونَ السَّدَّ الرَضَى رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ نَجَّيْنَاكَ مِنَ الْبَلَاءِ وَقَدْ تَمَّ بِقَلَمِ الْعَبْدِ الْحَالِي الْحَسَنِ
الْحَسَنِ بْنِ شَذَوْنٍ الْحَسَنِ الْمَدِينِيِّ نَسَبًا وَوُطَنًا
صَحِيحٍ يَوْمَ الْأَحَدِ الثَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ الْحَرَامِ
عَامِ سِتِّهِ وَتِسْعِينَ وَتِسْمَانَةَ بَيْلَةَ خَيْرِ صَنَائِهَا
اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْغَيْرِ وَالْغَيْرِ وَكَانَ ابْتِدَائِي فِي كِتَابِي
سَابِعَ شَرِيعِ الْأَوَّلَى عَمَّ ٩٩مَ وَالْمَعْدَرَةُ فِي امْتِدَادِ الْمَدَّةِ
تَتَاوَبُ أَمْرًا وَتَنْدَارُكَ أَغْرَاضٌ حَتَّى مِنْ اللَّهِ تَعَالَى
بِإِتْمَامِهِ وَكَانَ اعْتِمَادِي حَالِ الْكِتَابَةِ عَلَى ثَلَاثِ
نُسَخٍ بِلِ الْارْبَعِ نُسَخٍ نُسَخِي تَرْجُحُ الْبَلَاغَةِ لِلْعَلَامَةِ

خلقه هو الكائن من الله سبحانه وتعالى والحق في علمها
 يظهر عند الركن والمقام فيظهر الأرض بعد ويصنع
 فاجهر امير المؤمنين عليه السلام والمخالفون
 عن نافع عن ابن عمر بن الخطاب في الدجال ويخبره ويقاؤه المدة الطويلة وخرج في اخر الزمان
 على ما يذكر من بعد هذه الفضل ولم يصيد قوت باسم الغنام وما زغب مثا
 طوبى له ثم يظهر في الارض قسطا مع النفس من النبي صلى الله عليه وسلم علم عليه باسم
 عيسى ونبى واجبارم يطول غيبته واردة الاطفا، نذر الله تعالى والله متم نوره
 ولو كره الكافرون قال صلى الله عليه وسلم ان سال الله تعالى العبد
 الفقير الى رحمة الله مهيا بن سنان بن عبد الوهاب الحسيني غفر الله له ولوالديه
 بجميع المؤمنين علفت هذه النسخة من نسخة قد اكلت دابة الارض وما صنع منها وني
 من اخرها واظهره اذ قد مات منها بعض الاوراق ولما من اخره فقد عدم فيراول
 قطعوا لم يكن في المدة المشرفة بها نسخة اخرى فتدبعت الكلمة دابة الارض فان كان
 من كلام النبي او من كلام الانبياء عليهم السلام لم يمكن اختلاصه لان كلامهم عليهم السلام لا يفر
 القائلون ان لا يكون في الحديث والواقعة فاني انقلها على ما سبق مني
 ذلك وان لم استخضر الاقوال بعضها فان الاحاديث السنية في بعض نقلها بالمعنى او لم
 ينقل المعنى ان كان القائل من كلام الحنفية سمعته او من كلام غيري ان كان المعنى
 ويتم الكلام معه وما عرفت في كتابه عليه وسلم والكتاب فان كان في كتابه فليس
 الله سبحانه وتعالى في نسخة من هذا الكتاب كبت ما فات من قبل وجهه بحول الله

عبد الحميد بن أبي الحديد بخط المريدت وهي لها
في الضبط والتصحیح ٣ نسخة مرقومة على الشيخ
الدين يوسف بن مظهر رحمه الله تعالى وعليها تبايع
بخطه وأخر تبايعه عند قوله عليه السلام وفكاه له
المعني أريدت جبال الناس وتاريخ هذه النسخة
سنة ٥١٨ نسخة عليها آثار الصحة وتاريخها سنة
اربعماية عم نسخة وهي أقلهن نسخة شرح الشيخ
الفاضل ميم البحراني وصلى الله على خير خلقه الأبد

ونور عرش محمد وآله الطاهرين وصحبه

الأكرمين والحمل لله رب

العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّمَّ وَأَمَّا الرَّحْمَنُ
يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ مَهْنًا بَيْنَ سَنَانِ بْنِ عَبْدِ الْوَقَّابِ الْحُسَيْنِيِّ الْمَدِينِيِّ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِفَضْلِهِ أَنِّي لَمَّا وَقَفْتُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ
وَسَبْعًا يَدِي عَلَى آيَاتِ النَّبِيِّ الْأَوَّلِيِّ بِحَالِ الدِّينِ بْنِ الْحَسَامِ وَصِيَّةَ ابْنِهِ
فِي مَقَابِلَةِ الْأَشْرَافِ بِالْجُفَا وَاحِدَةً قَدَرَهُمُ وَالْحَقُّ لَمْ يَمُرَّ وَمَدَامُ الْأَنْثَى
بِدَعَائِهِمْ وَأَطْلَعُوا الْبِرَادَةَ مِنْ وَلَا يَوْمُ حَصَلْتُ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ الْمَعْمُ الْمُتَعَدِّ
وَوَرَدَ عَلَيَّ قَلْبِي مِنْهُ الْمَوْلَى الْمَكْمَدُ أَذْصَدْرُ هَذَا الْكَلَامِ مَنْ يَدْعِي عَجَبَهُ أَهْلَ
الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّ الْمُبْغِضَ يَقُولُ بِعَمَلٍ فِيهِ وَلَا يَنْدُرُ عَاقِبَةُ مَا قَعَّ
فِيهِ فَأَمَّا النَّيِّبُ إِلَى الْحُجَّةِ وَالسَّلَامِ وَيَدْعِي أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ وَالْفِكَرِ
لَا يَقِيدُ مِنَ الْهَيْمَةِ الْفَاطِمَةُ وَعَنِ الْخَنَاءِ الْخَاطِمَةُ وَلَمْ يَرْضَ هَذَا الْقَائِلُ بِمَا
ذَلِكَ لَا بَنِيهِ بِغُفْرَةٍ حَتَّى جَعَلَهَا وَصِيَّةً يُعْمَلُ بِهَا فِي حَيَاتِهِ وَمَنْ بَعْدَ
مَعْتَقَدُهُ لَا سِيَّمَا أَنْ جَعَلَهَا نَظْمًا مُخَلَّدًا فِي بَطُونِ الْأَوْرَاقِ مَشْهُورًا عِنْدَ
أَهْلِ الْوَفَاقِ وَالْخِلَافِ وَالْوَفَاقِ مَعَ عِلْمِهِ بِعِلِّ النَّفُوسِ إِلَى الْحُجَّةِ
الْمَنْظُورِ مِنَ الْكَلَامِ وَانْتِشَارِهِ بَيْنَ الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ مَعَ مَا تَصْنَعُهُ
عَلَى الْمَنْعِ الَّذِي جُمِلَتْ النَّفُوسُ عَلَيْهِ وَاسْتَقْلَابُ بَعْضِ التَّعْلِيلِ الَّذِي
تَرْتَاحُ الْأَنْفُسُ الشَّجِيحَةُ إِلَيْهِ وَلَقَدْ عَجِبْتُ مَنْ وَقَفَ عَلَى هَذِهِ الْأَيَّامِ
مَنْ أَهْلُ الْإِيمَانِ كَيْفَ لَا يَرُدُّ عَلَى هَذَا الْقَائِلِ الْغَضْبَانَ الَّذِي رَجَعَهُ

٧٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم نوب العبد المذنب الى الله تعالى محمد بن عبد الوهاب الحنبلي الشافعي
 من بعد اني قد قدت في العشر الاولى من شهر ذي الحجة سنة ١٢٨١ الهجرية في احدى ايام
 وصية لا بد في معاد لا تتركها وانما قد رسمت في الحج لا بد من عدم الكراهة في ما بين الطواف والبركة ولا بد
 حصل من ذلك العلم المتقد وورد في قوله المالك اذ صد هذا الكلام ثم يدعي محمد بن علي بن الحسين
 فان البعض يقول بل فيه ولا بد عاقبة ما وقع فيه مما المالك الى الحجة البركة ويدعي ابن ابي الدؤيب العلم المتقد
 في الحج الفاطمة عن ابن ابي حنيفة ولم يرض هذا القول بل يورد في ذلك من يورد في حجة لا بد من العلم في حجة
 بعد مقدرة لا بد من حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة
 السقوط من الكلام وانتباه في احوال العوام مع ما تقدمت في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة
 الذي يرد في الناس في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة
 لغرض من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة
 التي في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة
 من حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة
 العادة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة
 غير ذلك ما لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة
 افضل من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة
 كحل الحجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة
 الذي لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة
 من حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة
 غير ذلك ما لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة لا بد من العلم في حجة

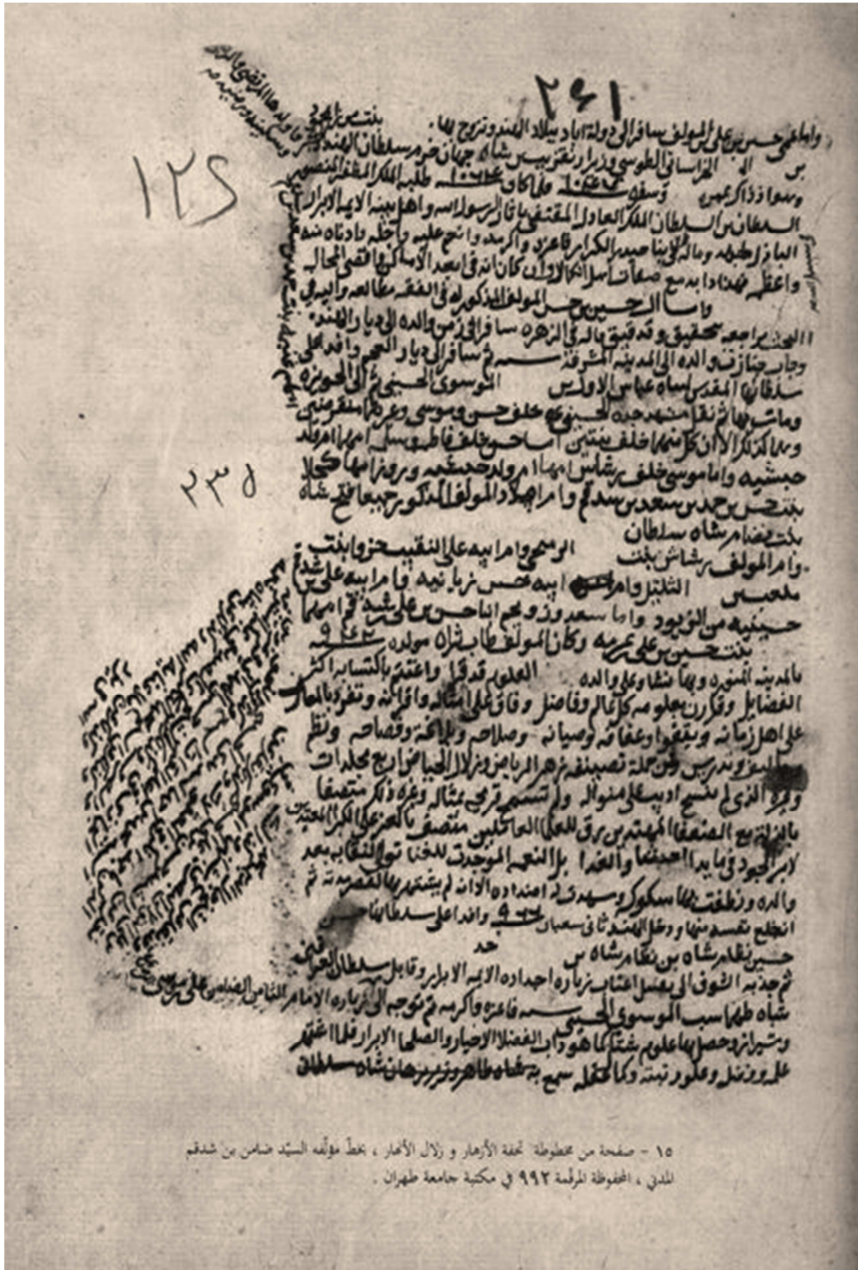




تَعْنِي اذْكُرْ عَلَى

بسم الله الرحمن الرحيم هـ
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله والكل وسائر
الصالحين هـ نقول الفخر المحتاج الى لطفه الرباني وصل الله روحه على اصحابه
املاء على طلبته العلم وتحديثا واحبارا سبحان من جعل لجيبه برفع الحجب لشيء هذا
بعين حقيقته نظره فكشف الحجب النورية فاحرق سيماء وجهه ما انتهى اليه
رفق محمد صل الله عليه وآله وسلم مرتى ما وصل الى غير ان هـ حتى قد جعل على الله لودنو
انلة لاحرق فبقية الناس خبر هـ جعل مسجد جيبه صلى الله عليه وآله وسلم كالواوي
ليدفع في العالمين سمره هـ وتجلو لجيبه بكلام ان انا الله حين يستعمل بنور التجلي
وتجرب قلوب السابقين من ذكر الاحراق وهذا من الله صل وسلم وبارك على سيدنا وحسينا
ومولانا محمد المنور ثم هـ المشتعل نار غضبه على كل من توقف في الباطل سر هـ الفاضل
نور لطفه على كل من تبعه الملمين بطر وكبر هـ المبعوث من اشرف القبايل من العرب ففان
العائين مضى هـ فاستوطن سر البطي امر العرب النوا فعلا بدوهم حضر هـ ثم انقل الى
الطينة الطيبة فظاب ويز وصدرة هـ فاصحاب دار الهجرة انقلوا المال على انفسهم على
الموسع فذم وعلى المغر فذم هـ ثم صار اهل دار الهجرة خدام حرة فنجلى لهم بالانوار
صل الله عليه وآله واصحابه واهل بيته واخوانه ما فاض الشهاب مطر صلواته باقية برفقة
زاكية ما النع البر شمس اما بعد فان الله تعالى اصطفى محمدا صل الله عليه وآله وسلم من العالمين واعطا

مكتبات العم : ٤٦ - ١٤٣٨ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
 الحمد لله الملك الرحيم الذي خلق الانسان وعلمه الادب
 والبيان وجعل العربية افصح كل لسان وقضيا على نطق كل لسان
 لئلا يذبحوا لغلات العظام لتصل بها الحقايق وبلغوا المرام واوضح
 معالم الادب بالذقايق الحسان ومنحنا احسن شعاب القرابين
 اللطبان وابعادنا عن الافك والشقاق والعصيان والصلوة
 والسلام على المنوح بالشفاعة من نفع عذبان عبده وبنية المبعوث
 الى الناس والحان محمد الهادي الى سبل الرشاد من الكريم المنان
 وآله الفضلين على كافة خلق الملك الذي ان وبعده فان الادب
 نفع الحرف العفيف والشعر غدت سلسل لطيف يتعش به الجنان
 ويلتذ به الانسان فما طلبة يجيب الحق وما قصر عنه لنيم الا
 خفق هذا وقد ظفرت به ديوان جدي على تر حسن المولف ابن علي
 النقيب ابن حسن الشهيد ابن علي مرشد قدم الشدقي الحمري
 المديني تغدوهم الله نعم بالرحمة والرضوان واسكنهم بحبوبة
 الجنان فرايته قد علق به الميمونة في هامشه بعض ما نسخ ولقد
 بخاطره بيان ليكتسح القاصر الى مائة وترك بعض بيد وبيانه
 فاجبت ان افعله لذاتي واقفه على من يسولني ولا ولا في
 مضيقا اليه بعض ما ظفرت به من ديوان والدي حسن المولف
 ومنشورة للشيخ ترك بلطغة والتميم بدرهم فادخلت ما في
 تلك الهرا من البيات بين البيات للبيان وابتاع تلك الازهار
 بالنبات والازهار قال قدس الله روحه ونور بارحمته والقران

١٤ - الصفحة ٢٥ من مخطوطة زهرة اللؤلؤ ، تأليف السيد علي بن شادقم المدني
و بخط الفقيه السيد محمد بن علي بن حيدر العاملي الكوفي . راجع الصفحة
٨٤١ من المجلدات.

Synopsis

The present two-volume book bears the title "al-Madaniyyat" and contains tens of papers on Medina – Madinah al-Nabiyy- written by Muslim scholars. The contents of these two volumes include the following: 1. A photo of an inscription of *Bismillah al-Rahman al-Rahim* that Mirza Muhammad-Ali Sanglakhi Khusani prepared for the Prophetic Mosque (Rawadah al-Nabiyy) in the 13th/19th century; it is now kept at the Tabriz Museum, Tabriz, Iran. 2. A biography of Sayyid Muhammad b. Hasan b. Shadqam al-Madani (d. 1008 AH/1599) and the queries he directed to Sayyid Muhammad al-Amili (d. 1034AH/1624) as well as the latter's answers. 3. A biography of Sayyid Ali b. Hasan b. Shadqam al-Madani (d. 1034 AH/1624) and the queries he directed to Sayyid Muhammad al-Amili and the latter's answers. 4. A biography of Sayyid Muhammad b. Juwaybir al-Madani (11th/17th century) and the questions he directed to Sheikh Hasan al-Amili (d. 1011 AH/1602). 5. The questions Sayyid Muhammad b. Hasan b. Shadqam al-Madani directed to Sheikh Hasan al-Amili, and the latter's answers. 6. The questions of Sayyid Ali b. Hasan b. Shadqam al-Madani and Sheikh Hasan al-Amili's answers. 7. Sayyid Ali b. Hasan b. Shadqam al-Madani's questions and Sheikh Muhammad b. Ahmad b. Khatun al-Amili al-Makki's answers. 8. A couple of papers of Sayyid Ali b. Hasan b. Shadqam al-Madani on the following topics: The *ifk* verse in the Holy Quran, some articles of faith, the non-mandatoriness of *tawaf al-nisa* in the *tamattu umrah*, choosing a witness while divorcing one's spouse, legitimacy of invoking curse in favor of Yazid b. Muawiyah, and comparison of traditional weight units in Medina with the customary ones. 9. Sayyid Ali b. Hasan b. Shadqam al-Madani's queries and the answers provided by some Sunni scholars of Medina. 10. Sayyid Ali b. Hasan b. Shadqam al-Madani's queries and the answers given by Muhammad b. Hasan b. Zayn al-Din al-Amili. 11. Sayyid Ali b. Hasan b. Shadqam al-Madani's queries and Sheikh Muhammad Baha al-Din al-Amili's answers. 12. The questions raised by Sayyid Muhammad b. Ali b. Tarrad al-Husayni al-Madani and Husayn b. Rabiah al-Madani and the answers provided by Zayn al-Din al-Amili, the 2nd Martyr. 13. Sayyid Hasan b. Shadqam's queries and Husayn b. Abd al-Samad al-Amili's answers. 14. A catalog of hadith-relating license, compilations, and manuscripts preserved at Medina. 15. Some qasidas in favor of the Prophet Muhammad and the infallible Imams buried at al-Baqi Cemetery. 16. A dialog between Ibn Hisam and Sayyid Muhammad al-Madani on respecting Sayyids. 17. Biographies of Sayyid Muhanna b. Sanan, the Qadi of Medina; and Ibn al-Jalal al-Humsi Ahmad b. Abd al-Karim. 18. Introduction of some villages around Medina, viz, Urayd, Sirya, Sayah, and Anabah. 19. Introduction of some letters of endowment concerning Medina, and the receipt of Sultan Husayn Bayaqa the Timurid in return of a gift he presented to the Prophetic Mosque. 20. The treatise "Hikayah al-Tasdiq ila Hikayah al-Hariq" of Fadl Allah al-Khanji on the fire at the Prophetic Mosque in 886 AH/1481. 21. A catalog of the Quran codices in manuscript dedicated to the Prophetic Mosque. 22. A treatise on the valuable censer for incense that Shah Husayn the Safavid dedicated to the Prophet Muhammad's shrine in 1118 AH/1706. 23. Muhammad b. Habib al-Baghdadi's (d.245 AH/859) treatise "Ummuhat al-Nabiyy". 24. A sequel to the book "al-Turath al-Makki". 25. The curtains of the Prophet Muhammad's Mosque dedicated to the shrines of Imam Ali at Najaf and Imam Musa al-Kazim at al-Kazimiyyah, Iraq.

Husayn Watheqi

المِلَّةُ نِيَاتٌ

الجزء الأول

الأسئلة: للسيد محمد بن شذقم المدني، والسيد علي بن شذقم المدني، والسيد محمد بن جوير المدني، وتراجمهم.
والأجوبة: للسيد محمد العاملي صاحب مدارك الأحكام، وللشيخ حسن العاملي صاحب المعالم، وللشيخ محمد ابن خاتون العاملي المكي، وللشيخ محمد ابن الحسن بن الشهيد الثاني، ولعلماء السنة المدنيين.
تفسير آية الإفاك، الاعتقادات، عدم وجوب طواف النساء في عمرة التمتع، الإشهاد على الطلاق، الشهاب الثاقب في تخطئة البيهقي الناصب، كلها للسيد علي بن شذقم المدني.

الشيخ حسين الواثق

المدينة النبوية عاصمة الثقافة الإسلامية
سنة ١٤٣٤ هـ = ٢٠١٣ م

سلسلة
ذخائر الحرمين الشريفين

٥

المؤلف:	المدينة النبوية (الجزء الثاني)
محقق و تأليف:	الشيخ حسين الرضاوي
الناشر:	دار نشر موزة - ٢٥١٧٧١٢٨٥ - الرياض
الطبعة:	الأولى - ١٤٣٣ هـ = ٢٠١٢ م
المطبعة:	اعتداد
العدد:	١٠٠٠ نسخة

شابك - (دور ٤) - ISBN: 978-964-8893-30-4
(ج ٢) - ISBN: 964-8893-29-2
الترقيم: رقم برستان كتابه ٢٥١٠٧٧١٢٤٣٦
طرق الطبع مطبوع للنوكت

مرشاهما: الفقيه، حسين ١٣٣٦ - . مطبوع وكرتأؤنركه
عنوان و يهجه آورو المدينة النبوية / تحقيق و تأليف حسين الرضاوي
ملاحظات الفهرست: رقم دار نشر موزة، ١٣٩١.
شابك:
ISBN: 978-964-8893-30-4 (دور ٤)
ISBN: 978-964-8893-29-2 (ج ٢)
سعر الدور ٨٠٠/٠٠٠ ريال
وضعيت فهرست نویسی: فیا
بالاشتراك اثر دائر مجموعہ رسائلی است از طبقات مختلف از حوزه کلام اسلامی فقه جعفری و تاریخ مدینه
به زبان عربی که توسط مؤلف جمع آوری، تحقیق و تألیف شده است.
بالاشتراك کتابخانه: ج ٢ ص ١٢٨ - ١٢٣٣، مصحح به صورت زیر نویس.
موضوع: اسلام - مذهبها - عقاید - عقاید قدیمی تا قرن ١٤
موضوع: اسلام - مذهبها و عقاید - عقاید قدیمی تا قرن ١٤
موضوع: فقه جعفری - مذهبها و عقاید - عقاید قدیمی تا قرن ١٤
موضوع: فقه جعفری - تاریخ - عقاید قدیمی تا قرن ١٤
موضوع: فقه جعفری - تاریخ - عقاید قدیمی تا قرن ١٤
موضوع: فقه جعفری - تاریخ - عقاید قدیمی تا قرن ١٤
ردف بندی کنگره: ١٣٩١ ام ٢/١٦/١٦
ردف بندی دیویی: ٢٧٧/٠٨

طبع علی نفقة الشيخ الرضاوي

مِيقَاتُ الْحَجِّ : ٤٦ - ١٤٣٨ هـ





مقتطفات من رحلة الحج، للقنندة راجي (٣)

المشاعر والأماكن المقدسة في مكة المكرمة

تحقيق: أحمد خامه يار

في بيان مواضع أعمال الحج والعمرة ومواضع استجابة الدعاء في منى وعرفات
الحجّ بفتح الحاء لا بكسرهما في الأشهر وعكسه شهر الحجّة، وكسره صاحب
الفروع، ومعناه في اللغة كثرة القصد إلى مَنْ تعظّمه من قولك: حججتُ فلاناً، أي
عدتُ إليه مرّةً بعد أخرى، وحكي ذلك عن الخليل. قال الجوهري: ثمّ تعود
استعماله في القصد إلى مكّة الشريفة للنّسك. وقال الكندي: الحجّ القصد، ثمّ حُصّ

كالصلاة وغيرها. قال المُخَبِّل السَّعْدِي وهو كعب بن ربيعة^١:

(شعر)^٢

ألم تعلمي يا أمَّ عَمْرَةَ أَنَّنِي * نَخْطَأُنِي رَايِبُ الْمُنُونِ^٣ الْأَكْبَرَا

وأشهد من عوفٍ حلولاً كثيرة * يَحْجُونَ سَبَّ الزَّبْرَقَانِ الْمَزْعَفَرَا

أي يقصدونه ويختلفون إليه، والسَّبَّ بكسر السين المهملة وتشديد الموحدة: العمامة، وفي بعض النسخ بدله: البيت، والزَّبْرَقَان بكسر الزاي المعجمة: لقب حُصَيْن بن بدر بن امرء القيس الفزاري، وسمي به تشبيهاً له بالقمر لحسنه وجماله، وكانت له عمامة صفراء مزركقة بالزعفران أي مصبوغة، وكان يرفع له بيت من عمائم وثياب وتنضح بالزعفران والطَّيِّب، وكانت بنو تميم تحجّ ذلك البيت، والحجّ: القدوم؛ يُقال: حجّ علينا فلانٌ إذا قدم، ويُقال: حججتُ بيت الله، أي قصدته أو قدمتُ إليه لأفعال النَّسك.

قال الجوهري: قد نسك وتنسك أي تعبد، ونسك بالضمّ نساكةً أي صار ناسكاً، والنَّسك والتَّناسك في الأصل من النَّسيكة، وهي الذبيحة التقربُ بها ثم اتسع عنه فصار اسماً للعبادة والطَّاعة، ومنه قيل للوليّ ناسك. وقال صاحب المطالع: المناسك مواضع متعبّات الحجّ، فالمناسك إذا المتعبّات

١. هو من الشعراء المخضرمين، اختلف المؤرخون في تحديد اسمه، فقالوا أنه ربيعة بن مالك، أو كعب بن ربيعة، أو ربيع بن ربيعة. ورَجَّح الباحث "حاتم الضامن" الاسم الأخير. أنظروا: «المُخَبِّل السَّعْدِي: حياته وما تبقى من شعره»، ١٢١.

٢. ذكر هذه الأشعار الجواليقي في شرح أدب الكاتب: ٣١٣.

٣. في المصدر: الزمان.

كلّها، وقد غلب إطلاقها على أفعال الحجّ لكثرة أنواعها، والمناسك جمع منسك بفتح السين وكسرهما؛ فبالفتح مصدر وبالكسر اسم لموضع التّسك، وهو مسموع وقياسه الفتح في المصدر والمكان، ومعناه الشرعي قصد مكّة المشرفة لعمل مخصوص في زمان مخصوص.

والعمرة لغة: الزيارة، يُقال: اعتمره، أي زاره، ثم صار عرفاً في زيارة البيت الشريف على وجه مخصوص. قال ابن أحرر^١:

يُهَلُّ بِالْفَرْقَدِ رُكْبَانًا^٢ * كَمَا يُهَلُّ الرَّكِيبُ الْمُعْتَمِرُ^٣

وفي الشرع عبارة عن أفعالها المخصوصة المذكورة في مواضعها كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

صِفَةُ مَنَى

منى بكسر الميم وفتح النون المخففة والقصر، والغالب عليها التذكير والصرف، وقد يكتب بالالف، اسم بليدة.

قال ياقوت في «معجم البلدان»: قال ابن شميل: سُمِّيَتْ مَنَى لِأَنَّ الْكَبْشَ مَنَى بِهَا أَي ذُبِحَ. وهي على فرسخ من مكّة، طولها ميلان، تعمّر أيّام الموسم وتخلو بقيّة السنة إلّا مَنْ يحفظها. وعلى رأس مَنَى من نحو مكّة عقبة تُرمى عليها الجمرة يوم التّحر، ومَنَى شعبان بينهما أزقة، والمسجد في الشارع الأيمن ومسجد الكبش بقرب

١. في الأصل: "ابن أحمد"، وما أثبتناه موافق لما ورد في لسان العرب.

٢. في المصدر: "ركبانها".

٣. لسان العرب، لابن منظور ٢٠ : ١٧١٤.

العقبة، وبها مصانع وآبار وحوانيت، وهي بين جبَلَيْن مُطَّلَيْن عليها.^١
 وذكر الزَّركشي في كتابه «إعلام الساجد في أحكام المساجد» أن حدود مِنى ما بين جمرَة العقبة ووادي محسّر، وليس الجمرَة ولا وادي محسّر من مِنى، انتهى.
 وقال الطَّبري: إنَّ العقبة من مِنى ولم يُنقل عن أحد أن الجمرَة ليست من مِنى. وفي صحيح مسلم من حديث الفضل بن عبَّاس، أنَّ وادي محسّر من مِنى، ومِنى من الحَرَم بلا خلاف، وما أقبلَ من الجبال على مِنى فهو منها.^٢
 وقال الثَّابلسي: وجمرَة العقبة حدُّ مِنى من الغرب وليست من مِنى، وهي التي بايعَ النبي ﷺ عندها الأنصار على الإسلام والهجرة.
 وللشَّهاب ابن أبي حجلة:

شكرت إلهي بعد حلقي في مِنى * بيوم حمدنا في صبيحته القرى
 ولو أن لي في كلِّ مُنْبَت شجرة * لساناً يثَّ الشُّكْرَ كنتُ مُقَصِّراً

وقال التَّووي في تهذيب الأسماء: وهي - أي مِنى - شِعْبٌ ممدودٌ بين جبلين أحدهما ثَبِير والآخر الصَّانِع،^٣ قال: وحدَّها من جهة الغرب وجهة مكَّة جمرَة العقبة، ومن الشرق وجهة مزدلفة وعرفات بطن المسيل إذا هبطت من وادي محسّر.^٤
 وقال بعض المصنِّفين في هذا: ذرع مِنى من جمرَة العقبة إلى وادي محسّر سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع، قال: وعرض مِنى من مؤخَّر المسجد الذي يلي الجبل لحذاء

١. معجم البلدان، ياقوت الحموي ٥: ١٩٨.

٢. إعلام الساجد بأحكام المساجد، للزركشي: ٦٧.

٣ في الأصل: "الصابع"، وفي المصدر: "الضائع".

٤ تهذيب الأسماء، للنووي ٤: ١٥٧.

ألف ذراع وثلاثمائة ذراع، قال: ومن جمرة العقبة إلى الجمرة الوسطى أربعمائة ذراع وسبع وثمانون ذراعاً، ومن الجمرة الوسطى إلى الجمرة التي تلي المسجد الحيف ثلاثمائة ذراع وخمس أذرع، ومن الجمرة التي تلي مسجد الحيف إلى وسط أبواب المسجد ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وإحدى وعشرون ذراعاً، انتهى.

قال الفاسي: ومن حدّ باب بني شيبه إلى أعلى العقبة التي في حدّ منى ثلاث عشرة ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وثمان وستون ذراعاً.

ومبنى آيات:

منها: رفع ما تقبل من حصى الجمار بمنى ولولا ذلك لسدّ ما بين الجبلين. وقد روي عن الشيخ أبي النعمان التبريزي شيخ الحرم ومفتيه أنّه شاهد حصى الجمار وهو يُرفع عياناً.

ومنها: اتساعها للحجّاج في أيّام الحاجّ مع ضيقها في الأعيان عن ذلك. روى أبو داود عن النبي ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله إنّ أمر منى لعجيب، هي ضيقة فإذا نزلها الناس اتسعت، فقال ﷺ: إنّما مثل منى كالرحم إذا حملت وسّعها الله.

ومنها: كون الهدأة لا تخطف اللحم بمنى أيّام التشريق وذلك على خلاف عادتها في غير هذه الأيام.

ومنها: أنّ الذباب لا يقع في الطّعام وإن كان لا ينفك عنها غالباً كالغسل.

ومنها: قلّة البعوض أيّام الحجّ^١.

مسجد الكبش: وهو على يسار الصّاعد إلى عرفة بسفح جبل ثبير، وهو

١. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تقي الدين الفاسي ١ : ٤٢٢.

معروف إلا أنه الآن خراب، عمر الله مَنْ عَمَرَهُ.

مسجد التحر: وهو بين الجمرتين الأولى والوسطى على يمين الذهاب إلى عرفة، يُقال إن النبي ﷺ صَلَّى فِيهِ الضحَاء ونَحَرَ هَدْيَهُ عِنْدَهُ، وهذا مكتوب في حجر هناك.

وقال القطب: نَحَرَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ بُدْنَةً، وَأَمَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُكْمِلَ نَحْرَ تَتَمَّةِ مِائَةِ بُدْنَةٍ عَنْهُ ﷺ، وَهُوَ مَسْجِدٌ مشهور غير أنه الآن داثِر، عمر الله مَنْ عَمَرَهُ.

ذِكْرُ عَرَافَاتٍ مَوْضِعِ وَقُوفِ الْحَجِيجِ

على اثني عشر ميلاً من مكة، ويُعرَبُ إعراب مسلمات، ويوم عرفة غير منوّن ولا تدخله الألف واللام، وهو تاسع ذي الحجة، وهما ممنوعتان من الصَّرف للتأنيث والعلمية، والتنوين في عرفات ليس بتنوين صرف. واختلفوا في عرفة هل هي اسم مكان أو زمان؟

فبالأوّل قال صاحب المحكم والتّووي في التهذيب والمطرزي في المغرب وابن الحاجب واللفظ له فقال: «عرفة وعرفات جميعاً علّمان لهذا المكان المخصوص»، انتهى. وعلى هذا إضافة اليوم إلى عرفة كإضافته إلى حُنين في يوم حُنين. وبالثاني قال الفراء وصاحب القاموس والطبرسي في مجمع البيان واللفظ له قال: «وعرفات اسم للبقعة المعروفة يجب الوقوف بها، ويوم عرفة يوم الوقوف بها»، انتهى. وعلى هذا إضافة يوم إلى عرفة كإضافته إلى عروبة وهي اسم للجمعة كقول الشاعر: «يومٌ كيوم عروبة المتناول».

سُمِّيَتْ عِرْفَةً لِتَعَارَفِ آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِيهَا، لِأَنَّ آدَمَ أَهْبَطَ إِلَى الْهِنْدِ وَحَوَّاءَ إِلَى جَدَّةٍ فَتَعَارَفَا بِالْمَوْقِفِ، وَقِيلَ لِتَعْرِيفِ جِبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُنَاسِكَ بِهَا لِلْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقِيلَ لِاعْتِرَافِ النَّاسِ بِهَا بِذُنُوبِهِمْ.

قال في «إعلام الساجد»^١: عرفات لها أربع حدود: أحدها ينتهي إلى جادة طريق السَّرَفِ - كَكْتِفُ بُهْمَلَتَيْنِ-،^٢ موضع قُرب تنعيم؛ والثاني إلى حافات الجبل الذي وراء أرض عرفات؛ والثالث إلى البساتين،^٣ التي [تلي] قرية عرفة، وهذه القرية على يسار مستقبل الكعبة إذا وقف بأرض عرفة؛ والرابع ينتهي إلى وادي عُرْنَةَ بالتَّوْنِ كهزمة. وليس من عرفات وادي عرنة ولا نمرة، ولا المسجد الذي يصلِّي فيه الإمام المسمَّى بمسجد إبراهيم، بل هذه المواضع خارج عرفات على طريقها الغربي ممَّا يلي مزدلفة ومِنَى ومكَّة، وما ذكرناه من كون المسجد ليس من عرفات هو الذي عليه الشافعي.

وقال الشيخ أبو محمَّد الجويني - والد إمام الحرمين-^٤: مقدَّم هذا المسجد في طرف وادي عرفة،^٥ لا في عرفات، وآخره في عرفات، قال: فمن وقف في مقدَّم المسجد لم يصحَّ وقوفه، ومن وقف في آخره صحَّ، ولعلَّه زيد بعد الشافعي في أرض عرفات هذا القدر المذكور في آخره، وبين المسجد والجبل الذي بوسط عرفات المسمَّى بجبل الرَّحْمَةِ قدر ميل، وعرفات ليست من الحرم، ومنتهى الحرم من مكَّة تلك الجهة عند العَلَمَيْنِ المنصوبين عند سهم المأزمين وهما ظاهران.^٦

١. في الأصل: «إعلام المساجد»، وهو خطأ.

٢. هكذا ورد في الأصل، أما في الحقيقة والمجاز وإعلام الساجد: وادي عرنة.

٣. في الأصل: «البساتين»، وما أثبتناه هو من المصدر.

٤. إضافة من المصدر.

٥. ما بين خطين لم يرد في الحقيقة والمجاز ولا في إعلام الساجد.

٦. هكذا في الأصل، وفي المصدر المطبوع: «وادي عرنة».

٧. إعلام الساجد، ٧٢ ويبدو أنَّ مؤلف الرحلة اقتبس من كتاب «الحقيقة والمجاز» ٣ : ٣٤٣.

أما مسجد نَمرة بفتح النون وكسر الميم بعدها راء مهملة، قال في القاموس: نَمرة كفرحة، موضع بعرفات، إلى أن قال: ومسجدها معروف. وفي المصباح: ونَمرة أيضاً موضع قيل من عرفات وقيل بقربها خارج عنها.

قال القطب في «الإعلام» أنه - يعني السلطان قايتباي،^١ - عمّر مسجد نَمرة في عرفة، وهو المسجد الذي يجمع فيه الإمام بين الظهر والعصر جمع تقديم في يوم عرفة للحجّاج المُحرّمين في ذلك الآن ولا يجمع عند أبي حنيفة في غير ذلك الحال جمع تقديم إلاّ في ذلك المسجد ولا جمع تأخير إلاّ في مزدلفة بين المغرب والعشاء للحجّاج، انتهى.^٢

أقول: وأما قوله: لا يجمع عند أبي حنيفة إلاّ في ذلك المسجد، ليس بصحيح لأنّ شرط جمع التقديم هو عرفة من غير ذكر تعيين لمسجد نَمرة في كتب علماء الحنفيّة،^٣ وحيث وقع الاختلاف في مسجد نَمرة ومسجد إبراهيم هل هما من عرفات أم لا، فالجمع في أحدهما بين صلاتي الظهر والعصر مشكل فإنّ شرط هذا الجمع عند أبي حنيفة الوقت وهو يوم عرفة والمكان وهو عرفة والإحرام، فلا يصحّ الجمع في غير عرفات.

وأما قوله: ولا جمع تأخير إلاّ في المزدلفة بين المغرب والعشاء للحجّاج، فإنّ قوله للحجّاج لغوٌ لأنّه ليس بشرط عنده وهو عند جمع بسبب التّسك فيجوز لأهل مكّة ومزدلفة ومنى وغيرهم، والصحيح من مذهب الشافعي أنّه جمع بسبب السفر

١. في الأصل: "قايتباي"، وهو خطأ.

٢. الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، عبد الغني النابلسي ٣ : ٣٤٤.

٣. اقتبس المؤلف من كتاب "الحقيقة والمجاز" ٣ : ٣٤٤.

فلا يجوز إلا للمسافر.^١

ومن الألغاز المستظرفة في الجمع مبنى والمزدلفة قول العلامة مُحَبِّ الدين بن راشد^٢ السبتي:

(شعر)^٣

ما اسم أرضٍ فريدٍ * وإن تشأ فهو جمعٌ

وفيه للفضل^٤ وقفٌ * وفيه للحرف دفعٌ

وفيه للجمع صرفٌ * وفيه للصرْف منعٌ؟

ومن أسماء عرفة: «يوم الكمال ويوم التمام»، لأن الله تعالى أكمل فيه الدين وأتم فيه النعمة للمسلمين، ومن أسمائه: «يوم الحج الأكبر»، لما روي أنه ﷺ خطب بعرفة فقال: إن هذا يوم الحج الأكبر، وقال في آخر الخطبة: إن الوقفة يوم الجمعة - يعني في عرفة - تعدل سبعين حجة، وهو الحج الأكبر، فله المنة كانت وقفتي،^٦ يوم الجمعة مثل ما كان لرسول الله ﷺ.

١. اقتبس المؤلف من كتاب "الحقيقة والمجاز" ٣ : ٣٤٤.

٢. هكذا في الأصل خطأ، والصحيح: "رُشيد". وهو محب الدين محمد بن عمر بن محمد الفهري، المعروف بابن رُشيد السبتي (٦٥٧-٧٢١هـ)، رحالة مغربي، وعالم بالأدب والتفسير، وُلِّي الخطابة بجامع غرناطة. انظروا: الأعلام، للزركلي ٦ : ٣١٤.

٣. ملء العيبة، لابن رُشيد السبتي ٥ : ١٠٢.

٤. في المصدر: "وما"

٥. في المصدر: "للفعل"

٦. هكذا في الأصل، والصحيح: كان وقوفي.

ومن أسمائه: «المشهد»، لقوله تعالى: ﴿وَشَهِدْ وَمَشْهُودٌ﴾^١ لما أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: اليوم الموعود يوم القيامة، ويوم المشهد يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة. والله الحمد صار لي يوم الشاهد والمشهد متحداً كما في حجة الوداع لرسول الله ﷺ.

صِفَةُ الْمَزْدَلِفَةِ

وأما المزدلفة بضم الميم وسكون الزاي المعجمة فموضعٌ بين عرفات ومنى لأنه يتقرب فيها إلى الله، أو لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة، أو لمجيء الناس إليها في زلف الليل يرجع الحاج إلى المزدلفة من طريق المأزمين بين العَلَمين دون طريق ضب. في الصباح: المأزم الطريق الضيق بين الجبَلين، إلى أن قال: ويقال للموضع الذي بين عرفة والمشعر الحرام مأزمان.

وضب بضاد معجمة بعدها موحدة اسم جبل يلحقه مسجد الخيف في وادي منى، وطول المزدلفة من طرف وادي محسر الذي يليها إلى أول المأزمين مما يليها سبع آلاف ذراع وسبعمائة ذراع وثمانون ذراعاً وأربعة أسباع ذراع، ويكون ذلك ميلين وخمس ميل وأربع أخماس سبع ميل وأربعة أسباع عشر سبع خمس ميل^٢، ومن حد باب بني شيبه إلى حد مزدلفة من جهة منى عشرون ألف ذراع وخمسمائة ذراع وسبع أذرع وثلاثة أسباع ذراع، ويكون ذلك خمسة أميال وستة أسباع ميل وسبعة أعشار عشر سبع خمس ميل وثلاثة أسباع عشر سبع خمس ميل^٣،

١. البروج: ٣.

٢. كذا في الأصل المخطوط.

٣. كذا في الأصل المخطوط.

تقريباً.

صفة المشعر الحرام

وأما المشعر الحرام، ويقال له جبل قُزَح - بقاف مضمومة ثم زاي معجمة مفتوحة وحاء مهملة - فهو جبل صغير من المزدلفة، وهو آخرها وليس من منى، ويُقال له موقف المزدلفة.

وقال في المغرب: والمشعر الحرام جبل بالمزدلفة واسمه قزح، يقف عليه الإمام وعليه المئدة يعني كانون آدم، وعنده - أي المشعر الحرام - يستحب الوقوف للحجاج كي يدعوا ويذكروا عنده.

المحسر: هو الموضع الذي يستحب للحجاج الإسراع فيه، وهو واد عند المكان الذي يقال له المهلل لأن الناس إذا وصلوا إليه في حجهم هلّلوا وأسرعوا السير في الوادي المتصل به، والمهلل المشار إليه كان مُرتفعاً عنده بركتان معطّلتان بلحف قرن جبل عال ويتصل بها آثار حائط ويكون ذلك عن يمين الذهاب إلى عرفة ويسار الذهاب إلى منى.

صفة العقبة

وأما العقبة فقال ياقوت في «المشترك»: والعقبة بالتحريك خمسة مواضع، والمذكور منها ما كان كالعلم بالغلبة، منها العقبة التي بُويع عندها رسول الله ﷺ بمكة في سنة إحدى عشرة للنبوّة، قبل الهجرة بعامين، وهي بين مكة ومنى، بينها وبين مكة نحو ميلين، وعندها مسجد ومنها تُرمى جَمرة العقبة، انتهى^١. وللصّلاح الصّقدي:

١. المشترك وضعاً والمفترق صقعا، لياقوت الحموي: ٣١٤.

(شعر)

قد رميت الشيطان في يوم حجِّي * بجمار في طاعة الرحمن

وعجيب إن لم يكن قد تلظَّى * وهي سبعون جمرة في العيان

قال في «منايح الكرم»: وذكر الفاسي عن الأزرقى أن جمرة العقبة زالت عن موضعها الأصلي، أزالها جهال الناس برميهم الحصباء^١ في غير محلّه، فردّها إلى موضعها الأصلي إسحاق بن سلّمة الصّائغ الذي أرسله المتوكّل، وبني وراءها جداراً ومسجداً متّصلاً بذلك الجدار، لأنّ لا يصل إلى أعلاها من يريد الرمي، لأنّ السُّنة في الرّمي أن يكون من بطن الوادي، انتهى.^٢

صفة مسجد الخيف

وأما مسجد الخيف، فقال الشيخ عبد القادر الحنبلي في كتابه «دُرر الفرائد المنظمة في أخبار مكّة المعظّمة»: قال أهل اللّغة: الخيف ما انحدر عن غِلَظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، وبه سُمّي مسجد الخيف، فهو مسجد مبنى عظيم واسع، فيه عشرون باباً.^٣

وهو مسجد عظيم الفضل، وقد ورد في فضله أحاديث وآثار كثيرة، فمن ذلك ما أخرجه الطّبراني في معجمه الأوسط عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «لا تُشدّ الرّحال إلّا لثلاثة مساجد: مسجد الخيف والمسجد الحرام ومسجدي».

١. في المصدر: "الحصى".

٢. منائح الكرم، لعلّي بن تاج الدين السنجاري ٢: ١٦٣.

٣. الدّرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاجّ وطريق مكّة المعظّمة، لعبد القادر الحنبلي ٢: ٢٦٥.

قلت: إسناده ضعيف كما نصَّ عليه الحُفَاط، وإِنَّمَا ذَكَرْتُهُ لُغْرَابَتِهِ وَلِجَوَازِ الْعَمَلِ بِهِ فِي فُضَائِلِ الْأَعْمَالِ كَمَا ذَكَرَهُ التَّوَوِي.

وَأَخْرَجَ أَيْضاً فِي مَعْجَمِهِ الْكَبِيرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا». قُلْتُ: وَفِي زُبْدَةِ الْأَعْمَالِ: كُلُّهُمْ مَخْطُمُونَ بِاللَّيْفِ. قَالَ مِرْوَانُ: يَعْنِي رَوَّاحِلَهُمْ.^١

وَعَنِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا -: أَنَّهُ صَلَّى فِيهِ أَلْفُ نَبِيٍّ، مَنْ صَلَّى فِيهِ مِائَةُ رَكْعَةٍ عَدَلَتْ عِبَادَةَ سَبْعِينَ عَامًا.

وَقَالَ الْقُطُبُ الْمَكِّيُّ فِي كِتَابِهِ «الْإِعْلَامُ» عِنْدَ ذِكْرِ السُّلْطَانِ قَايْتَبَايَ^٢ مِنْ مُلُوكِ الْجِرَاكْسَةِ: وَفِي آخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ - بِتَقْدِيمِ السِّنِّ - وَثَمَانِيَةِ وَالْثِي قَبْلَهَا بَنَى السُّلْطَانُ مَسْجِدَ الْخَيْفِ بِنَاءً عَظِيمًا مُحْكَمًا، وَجَعَلَ فِي وَسْطِ الْمَسْجِدِ قُبَّةً عَظِيمَةً هِيَ حَدُّ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْفِ مَنَى، وَبُنِيَتْ جِدْرَانَهُ الْحَيْطَةُ بِهِ، وَبَنَى أَرْبَعَ بَوَائِكَ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ فَصَارَتْ قُبَّةً عَالِيَةً فِيهَا مَحْرَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَلَصَقَ الْقُبَّةَ مَأْذَنَةً غَيْرَ الْمَأْذَنَةِ الَّتِي عَلَى عَقْدِ بَابِ الْمَسْجِدِ [أَدَّى مَهْنَدِسُهَا فِيهَا الصَّنَاعَةَ الْعَظِيمَةَ، حَيْثُ جَعَلَهَا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ]^٣، بِثَلَاثَةِ أَدْوَارٍ صَنْعَةَ الْأَسْتَازِينَ، وَبَنَى دَارًا بَلَصَقَ الْبَابَ كَانَتْ مَسْكَنَ أَمْرَاءِ الْحَجَّاجِ، وَعَلَى الْبَابِ فِي الدَّارِ الْمَذْكُورَةِ سَبِيلٌ يَمْلَأُ مِنْ صَهْرِيحٍ كَبِيرٍ جَعَلَ فِي صَحْنِ الْمَسْجِدِ يَمْتَلِئُ مِنَ الْمَطَرِ، وَجَعَلَ لِلْمَسْجِدِ بَابًا آخَرَ إِلَى جِهَةِ عُرْفَةِ وَخُوخَةِ صَغِيرَةٍ إِلَى الْجَبَلِ الَّذِي فِي سَفْحِهِ غَارُ الْمُرْسَلَاتِ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي أَنْزَلَتْ

١. أَخْبَارُ مَكَّةَ لِلْأَزْرَقِيِّ ٢ : ١٧٤ ط منشورات الشريف الرضي.

٢. فِي الْأَصْلِ: قَابْتَايَ، وَهُوَ خَطَأٌ.

٣. إِضَافَةٌ مِنَ الْمَصْدَرِ، وَلَمْ يَرِدْ فِي الْأَصْلِ.

فيه سورة المرسلات على النبي ﷺ، انتهى^١.
وقال الأزرقى: إن الأحجار التي بين يدي المنارة هو موضع صلاة النبي ﷺ، انتهى.

قلت: والمراد بالمنارة هي الصغيرة التي في وسط القبة الملاصقة بجدار القبة الكبيرة لا المنارة التي على الباب والمحراب الذي في القبة هو موضع صلاته ﷺ لأنه في موضع الأحجار التي ذكره الأزرقى.

صفة غار المرسلات

أما غار المرسلات فقال المحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي الجوزي: إن في مسجد الخيف على يمين الذهاب إلى عرفات غاراً، وفي هذا الغار تجويف في سقفه تزعم العامة أنه لأن لرسول الله ﷺ فأثر فيه تجويفاً، فيضع الزائر رأسه فيه تيمناً وتبركاً بموضع رأس النبي ﷺ، ولم أقف على خبر أعتمده في ذلك إلا أن الأثر وارد بنزول سورة المرسلات فيه.

وقال الأزرقى: وبه - أي منى - مسجد لطيف بلحف الجبل المشرف على مسجد الخيف المسمى بضرب بمعجمة وموحدة، والصفائح أيضاً بصاد مهملة قبل الفاء وياء تحتائية قبل الحاء المهملة، وقيل الصابح بمهملتين بينهما ألف وباء موحدة، فيه غار به أثر رأس النبي ﷺ يُعرف بغار المرسلات، انتهى.

قال القطب أيضاً: الجبل المقابل لثبير الذي يلحقه مسجد الخيف فيه غار يُقال

له غار المرسلات فيه أثر رأس النبي ﷺ^٢.

١. الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، عبد الغني النابلسي ٣ : ٣٤٦.

٢. الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، عبد الغني النابلسي ٣ : ٣٤٩.

وقال ابن جبير بعد أن ذكر مسجد الخيف: وبقربه على يمين المار من الطريق حجرٌ مستدير إلى سفح الجبل مرتفع عن الأرض يُظَلُّ ما تحته، ذُكِرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قعد تحته مستظلاً ومسَّ رأسه الكريم، فلان الحجر حتَّى أثر فيه تأثيراً بقدر دورة الرأس، فيضع النَّاسُ رؤوسهم في هذا الموضع تبركاً بموضع رأس النبي ﷺ كَيْ لَا تمسَّ رؤوسهم النار.^١

قال الصلاح خليل بن أبيك الصّفي في ذلك:

(شعر)

أكرم بآثار النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ * مَنْ زاره استوفي السرور مزاره

يا عين دونك فانظري وتمتعي * إن لم تريه فهذه آثاره

واقتفى به الأديب جمال الدين محمد بن خطيب الدمشقي النيشابوري حيث

قال:

(شعر)

يا عين إن بُعد الحبيب وداره * ونأتُ مرابعه وشطّ مزاره

فلقد ظفرت من الزّمان بطائل * إن لم تريه فهذه آثاره

واقتدى بهما أبو الحزم المدني فقال:

(شعر)

يا عين لم تستسفين مدامعاً * شوقاً لقرب المصطفى ودياره

١. رحلة ابن جبير : ١٣٧ - ١٣٨، ربما اقتبسه من كتاب الحقيقة والمجاز، للنابلسي ٣ : ٣٤٩.

إن كان صرف الدهر عاقبك عنهما * فتمتعي يا عين في آثاره

وذكر المحب الطبري في كتابه «القرى لقاصد أم القرى» عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾^١ وأنه ليتلوها وأني لأتلقاها من فيه وأن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبي ﷺ: اقتلوها، فابتدرناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وَقِيَتْ شَرَكُم كَمَا وَقِيَتْ شَرَهَا». أخرجه البخاري.^٢

وقال الفاسي: بلغني عن شيخنا المجد الفيروزآبادي أنه قرأ في هذا الغار سورة المرسلات في جماعة من أصحابه، فخرجت عليهم حية فابتدروها ليقتلوه فهربت. **المُحَصَّب**

بفتح الحاء والصاد المهملتين. قال الفرزدق: «إذا ما التقينا بالمحصب من منى» قال الإمام الشافعي:

يا راكباً فف بالمحصب من منى * واهتف بساكن^٣ خيفها والتأهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى * فيضاً كملتطم الفرات الفائض
واخبرهمو أني من التفر الذي * لولاء أهل البيت لست بناقض^٤
إن كان رفضاً حب آل محمد * فليشهد الثقلان أني رافضي

١. المرسلات : ١.

٢. القرى لقاصد أم القرى، لمحّب الدين الطبري: ٥٣٩.

٣. في المصدر: بقاعد.

٤. هذا البيت لم يرد في المصدر.

وقال النووي: المحصَّب والحصبة والأبطح والبطحاء وخيف بني كنانة اسم لشيء واحد وهو موضع بين مكة وبين منى ما بين الجبل الذي عنده مقبرة أهل مكة إلى الجبل الذي يقابله مصعداً في الشَّقِّ الأيسر وأنت ذاهب إلى منى مرتفعاً عن بطن الوادي، وإثما سُمِّيَ المحصَّب لاجتماع الحصبا^١ فيه فإنَّ السَّيْلَ يحمل الحصبا^٢ إليه، انتهى.^٣

وقال في «لسان العرب»: المحصَّب موضع رمي الجمار بمنى، وقيل: هو الشَّعب الذي مخرجه الأبطح بين مكة ومنى، يُقام فيه ساعة من الليل، ثمَّ يُخرج إلى مكة، سُمِّيَ بذلك للحصباء التي فيها، ويُقال لموضع الجمار أيضاً: حِصَاب، بكسر الحاء. قال الأزهري: التحصيبُ التَّوَمُ بالشَّعب، الذي مخرجه إلى الأبطح ساعة من الليل، ثمَّ يُخرج إلى مكة، وكان موضعاً نزل به رسول الله ﷺ من غير أن يستنَّ للنَّاس، فمن شاء حصَّب، ومن شاء لم يُحصَّب.

إلى أن قال: وقال الأصمعي: المحصَّب حيث تُرمى الجمار، وأنشد:

أقامَ ثلاثاً بالمُحصَّبِ من منى * ولَمَّا بينَ⁴ للنَّاعِجاتِ طريقَ

وقال الراعي: أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أَلَمَ النَّاسِ أَنِّي * بِمَكَّةَ مَعْرُوفٌ وَعِنْدَ الْمُحَصَّبِ انتهى ملخصاً. تفصيله هناك.^٥

١. في المصدر: "الحصى".

٢. في المصدر: "الحصى".

٣. تهذيب الأسماء واللغات، للنووي ٤: ١٤٨.

٤. في المصدر: "يَيْنَ".

٥. لسان العرب، لابن منظور ٢: ٨٩٣.

مسجد التنعيم

ويُقال له مسجد الهليلجة لشجرة كانت فيه، وإِنَّمَا سُمِّيَ هذا المسجد التَّنَعِيمَ لأنَّ على يمينه جبلاً يُقال له نعيم، وعلى يساره جبلاً يُقال له ناعم، والوادي الذي بينهما يُقال له نعمان، وهذا الوادي غير الوادي الذي قال البغوي وغيره من المفسِّرين إِنَّهُ واد مقدَّس، وفيه أخذ الله العهد، لأنَّ وادي مقدَّس فوق عرفة بقليل، مشتمل على وديان كثيرة لأعراب مكَّة وغيرهم على الجملة.

وصورة العُمرة أن يخرج من مكَّة إلى التنعيم ويغتسل ويلبس ثوب الإحرام ويصلي ركعتين في مسجده بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾^١، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^٢ بعد الحمد، ويُلَبِّي بتلبية رسول الله ﷺ ويرجع إلى مكَّة مُلبِّياً مكبِّراً مُهلِّلاً مُصَلِّياً على النبي ﷺ، فإذا وصل يطوف الأشواط السبعة ويصلي خلف المقام ركعتين ويشرب ماء زمزم ويُقبِّل الحجر الأسود ثم يخرج من باب الصفا ويسعى بين الصفا والمروة من بين الميادين الأخضرين سبعة أشواط ويحلق رأسه أو يقصر عند المروة فقد تمت عمرته. قال النبي ﷺ: «العمرة الحج الأصغر».

بِقَاتُ الْحَجَّ ٢٥٦ - ١٤٣٨ هـ

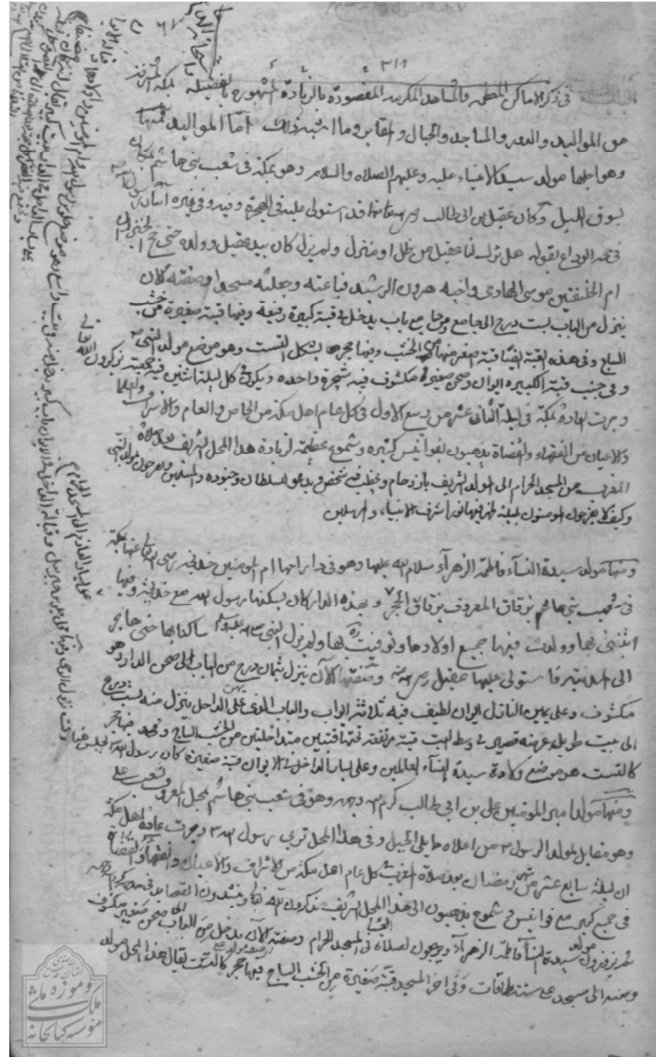
١. في الأصل : "أودان".

٢. الكافرون: ١.

٣. الإخلاص: ١.

في ذكر الأماكن المعظمة والمشاهد المكرمة المقصودة بالزيارة المشهورة بالفضيلة واستجابة الدعاء بمكة المشرفة، من المواليد والدور والمساجد والجبال والمقابر وما أشبه ذلك:

مقتطفات من رحلة القندهاري (٢)



صفحة من رحلة أبي القاسم القندهاري - نسخة مكتبة ملك الوطنية

أما المواليد، فمنها وهو أجّلها: مولد سيّد الأنبياء - عليه وعليهم الصلاة والسلام -، وهو بمكّة في شعب بني هاشم بمكان بسوق اللّيل، وكان عقيل بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنهما - قد استولى عليه في الهجرة، وفيه وفي غيره أشار رسول الله ﷺ في حجّة الوداع بقوله: «هل ترك لنا عقيل من ظلّ أو منزل؟»، ولم يزل كان بيد عقيل وولده حتّى حجّ الخيزران أمّ الخلفيتين موسى الهادي وأخيه هارون الرشيد فباعته وجعلته مسجداً^١.

وصفته الآن: ينزل من الباب بستّ درج إلى جامع ومن جامع باب يدخل في قبة كبيرة رفيعة، وفيها قبة صغيرة من خشب السّاج، وفي هذه القبة أيضاً قبة أصغر منها من الخشب، وفيها حجر بشكل الطّست^٢، وهو موضع مولد النبي ﷺ، وفي جنب القبة الكبيرة إيوان وحن صغير مكشوف فيه شجرة واحدة، ويكون في كلّ ليلة اثنين فيه جمعيّة يذكرون الله تعالى، وجرت العادة بمكّة في ليلة الثاني عشر من ربيع الأوّل في كلّ عام أهل مكّة من الخاصّ والعامّ والأشراف والعلماء والأعيان من الفقهاء والقضاة يذهبون بفوانيس كثيرة وشموع عظيمة لزيارة هذا المحلّ الشريف بعد صلاة المغرب من المسجد الحرام إلى المولد الشريف بازدحام، ويخطب فيه شخص ويدعو للسلطان وجنوده والمسلمين، ويفرحون لمولد النبي ﷺ، وكيف لا يفرح^٣ المؤمنون بليلة ظهر فيها نور أشرف الأنبياء والمرسلين؟^٤

١. الجامع اللطيف، محمد جارالله ابن ظهيرة المكي الحنفي : ٢٠١.

٢. في الأصل: "التست".

٣. في الأصل: "لا يفرحون"، وهو خطأ.

٤. ذكر قريب من هذا النصّ في كتاب "الحقيقة والمجاز"، للنابلسي ٣ : ٣٥٤.

ومنها: مولد سيّدة النساء فاطمة الزهراء - سلام الله عليها - وهو في دار أمّها أمّ المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها بمكّة في شعب بني هاشم بالزقاق المعروف بزقاق الحجر عن يسار العازم إلى المسجد الحرام، وهذه الدار كان يسكنها رسول الله ﷺ مع خديجة، وفيها ابنتي بها وولدت فيها جميع أولادها، وتوفيت - رحمها الله - بها، ولم يزل النبي ﷺ ساكناً بها حتّى هاجر إلى المدينة فاستولى عليها عقيل - رضي الله عنه -^٢

وصفّتها الآن: ينزل بثمان درج من الباب إلى صحن الدار وهو مكشوف، وعلى يمين النازل إيوان لطيف فيه ثلاثة أبواب، والباب الذي على يمين الداخل ينزل منه بست درج إلى بيت طويل عرضه قصير، في وسط البيت قبة مرتفعة تحتها قُبتان متداخلتان من خشب الساج، وفيها حجر كالطست^٣ هو موضع ولادة سيّدة نساء العالمين، وعلى يسار الداخل في الإيوان قبة صغيرة كان رسول الله ﷺ يجلس هنا وقت نزول الوحي، وفيها محلّ جلوس جبرئيل.

وقبالة الداخل في الإيوان باب كبير يدخل منه في بيت واسع وهو موضع جلوس رسول الله ﷺ وأمّ المؤمنين وأولادهما، وقبالة الإيوان على يسار الداخل في الدار بيت كبير يقال إنّ كان مُضيفاً، ويجتمع فيه الفقراء كلّ جمعة بعد الصلاة إلى العصر، وكلّ ليلة الثلاثاء من العشاء إلى الصبح يذكرون الله تعالى.

١. في الأصل: "وبهذه".

٢. الجامع اللطيف، محمد جارالله ابن ظهيرة المكي الحنفي : ٢٠٢.

٣. في الأصل: "كالطست".

ومنها: مولد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه -^١ وهو في شعب بني هاشم بالمحلّ المعروف بشعب عليّ، وهو مقابل لمولد الرسول ﷺ، من أعلاه ممّا يلي الجبل، وفي هذا المحلّ تربّى رسول الله ﷺ. وجرت عادة أهل مكّة أن ليلة سابع عشر من شهر رمضان بعد صلاة المغرب في كلّ عام أهل مكّة من الأشراف والأعيان والفقهاء والقضاة في جمّع كثير مع فوائس وشموع يذهبون إلى هذا المحلّ الشريف يذكرون الله تعالى وينشدون القصائد في مدحه - كرم الله وجهه - ثمّ يزورون مولد سيّدة النساء فاطمة الزهراء ويرجعون لصلاة العشاء في المسجد الحرام.

وصفته الآن - أي صفة مولد عليّ - : يدخل من الباب إلى صحن صغير مكشوف ومنه إلى مسجد عليّ ستّ طاقات، وفي آخر المسجد قبة صغيرة من خشب السّاج فيها حجر كالطّست^٢، يُقال هذا المحلّ مولد سيّدنا عليّ بن أبي طالب، وبجائط المسجد عند المولد حجر أسود يُقال اتّكت السيّدة فاطمة بنت أسد حين وجّع الطّلق بها، وأنّ هذا الحجر كان يسلم على النبي ﷺ قبل النبوّة، يُقال إنّ الدّعاء عنده مستجاب، وأهل مكّة يعظّمون هذا الحجر.

فائدة: أبوطالب بن عبد المطّلب، ... وهو كافل رسول الله ﷺ وحاميه من قریش وناصره والرّفيق به والشّفيق عليه، فكان سيّد بني هاشم في زمانه، وكان

١. روى كثير من علماء الشيعة كالشيخ الصدوق، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والمسعودي، وابن شهر آشوب؛ ومن علماء السنّة كالحاكم النيشابوري، وابن المغازلي، ومحمد بن طلحة الشافعي، وسبط بن الجوزي، وابن صباغ المالكي أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وُلد في جوف الكعبة الشريفة، واعتبر الحاكم النيشابوري في المستدرک على الصحيحين ٣ : ٥٥٠ بأنّ هذا الخبر متواتر.

٢. في الأصل: "كالتست".

شاعراً مُجيداً، رُوي عن محمود بن خرّبود،^١ أنه قال: كان أبو طالب يحضر أيام الفجار،^٢ ويحضر معه النبي ﷺ وهو غلام. واختلف الناس في إسلامه، فقالت الإمامية والزيدية وبعض المعتزلة والصوفية أنه ما مات إلا مسلماً، وقد نقل الناس كافة عن رسول الله أنه قال لعلي: «نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية». فوجب بهذا أن يكون آبائهم منزّهين عن الشرك لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين.

وقد روي أن أبا بكر جاء بأبي قحافة إلى النبي عام الفتح يقوده وهو شيخ كبير أعمى فقال رسول الله: أما تركت الشيخ حتى نأتيه؟ فقال: أردت يا رسول الله أن يأجره الله، أما والذي بعثك بالحق لأني كنت أشدّ فرحاً بإسلام عمك أبي طالب مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرّة عينك. فقال ﷺ: «صدقت». وقد روي بأسانيد كثيرة بعضها عن ابن عباس بن عبد المطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة، أن أبا طالب ما مات حتى قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

قالوا: وأشعار أبي طالب تدلّ على أنه كان مسلماً، فمنها:

ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً * رسولاً كموسى حطّ في أول الكتب
ومنها:

نبي أتاه الوحي من عند ربّه * ومن قال لا يقرع بها سنّ نادم

١. الصحيح: معروف بن خرّبود المكي.

٢. الصحيح: أيام الفجار.

٣. ديوان أبي طالب، تحقيق عبد الحق العاني : ١٦٠.

ومنها:

أَذْبُّ وَأَحْيِ رَسُولَ الْإِلَهِ *** حَمَايَةِ حَامٍ عَلَيْهِ شَفِيقُ

ومنها:

وَخَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ أَحْمَدُ *** رَسُولَ الْإِلَهِ عَلَى فِتْرَةٍ

ومنها:

لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا *** فَأَكْرَمَ خَلْقَ اللَّهِ فِي النَّاسِ أَحْمَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَّه *** فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

ومنها:

يَا شَاهِدَ اللَّهِ عَلَيَّ فَاشْهَدْ *** أَنِّي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ أَحْمَدُ

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْعَارِ.

قالوا: فكلُّ هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر لأنه إن لم يكن آحادها متواترة، فمجموعها يدلُّ على أمر واحد مشترك وهو تصديقه النَّبِيِّ، ومجموعها متواترة.

ومنها: قيل مولد سيِّدنا حمزة بن عبد المطلب عمِّ النبي ﷺ، وهو بأَسْفَلِ مَكَّةَ على طريق الذهاب إلى بركة الماكن بالتَّون، وأهل مَكَّةَ يقولون ماجد بالدَّال وهو غلط.

قال الفاسي: ولم أرَ شيئاً يدلُّ على صحَّة ذلك، بل في صحَّته نظر، لأنَّ هذا

الموضع ليس محلاً لبني هاشم، والله أعلم.^١

ومنها: مولد جعفر بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - دخله النبي ﷺ وعلى بابه حجر عليه مكتوب: «هذا مولد الإمام جعفر الصادق»، لعلّه خطأ، وهو بالموضع المعروف بدار أبي سعيد، ويُعرف أيضاً بدار الدقوق،^٢ - بقافين بينهما واو-^٣ وهذه الدار في فم الزقاق الموصل إلى باب الزيادة على عيين الذهاب إلى المسجد الحرام ويسار الذهاب إلى الشبكة، قريبة من باب الزيادة بينها وبينه نحو ست دور. وأما الدور المتبركة المقصودة بالزيارة:

فمنها: دار خديجة أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها - وهي التي يُقال لها مولد سيّدة النساء فاطمة الزهراء - رضي الله تعالى عنها - وقد تقدّم الكلام عليها آنفاً مستوفى، وإثما ذكرتها ليعلم أنّها من جملة الدور المباركة، وإثما غلبَ عليها اسم المولد واشتهرت به.

ومنها: دار سيّدنا العباس بالمسعى عند أحد الميادين الأخضرين، وهي الآن جزو رباط يسكنه الفقراء.

ومنها: دار المختبي، وهي دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، المعروفة الآن بدار الخيزران، قريبة للصفا وهي مقصودة بالزيارة، لأنّ النبي ﷺ كان مستتراً فيها في مبدء الإسلام وكان يدعو فيه إلى الإسلام خفيةً، وفيها أسلم عمر بن الخطّاب، ومنها ظهر الإسلام، وبها كان اجتماع الصحابة، ولها فضلٌ كثير، بنتها الخيزران

١. الجامع اللطيف : ٢٠٣.

٢. في المصدر: الدقوق.

٣. ذكر قريب من هذا النص في الجامع اللطيف : ٢٠٣.

أما سبب إسلام عمر بن الخطاب على ما في الطبقات الكبير للشّعراي غير ما هو في سائر الكتب، من أراد الاطلاع فليرجع إليها.^١
وأما المساجد المقصودة بالزيارة فكثيرة

منها: ما هو موجودٌ معروف إلى يومنا هذا، ومنها ما هو دائرٌ لا يُعرف.
فمنها: مسجد الرؤية وهو بأعلى مكة عند الرّدم، وبجانبه منارة تُعرف بمنارة أبي شامة، وهذا المسجد من بناء عبد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عم النبي ﷺ، يُقال إن النبي ﷺ ركز راية يوم الفتح في هذا المسجد.
ومنها: مسجد صغير بقرب الحجرة الكبيرة عند المدعى على عيين الهابط إلى مكة ويسار الصّاعد منها، يُقال إن النبي ﷺ صلى فيه المغرب كما هو مكتوب بحجرين هناك.^٢

ومنها: مسجد صغير بسوق الليل بالقرب من مولد النبي ﷺ يزوره الناس.
وتقل الشيخ سراج الدين عمر بن فهد عن كتاب «الكوكب المنير» لنصر الله الكسائي أن النبي ﷺ كان يختبئ فيه من الكفار ويعبد الله هناك.^٣
ومنها: مسجد البيعة بأعلى مكة عند سوق الغنم، بايع الناس معه ﷺ هناك يوم الفتح.
ومنها: مسجد على جبل أبي قبيس يُقال له مسجد إبراهيم، وليس المراد به إبراهيم الخليل.

١. كذا في الأصل، وينبغي أن يكون: فليراجع إليها.

٢. الجامع اللطيف : ٢٠٥.

٣. ذكر قريب من هذا النص في الجامع اللطيف : ٢٠٥.

ومنها: مسجد بخارج مكة يقال مسجد بيعة الجِنِّ، وهو فيما يقال موضع الخطِّ الذي خطّه رسول الله ﷺ لابن مسعود ليلة استمع عليه الجِنِّ وبايعوه ﷺ، ويقال له مسجد الحرس أيضاً لأنَّ رئيس الحرس كان يطوف بمكة حتّى انتهى إلى هذا المحلِّ، وقف حتّى يتوافى عنده حرسه وحُدَّامه، فإنَّهم يأتونه من شِعب عامر ومن ثنية المدنيّين، فإذا توافوا رجع منحدرًا إلى مكة.

ومنها: مسجد يُعرَف بالإجابة خارج مكة على يسار الذهاب إلى منى في شِعب بقرب ثنية أذاخر، يُقال إنَّ النبي ﷺ صَلَّى في هذا المحلِّ وهو منهدم، وفيه حجر مكتوب به إنَّه مسجد الإجابة، وبني حوله العريان بيوتاً وهم يصلُّون في هذا المسجد الخراب.

وأما المساجد التي في منى و جهتها:

فمنها: مسجد يُقال له مسجد البيعة، وهو الذي بايع فيه رسول الله ﷺ الأنصار بحضرة عمّه عبّاس وهو بقرب العقبة التي هي حدٌّ من منى من جهة مكة في شِعب على يسار الصاعد إلى منى.^١

ومنها: مسجد يُقال له مسجد التّحر، وهو بين الجمرتين الأولى والوسطى على يمين الذهاب إلى عرفة، يُقال إنَّ النبي ﷺ صَلَّى فيه الضُّحى ونحرَ هدّيه عنده، وهذا مكتوبٌ في حجر هناك.^٢

ومنها: مسجد يُقال له مسجد الكبش، هو على يسار الصّاعد إلى عرفة بسفح ثبير.^٣

١. الجامع اللطيف : ٢٠٦.

٢. الجامع اللطيف : ٢٠٦.

٣. الجامع اللطيف : ٢٠٦.

ومنها: مسجد عائشة - رضي الله عنها - وهو بسفح ثبير أيضاً فوق مسجد الكبش، وهو غار لطيف عليه بناء وأثر،^١ ويُسمى معتكف عائشة، وبعض أهل مكة يقول له بيت أم المؤمنين.^٢

ومنها: مسجد الخيف المشهور بمنى، وهو مسجد عظيم الفضل وقد ورد في فضله أحاديث وآثار،^٣ وفيه موضع صلاة النبي ﷺ كما تقدم.

ومنها: مسجد نمرة في عرفات، وهو المسجد الذي يجمع فيه الإمام بين الظهر والعصر جمع تقديم كما تقدم.

ومنها: مسجد لطيف يمنيّ مسجد الخيف، فيه غار به أثر رأس النبي ﷺ، يُعرف بغار الرسائل، وقد تقدّمت صفته.

ومنها: مسجد التنعيم، ويقال له مسجد الهليلجة لشجرة كانت فيه، وهناك حجارة مكتوبة فيها: منه اعتمرَت عائشة أم المؤمنين.

ومنها: مسجد الجعرانة وهو الذي أحرم منه النبي ﷺ بعمرة برجعه من الطائف بعد فتح مكة ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة عام الفتح، وموضع إحرامه من وراء الوادي حيث الحجارة المنصوبة بالعدوة الوثقى، والجعرانة بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الرّاء المهملتين، وقيل بفتح العين والرّاء المشدّدة، وجعرانة لقب ريطة - براء وطاء مهملتين بينهما ياء تحتانيّة - بنت كعب امرأة أسد بن عبد العزّى، وهي التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ عُزْلَهَا مِنْ

١. في المصدر: "بناء داثر".

٢. الجامع اللطيف: ٢٠٧.

٣. الجامع اللطيف: ٢٠٧.

بَعْدَ قُوَّةٍ^١، الآية. وفي جهة الجعرانة ماء شديد العذوبة غرزَ النبي ﷺ في محله رحمه الميمون، فنبعَ الماء من ذلك المحلّ فشرب منه ﷺ وسقى الناس.

ومنها: مسجد الشجرة، دعى النبي ﷺ شجرةً كانت في ذلك المكان فأقْبَلَتْ تَحْرُ الأَرْضَ ووقفت بين يدي رسول الله ﷺ، ثم أمرها فرجعت.

قال في كتاب "المسامرات" عن ابن بريدة عبد الله قال: ^٢ جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله قد أسلمتُ فأرني شيئاً أزداد به يقيناً، قال ﷺ: ما الذي تريد؟ قال: ادعُ تلك الشجرة فلتأتك، قال ﷺ: اذهب فادعها، فأتاها الأعرابيُّ قال: أجبني رسول الله، قال: فمالت على جوانبها فتقطعت عروقها ثم مالت على الجانب الآخر، فتقطعت عروقها حتى أتت النبي ﷺ فقالت: السلامُ عليك يا رسول الله، فقال الأعرابيُّ: حسبي حسبي! فقال لها النبي ﷺ: ارجعي، فرجعت فجلست على عروقها، فقال الأعرابيُّ: إئذن أن أقبل رأسك ورجلك، ففعل، فقال: إئذن لي أن أسجد لك يا رسول الله، قال ﷺ: لا يسجد أحد لأحد، ولو أمرتُ واحداً أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقّه عليها.

ومنها: مسجد المتكأ في أجياد، فيه حجر يُروى أن رسول الله ﷺ اتكأ عليه

١. النحل : ٩٢.

٢. هذا المطلب خطأ جداً، لأنه خلاف ما قاله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٩٢: «وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ - فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيماً - لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ - وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَتَيْتَ أَجَبْنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ - عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ - فَقَالَ ﷺ: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: - تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا - وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَقَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ - فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ﷺ: فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنْكُمْ لَا تَقِفُونَ إِلَى خَيْرٍ...

فغاص مرفقه الشريف في ذلك الحجر. قلت: الآن صار المسجد داراً والحجر في زقاق المرفق قريب بموضع يُقال له دكان أبي بكر، مبني في الجدار في وسطه حفرة مثل محل المرفق، يزوره الناس ويتبركون بلمسه.

ومنها: مسجد ذي طوى، نزل هنا رسول الله حين اعتمر وحين حجّ.

وأما الجبال المباركة بمكة المقصودة بالزيارة،

فمنها: أبو قُبَيْس أحد أخشي مكة المُشْرِف على الصّفا، وهو من جهة الجنوب والشرق من مكة ويقابل ركن الحجر الأسود، وكانت قريش تسميه الأمين لأن فيه استودع الحجر زمان الطوفان، فأدّى الحجر إلى الخليل. وهو مطلّ على مكة ومنه يظهر اتساعها، يقال إن قبر آدم في غار بجبل أبي قبيس يقال له غار الكنز بالنون والزاي المعجمة، وهذا الغار لا يُعرَف الآن.

وقال الذهبي في تاريخ آدم وبنيه: وخلفه بعده يعني آدم وشيث ابنه، ونزلت عليه ثلاثون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبويه في غار أبي قبيس، انتهى.

يقال: إن الدُّعاء يُستجاب فيه، وكان انشقاق القمر عليه، وكان النبي ﷺ يُكثر إتيانه للعبادة ويُقيم به لأجلها شهراً في كل عام، وفيه أكرم بالرسالة.^١

عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة؛ شقة على أبي قبيس

١. هذا القول يناقض ما ذكره المؤلف عند قوله: - كما سيأتي - من أن النبي ﷺ أكرم بالرسالة هناك؛ وهذا التناقض نشأ من خطأ المؤلف في فهمه لما ورد في "الجامع اللطيف" واختصاره لنص الكتاب. أمّا نص "الجامع اللطيف : ٢١١": ونقل عن بعض العلماء أنه أفضل جبال مكة حتى حراء. وعلل بكونه أقرب الجبال إلى الكعبة الشريفة. قال الفاسي: «وفي النفس شيء من تفضيله على حراء لكونه ﷺ كان يكثر إتيانه للعبادة، ويقيم به لأجلها شهراً في كل عام، وفيه أكرم بالرسالة». فالضمير في "فيه" يرجع إلى جبل حراء، لا جبل أبي قبيس!!!

وشقة على كذا أي الثنية السُّفلى لمقابلتها لأبي قبيس.

ونقل الشيخ عبد الرحمن بن الجوزي في تفسيره المسمى بـ«زاد المسير في علم التفسير» أن حديث الانشقاق رواه جماعة، منهم: عبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عباس، وأنس بن مالك، وعلى هذا جميع المفسرين، إلا أن قوماً شذّوا بقولهم: سينشق القمر يوم القيامة. وقد روى عثمان بن عطاء عن أبيه نحو ذلك، وهذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع، ولأن قوله: ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ لفظ ماضٍ وحمله على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك بوجوده، وفي قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^١ دليل على أنه قد كان ذلك. وقال ابن زيد: لما انشق القمر كان يرى نصفه على قُيعِيقان، والنصف الآخر على أبي قبيس. وقال ابن مسعود: لما انشق القمر قالت قريش: سحركم ابن عبد الله، فسألوا السُّفّار عن ذلك، فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾. قوله تعالى: ^٢ ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ تدلهم على صدق الرسول، والمراد بالآية هنا انشقاق القمر، ﴿يُعْرِضُوا﴾ عن التصديق، ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾،^٣ أي ذاهب من قولهم من الشيء واستمر إذا ذهب، قاله مجاهد. والسحر يذهب ولا يذهب،^٤ فأنزل سبحانه: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ الآية، أي كذبوا النبي وما عاينوه من قدرة الله عز وجل، ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، أي ما زين لهم الشيطان، ﴿وَكُلَّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾،^٥ أي مستقر بأهل الخير

١. القمر: ١. وفي المصدر بدل هذه الآية، الآية التي تليها: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾.

٢. إضافة من المصدر.

٣. القمر: ٢.

٤. في المصدر: "ولا يثبت".

٥. القمر: ٣.

والشَّرَّ، قاله قتادة. وقال مقاتل: إنَّ إقرار تكذيبهم مستقرٌّ، وأمر تصديق المصدِّقين مستقرٌّ، حتَّى يعلموا حقيقة الثواب والعقاب، انتهى^١.

فائدة: قال شيخ الإسلام زين الدين عبد الرّحيم العراقي في منظومته المسماة بـ«نظم الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ والسَّيَرَةِ الزَّكِيَّةِ» عند ذكره المعجزات:

(شعر)^٢

وأوبقت قريش أن يرى * آياً أراهمُ انشِيقَ القمرِ^٣
فصارَ فرقتينِ فرقةٌ علّتْ * وفرقةٌ للطَّودِ منه نزلتْ
وذاك مرَّتَيْنِ بالإجماع * والنَّصُّ والتَّوَاتُرُ السَّماعي^٤
زادَ لِلَّذِينَ آمَنُوا إيماناً * ولأبي جهلٍ به طُغياناً
وقالَ ذا سِحْرٍ فجاءَ السَّفَرُ * كُلُّهُ بِه مُصَدِّقٌ مُقَرُّ

قال ابن قيّم في كتابه «إغاثة اللّهْفان» ما لفظه: المرّات يراد بها الأفعال تارة والأعيان تارة، وأكثر ما تستعمل في الأفعال، وأمّا في الأعيان فكقوله في الحديث: انشقَّ القمر على عهد رسول الله مرّتين: أي شقّتين وفلقتين، ولمّا خفي هذا على من لا يحيط به علماً زعم أن الانشقاق وقع مرّة بعد مرّة في زمانين، وهذا ممّا يعلم عند

١. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: ١٣٦٩.

٢. نظم الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ فِي السَّيَرِ الزَّكِيَّةِ، للحافظ زين الدين عبد الرّحيم العراقي: ١١٣ - ١١٤.

٣. في المصدر: وإذْ بَعَثَ مِنْهُ قُرَيْشٌ أَنْ يُرِيَ * آياً أراهمُ انشِيقَ الْقَمَرِ

٤. في الأصل: "السماع".

٥. في المصدر: "الَّذِينَ".

أهل الحديث ومن له خبرة بأحوال الرسول ﷺ وسيرته أنه غلط وأنه لم يقع الانشقاق إلا مرة واحدة. قاله في مسألة الطلاق، انتهى.

وقال الزركشي في شرحه للبردة: إن البخاري أخرج انشقاقه بمكة ومعنى، قال: وهو يدل على تكرير الانشقاق، انتهى.

وقال أحمد بن حجر: وهذا بحسب الرائي، لا أنه تعدد وقوعه مرتين بمكة ومعنى، انتهى.

قلت: ما يؤيد كلام الناظم ما ذكره صاحب دلائل النبوة من حديث ابن مسعود بلفظ: «رأيت القمر منشقاً بشقتين، مرتين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ»، انتهى.

ونقل القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات»: من خواص جبل أبي قبيس أن من أكل فيه الرأس المشوي يأمن أوجاع الرأس طول عمره،^١ وكثير من الناس يفعلونه.^٢

ومنها: جبل الأحمر، وهو من جهة شمال مكة المعظمة - زادها الله شرفاً وتعظيماً وتكريماً -

ومنها: جبل الخدمة، وهو جبل شامخ في ظهر أبي قبيس، يقال إن فيه قبر سبعين نبياً، وفيه يقول القائل:^٣

(شعر)

إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخِدْمَةِ * إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عَكْرَمَةُ

١. "طول عمره" لم يرد في المصدر.

٢. الجامع اللطيف : ٢١١.

٣. الجامع اللطيف : ٢١١ وفيه: "... يقول القائل في يوم الفتح.

ومنها: الحَجُون، بتقديم الحاء المهملة المفتوحة، وهو جبل بالمعلاة مقبرة أهل مَكَّة على يسار الداخل إلى مَكَّة ويمنى الخارج منها إلى مِنى.
ومنها: جبل حِرَاء، بكسر الحاء المهملة ممدوداً، فمن ذكره صرفه وَمَنْ أَتَّه منعه من الصَّرَف، وهو في جهة الشمال من مَكَّة على نحو فرسخ منها، وهو مشرف على مِنى ذاهب في الهواء عالي القِنَّة،^١ ويسمى جبل النَّور بالنون أولاً والرَّاء أخيراً، وكأنَّ ذلك لكثرة مجاورة النبي ﷺ وتعبده فيه، وما خصَّه الله به فيه من الإكرام بالرسالة ونزول الوحي عليه في الغار الذي بأعلاه، كما في صحيح البخاري، حتَّى فجأه الحقُّ وهو في غار حِرَاء، وهو معروف مشهور يَأْثُرُه الخلف من السلف ويقصده الناس بالزِّيَّارة.

ذكر الأزرقي أنَّ النبي ﷺ اختبى فيه من المشركين قبل الهجرة.^٢
وقال المسعودي: وأوَّل ما نزل عليه - أي على النبي ﷺ - ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾،^٣ وأتاه جبرئيل في ليلة السبت ثمَّ في ليلة الأحد، وخاطبه بالرسالة في يوم الاثنين وذلك بحِرَاء، وهو أوَّل موضع نزل فيه القرآن، وخاطبه بأوَّل السورة إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾،^٤ ونزل تمامها بعد ذلك، وخُوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين، ثمَّ أُمِرَ بِاتِّمَامِهَا بعد ذلك، وأُقرَّت ركعتين في السفر، وزيدَ في صلاة الحضر، انتهى.
ومنها: جبل ثور بالثاء المثلثة بأسفل مَكَّة، وهو أكبر من حِرَاء وأبعد منه

١. القِنَّة، بالضم: الجبل الصغير، وقُلَّة الجبل الصغير، وقُلَّة الجبل. أنظروا: القاموس المحيط: ١٢٢٦.

٢. ذكر قريب من هذا النص في الجامع اللطيف: ٢١٢.

٣. القلم: ١.

٤. القلم: ٥.

بالنسبة إلى مكة، بعده عنها ميلان وقيل ثلاثة أميال، وارتفاعه نحو ميل، ويُقال له أطحل بالطاء والحاء المهملتين، وقد صحَّ أن النبي ﷺ وأبا بكر اختفيا في غاره المشهور، ذكره الله تعالى في سورة التوبة: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^١ الآية.

قال أصحاب السير: لما استقرَّ رأي قريش بعد المشاورة على قتل رسول الله ﷺ أتاه جبرئيل وأخبره بذلك وأمر له بالخروج إلى المدينة، ولما كانت العتمة اجتمع المشركون على باب النبي ﷺ، فلما رأى رسول الله مكانهم واجتماعهم قال لعليّ عليه السلام: نِمْ على فراشي واتَّشِحْ بِرِدِّي الحضرمي الأخضر، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتَّى يؤدي عن رسول الله الدوائع التي عنده، ثمَّ أخذ ﷺ قبضة من تراب وجعل ينثره على رؤوسهم وهو يقرأ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾، إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^٢ وخرج فأتى منزل أبي بكر فأخذ أبو بكر سفرة وسقاية فشَقَّتْ أسماء نطاقها شقَّتَيْنِ، فارتطبت بواحدة السِّقَا وبالأخرى السِّفْرَة، فلذلك سمَّيت ذات التِّطَاقَيْنِ، ثمَّ خرجا من خوخة كانت في ظهر البيت وعمدا إلى الغار، وخلع ﷺ نعليه وكان يمشي على أطراف أصابعه حتَّى خفيت رجلاه، فلما رأى أبوبكر ذلك حمَّله على كاهله وجعل يشتدَّ حتَّى أتيا الغار، فدخل أبو بكر إلى الغار قبل رسول الله، فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حيَّة لِيَقْيِي رسول الله ﷺ بنفسه، وكلَّما رأى حجراً شَقَّ ثوبه فألقمه إيَّاه حتَّى فعل ذلك بثوبه كلَّه، فبقي حجر فألقمه عقبه وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار، والراء فنبتت في وجه الغار، وحماتين وحشيتين فعششتا عليه وباضتا.

١. التوبة: ٤٠.

٢. يس: ٨-٩.

وأقام المشركون على الباب وينظرون من شقّ الباب، فيرون عليّاً على الفراش متّشح ببرد رسول الله ﷺ يحسبونه النبي ﷺ فيحرسونه حتّى أصبحوا، فوثبوا عليه فقام عليّ من الفراش فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا علم لي. فتركوه واقتصوا أثر النبي ﷺ من كلّ بطن رجل سيوفهم بأيديهم ومعهم كور بن علقمة القصّاص، فقصّ الأثر حتّى انتهى إلى الغار، فقال لهم إلى هنا انتهى أثره، فما أدري أصدع السماء أم غاص في الأرض، فقال قائل: ادخلوا الغار؛ فقال أميّة بن خلف: ما أريكم في الغار وأنّ عليه لعنكبوّاً من قبل ميلاد عيسى.

قال أبوبكر: يا رسول الله لو أنّ أحدهم نظر لأبصرنا، فخاف على النبي، وكان النبي ﷺ يسكن روعه ويقوّي جأشه ويقول: ما ظنّك باثنين الله ثالثهما؟ وقد أخذته الرّعدة وهو لا يسكن، فلمّا رأى رسول الله حاله قال له تريد أن أريك إخوانك من المهاجر [ين] والأنصار؟ قال: نعم بأبي وأمي أنت يا رسول الله. فمسح النبي بيده على وجهه فنظر إلى مكّة، رأى عليّاً والأصحاب يتحدّثون وإلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون، وإلى المهاجر [ين] والأنصار بالمدينة يتحدّثون، فأنزل الله سكينته عليه فسكن قلبه.

ورحم الله البوصيري حيث قال في برده:

(شعر)

وما حوى الغار من خيرٍ ومن كرمٍ * وكلّ طرفٍ من الكفّار عنه عَمَى...

ظنّوا الحمام وظنّوا العنكبوت على * خير البريّة لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدّروع وعن عالٍ من الأطم

وأنشأ عليّ عليه السلام في بيتوته في^١ فراش النبي صلى الله عليه وآله هذه الأبيات:

وقيتُ بنفسي خيرَ مَنْ وطئ الثرى * ومَنْ طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول إله خاف أن يكروا به * فنجّاه ذو الطّول الإله من المكر

وبات رسول الله في الغار آمناً * موقى وفي حفظ الإله وفي ستر

وبتُّ أراعيهم وما يثبوني * وقد وطئت نفسي على القتل والأسر

وقد ثبت في صحيح البخاري أنّهما مكثا في الغار ثلاثاً، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام، وكان عبد الله بن أبي بكر يكون نهاره في قريش يستمع ما يقولون، ويأتيهما إذا أمسى ويخبرهما الخبر، وكان عامر بن فهيرة يرعى غنمه في رعيان مكّة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبها لهما، فإذا راح عبد الله وأسماء من عندهما إلى مكّة اتّبع عامر بن فهيرة أثرهما بالغنم فقفاهما حتّى يعمى أمرهما على الكفار، حتّى إذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاها صاحبهما الذي استأجراه ليريهما الطريق، فأتتهما أسماء بسفرتهما وارتحلا، ولم يعلم بخروجهما إلاّ عليّ وآل أبي بكر، وبقية أخبار هجرتهم في السير فليراجعها من أرادها.

وفي الكتاب المسمّى بالجامع اللطيف نقلاً عن البكري أنّه قال: في جبل ثور من كلّ نبات الحجاز وشجره، وفيه شجرة البان، وفيه شجرة من حمل منها شيئاً لم تلدغه هامة.

ونقل أيضاً في بعض الروايات عن ابن عباس أنّ قاتل قابيل أخاه هابيل كان في ثور^٢ ويقال إنّ من دخل غار ثور لم يحزن بعده بشيء من مصاب الدنيا طول

١. الصحيح: في مبيته على فراش...

٢. الجامع اللطيف : ٢١٣.

قلت: إن صحَّ هذه الخاصية فمن تأثير قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^١ ولهذا الغار بابان متداخلان، والثاني منها ضيق الدخول، فيه عُسر يحتاج إلى فطنة، والمشهور عند العوام إن أحبس فيه لا يكون ابن أبيه، وطريق الدخول فيه أن الداخل إليه ينبطح على وجهه ويدخل رأسه وكتفيه، ثمَّ يميل إلى جانب يساره فلا يجد ما يعوقه، ويسلك مائلاً إلى اليسار، وأمّا مَنْ لا يعرف طريق الدخول يدخل رأسه، وكتفيه يستمرّ داخلاً بباقي بدنه فتصادمه صخرة أمامه فتعوقه، فيرفع رأسه إلى فوق ويحبس بوسطه فلا يمكنه الولوج، وكلّما شدّد في الدخول تعوّق وانحبس، فيحتاج إلى من يخلّصه.

ومنها: جبال الطير وهي أربعة عن جهتي طريق التنعيم، يُقال إنّها الجبال التي وضع عليها الخليل عليه السلام أجزاء الطير، ثمَّ دعاها حسبما فيض الله تعالى في كتابه العزيز.

ومنها: جبل ثبير - بفتح المثلثة وكسر الموحدة - يعني، وهو جبل عظيم الفضل شامخ، روي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه - أنّه قال: شكوتُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله دَيْنًا كان عَلَيَّ، فقال: يا عليّ قُلِ اللَّهُمَّ أَغْنِنِي بِجَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وبفضلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، فلو كان عليك مثل ثبير دَيْنًا قضاه الله عنك. وفي بعض النسخ: صبير بالصّاد المهملة، وهو جبل باليمن.

ويسمّى ثبير الأثيرة والقابل أيضاً بالقاف والباء الموحدة. ونقل صاحب القاموس عن التّقاش المفسّر أنّ الدُّعاء يُستجاب فيه، ثمَّ قال: يعني ثبير الأثيرة لأنّ النبي صلّى الله عليه وآله كان يتعبّد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدّعوة، ولهذا جاورت به أمّ المؤمنين

عائشة أيام إقامتها بمكة، انتهى^١.

فائدة: ثبير اسم لثمانية أماكن وسبعة جبال، منها بمكة وحرمةا وهي ثبير الأثيرة، وثبير الزيتج، وثبير الأعرج، وثبير الأحذب، ويُقال الأَحِيدْب بالتصغير، وثبير الخضرَاء، وثبير النصع، وثبير غينا، والثامن ثبير مآة في بلاد مزينة، أقطعه النبي ﷺ شريس - معجمة في أوله ومهملة في آخره - ابن ضمرة - بضاد معجمة - المزني، وسمّاه شريحاً - بجاء مهملة -^٢

ولنشر إلى المواضع السبعة تكثريراً للفائدة:

فأمّا ثبير الأثيرة جبل بمنى وجعله الجوهرى والقزوينى من جبال مكة. أقول: وكون ثبير بمكة تسامح لكن ما قارب الشيء أُعطي حكمه وعُرف بذلك لآئه أعلاها وأطوها، وهو على يسار الذهاب إلى عرفة، والذي ذكره الفقهاء في المناسك بأنّ المستحبّ للحاجّ إذا طلعت الشمس عليه أن يسير إلى عرفة. وأمّا ثبير غينا - بالغين المعجمة المفتوحة، بعدها مثناة تحتية، ثمّ نون مخففة بعدها ألف - وثبير الأعرج بالجيم، فهما أيضاً بمنى، بينهما واد من منى يقال له أفاعية - بضمّ الهمزة بعدها فاء وألف، ثمّ عين مهملة مكسورة، بعدها مثناة تحتية مخففة ثمّ هاء - كذا نقله صاحب القاموس عن الزمخشري. وأمّا ثبير النصع - بكسر النون وسكون الصاد المهملة ثمّ عين مهملة - فهو جبل لطيف بمزدلفة على يسار الذهاب إلى منى، ذكره الأزرقى وقال: هو الذي يقولون في الجاهلية إذا أرادوا الدّفع من مزدلفة أشرق ثبير كيما نغير ولا يدفعون

١. الجامع اللطيف : ٢١٣، ربما اقتبس مؤلفه من كتاب مكة للفيروزآبادي.

٢. الجامع اللطيف : ٢١٣-٢١٤.

حتَّى يرون الشمس، انتهى.

والمعروف المنقول عن جمع من أهل المناسك أنَّهم ما كانوا يعنون بهذا الكلام إلاَّ ثبير الأثرية الذي بمنى، ورجَّح الفاسي قول الأزرقى وقال: لا يبعد ذلك لأنَّ قريشاً ما كانوا يقولون ذلك إلاَّ وهم بمزدلفة، وهذا أقرب بأبصارهم من الذي بمنى. وأما ثبير الخضراء - بمعجمتين وراء مهملة - هو الجبل المشرف على الموضع الذي يقال له الخضراء بطريق منى، نقله الفاسي.

وأما ثبير الزنج، ويقال جبل التوبى أيضاً، وهو بأسفل مكَّة في جهة الشبيكة، كان سودان مكَّة يلعبون عنده ويقال لهم الزنوج والتوبة فطابقت التسمية على كِلا الوجهين.

وأما ثبير الأحذب أو الأَحِيدِب، قال صاحب الجامع اللطيف: أقول بمنى جبل يدعى الأَحِيدِب، سمعتُ ذلك عن بعض أهل منى، وهو مقابل مسجد الخيف بقرب من ثبير الأثرية على يسار الذهاب إلى عرفة.

وأما المقابر

فمنها: قبور شهداء أهل البيت بفَحٍّ - بفتح الفاء وتشديد الحاء المعجمة - بين مكَّة والتنعيم على يسار الذهاب من مكَّة إلى التنعيم، بينه - أي فحٍّ - وبين مكَّة مقدار ربع فرسخ.

قال في لسان العرب: وفي حديث بلال رضي الله عنه:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً * بفحٍّ وحولي أذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجتَّة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقبورهم معروفة مشهورة تُقصد للزيارة والبركة، وكلَّ عصر خميس فيه جمعيَّة من أهل مكَّة، قباهم الآن خربة ما عليهم إلاَّ جدران منكسرة، وعلى أحجار

قبور بعضهم مكتوب؛ فمنها: «هذا قبر الشهيد عمر بن الحسن الأفطس الحسيني»، ومنها: «هذا قبر الشهيد أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الغمر، الحسيني»، ومنها: «هذا قبر الشهيد أبو علي الحسن بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم»، ومنها: «هذا قبر الشهيدين أبو محمد سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وابنه محمد بن سليمان»، ومنها: «هذا قبر الشهيد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن»، وأكثر الأحجار مكسورة تحت التراب مستورة.

فمنها: مقبرة المعلاة، وهي مقبرة كبيرة، رُوي عن النبي ﷺ أنه وقف على الثنية يعني ثنية مقبرة المعلاة، وليس بها يومئذٍ مقبرة، قال ﷺ: «يبعث الله عز وجل من هذه البقعة أو من هذا الحرم كله سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألف، وجوهمهم كالقمر ليلة البدر. قال أبو بكر: من هم يا رسول الله؟ قال: الغرباء».

ففي هذه المقبرة مواضع يُستجاب فيها الدعاء، فمنها: قبر سيدتنا خديجة أم المؤمنين في ذيل جبل الحجون، وهي سيّدة النساء وأول امرأة تزوّجها رسول الله ﷺ وولدت له أولاده كلّهم،^١ إلا إبراهيم.

وخرج الإمام أحمد عن ابن عباس أنه ﷺ قال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون».

وقال ﷺ لعائشة حين قالت: قد رزقك الله خيراً منها، [فقال]^٢: «لا والله ما

١. في الأصل: العمر، وهو خطأ.

٢. في الأصل: كله.

٣. إضافة من عندنا.

رزقني الله خيراً منها؛ آمَنْتُ بي حين كذَّبني الناس، وأَعْطَني ما لها حين حرَمَني الناس.

وتوفيت في شهر رمضان بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، ودُفِنَتْ بالحجون، ونزل رسول الله في قبرها، وقبرها ودارها المعروفة بمولد فاطمة أفضل مواضع مكة بعد مسجد الحرام.

والقبر الشريف الآن تحت قبة لطيفة مرتفعة مبنية من الحجر الشميسي، ويحيط بالقبر ضريح من خشب الساج، وعليه ستر أخضر مزركش، وعلى الستر شال كشميري، وهذه القبة بناها الأمير محمد بن سليمان مركز دفتردار مصر في أيام المرحوم داود باشا نائب الديار المصرية من جانب السلطان الغازي الأقدس السلطان سليم خان عليه الرحمة والرضوان، تاريخ بنائها سنة خمسين وتسعمائة، وله خدام ولهم معاش من صدقات الدولة العثمانية.

فمنها: قبر آمنة بنت وهب أم سيد الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام. وروى أبو نعيم بطريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم النبي ﷺ في علتها التي ماتت بها، ومحمد غلام يفع له خمس سنين فنظرت أمه إلى وجهه وأنشدت، شعر:

بارك فيك الله من غلام * يا ابن الذي من حومة الحمام

فأنت مبعوثٌ إلى الأنام * من عند ذي الجلال والإكرام

تبعث في الحِلِّ وفي الحرام * تبعث في التحقيق والإسلام

دين أبيك البرّ إبراهيم * فالله أنهاك عن الأصنام

أن لا تواليها مع الأقوام

ثمَّ قالت: كلَّ حيٍّ مَيِّت، وكلَّ جديدٍ بال، وكلَّ كبيرٍ يفنى وأنا منه وذكرى باق، وقد تركت خيراً وولدت طهراً. ثمَّ ماتت - رضي الله تعالى عنها - وقبرها بالحجون، وهو قبالة قبّة خديجة عليها السلام، بينهما طريق يصعد إلى قباب عبد المناف وعبد المطلب وأبي طالب عليهم السلام، وعليه قبّة لطيفة من الحجر الشميسي وضريح من خشب الساج، عليه ستر أخضر مزركش، وعلى الستر شال كشميري، وهي أيضاً من بناء الدفتردار المرحوم في السنة المرقومة، وله أيضاً خدام مثل قبر أمّ المؤمنين بلا تفاوت.

ثمَّ يصعد بستّين درجة إلى ذيل الجبل، هناك باب كبير يدخل منه في صحن كبير مكشوف، وعلى يمين الداخل فيه قبّة كبيرة وسبعة رفعة مبنية من الحجر، فيها ضريحان أحدهما لعبد مناف والآخر لعبد المطلب، وعليهما ستران أخضران، وعلى يمين هذه القبّة قبالة بيوت الخدّامين قبّة أخرى من حجر الصّوان فيها ضريح على قبر سيّدنا أبي طالب مرّبي وعمّ الرسول صلّى الله عليه وآله، وعلى الضريح ستر أخضر مزركش، وهذه القباب الأربعة تُزار في كلّ عصر الخميس والجمعة.

وفي أوّل مقبرة المعلاة حجرة على يسار الذهاب إلى ذيل الجبل، قبر سيّدنا عبدالله بن الزبير، وقبلته على يمين الذهاب قبر أمّه أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر تحت السماء، وبعد مائة ذراع تخميناً على يمين الذهاب قبّة لطيفة لها خدام فيها ضريح على قبر عبد الرحمن بن أبي بكر، وعلى الضريح ستر أخضر.

وفي مقبرة المعلاة قبر سيّدنا الفضيل بن عبّاس - رضي الله تعالى عنهما - وهو محوطة فيها قبور جماعة من العلماء والمشايخ الصوفيّة، منهم: الشيخ تقيّ الدّين السُّبكي المتوفّى سنة^١، والشيخ عبد الله بن عمر المعروف بالطّواشي المتوفّى سنة

١. بياض في الأصل، وتاريخ وفاته: ٧٥٦.

ومنهم الشيخ عبد اللطيف النقشبندي المتوفى سنة^٢. وفي مقبرة المعلاة
قبر سفيان بن عيينة. وقبر الشيخ أبي الحسن علي الشولي المتوفى سنة^٣، وقبر
سماسة الخير المتوفى سنة^٤، وقبر الملك المسعود عند البئر المعروف ببئر أم
سليمان، وقبر الدالاسي بالقرب من الجبل، المتوفى سنة^٥، وقبر ملا علي القاري
القاري الهروي صاحب التصانيف الجيدة، ومنها قبر علاء الدين الكرمانى النقشبندى
المتوفى سنة تسع وعشرين وتسعمائة، وله كتب جلييلة في الطريقة أجلها كتابه
المنظوم في مقابلة المثنوي.

وعلى الجملة في مقبرة المعلاة قبور كثير^٦ من العلماء والأعيان دائرة، ألواحها
منكسرة، تحت التراب مستورة، اللهم اغفر لأموات المسلمين بجاه سيد المرسلين.

١. بياض في الأصل.

٢. بياض في الأصل.

٣. بياض في الأصل، وهو علي بن مكرم الشولي، المتوفى سنة ٦٤٤هـ. قال عنه جمال الدين محمد
بن علي الشيبى في كتاب الشرف الأعلى في ذكر قبور مقبرة باب المعلا (ص ١٠٨): «له عند أهل
مكة شهرة عظيمة، ولقبره عندهم مكانة مكيئة جسيمة، إن قلت: إنه من أشهر قبور المعلا يقصد
بالزيارة - إن لم يكن أشهرها - فما بالغت. وإنما قلت: إن له عندهم من المنزلة ما ليس هو لغيره
من أمثاله فما جاوزت».

٤. بياض في الأصل.

٥. بياض في الأصل.

٦. في الأصل: كثيرة.

٣٢٩
البدوي قال ابو بكر بن محمد بن رسول الله قال القندهاري
فيها صفة لعلامة وهو صفة كثيرة وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
صفة قالوا بيوتهم من هذه الصفة او من هذا الحرم كل من سجد في الفناء فله الجنة
شعاع كل واحد منهم في سبعين ألف وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قوله ما من عبد من عبدي سجد في الفناء فله الجنة ما لم يمتنع من حاجب فيها الا
رسول الله وولدت له اولاده كلهم الا ابراهيم وجميع الامام محمد بن عبد الله بن عباس
اضل نساء اهل الجنة صفة بنت خويلد وفاطمة بنت عمر بن الخطاب وابنة امية
فرعون والاسماء بنت ابي بكر بن ابي طالب فذكرت الله خيراتها لافاد الله
ما روي فيها منها اصبحت في جنة كذا في الناس واعطيت ما لها حين حرم من الناس
والقبر الشريف الان تحت حبة الطيرة منقطة منية من الحجر النقي ولعلها بالقبر من الحجر النقي
وعليه ترأخض من ركش وعلى الترسال كشميرى وهذه لينة باها الامام محمد بن علي بن
وفقدوا مصر في ايام المهدي وادوا باثنا عشر من العباد لمصر من جانب السلطان كذا في
سليم خان عليه الرحمة والرفوان تاج بياض منة خمسين وثمانية وله خدام وخدم من
العدلة ثمانية
قوله في امة بنت وهب بن سيد الانبياء عليه السلام وروى ابو بكر بن محمد بن
عن اسما بنت ربيعة عن ابيها قالت شهدت امه ام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عليتها
فلا ترفع له خمس سنين فظفرت امه الى وجهه واشتدت باركته في الله فقام
بابه الذي هو حومة الحمام فانت مبعوث الى الامام من عند ذي الجلال والاكرام تبعث في الليل
وهو في القبة خفيته فيها طريق يصعد الى قباب عبد الملك وعبد المطلب وفي طلبه
وعليه قبة الطيرة من الحجر النقي وفي من القباب على ركش وعلى الترسال
سالك شميرى وهي ايضا من القنداري المرموم في لينة لم تفتح ولم يفتحها من قبل
بلا تقاتل ثم يصعد ببيت من حجر الى ذيل القبل هناك باب يدخل منه في حجرة
مكتوف وعلى يمين الدار خلفه قبة كبيرة وصغيرة وفيه من حجر فيها خزان حديد
لعبد الخلف والآخر لعبد المطلب وعليها سكران خضراء وعلى يمين هذه القبة قبة بنت
الحمد امير قبة اخرى من حجر الصوان فيها خزان على قبة سيدنا ابي طالب في يوم الرسول
وعلى الصوان سكران خضراء ركش وهذه قباب الاربع تزار في كل يوم من الجنتين
وفي اول صفة لعلامة حجرة على حجر الداب الى ذيل القبل فكل من سجد في هذه القبة
وقبله على سكران اصبغوا امه اسرار ذات الطائر ثبت في القبة وفيها سكران
تحتها على الداب قبة الطيرة لها خدام فيها من على عبد الرحمن بن ابي بكر و...

الخاتمة: في المساجد التي في الطائف.

الأول: مسجد رسول الله ﷺ في ليته

روى الزبير قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من ليته حتى إذا كنا عند السدرة وقف رسول الله ﷺ في طرف القرن الأسود حذوها، فاستقبل نخباً ببصره ووقف حتى اجتمع الناس كلهم فقال ﷺ: إِنَّ صَيْدَ وَجٍّ وَعِضَاهَةُ حَرَامٌ مُحَرَّمٌ. وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره لتقيف، رواه أحمد وأبو داود.

قوله: ليته - بكسر اللام وتشديد آخر الحروف بعدهما الهاء - موضع قريب من الطائف بثمانية أميال كثير السدر، وفيه مسجد لطيف يقال له مسجد النبي ﷺ، وموضع صلاته محراب كبير ظريف والناس يزورونه ويتبركون بالصلاة في المحراب. وعند باب المسجد حجر فيه أثر خف ناقية رسول الله ﷺ والناس يمسخونه للتبرك؛ يُقال: في هذا المسجد يُستجاب الدعاء.

قوله: نخباً، ونخب - بفتح النون وكسر الخاء المعجمة ثم الباء الموحدة - اسم واد بالطائف.

وقوله: وجٍّ، بفتح الواو وتشديد الجيم، وبعضهم يبدلون الواو بالهمزة، فيقال: أجٍّ، اسم قرية من قرى الطائف فيه الكروم والآجاص والخوخ كثيرة، هواؤه لطيف مثل دمشق. وقال أبو الهندي عبد المؤمن بن عبد القدوس:

(شعر)

فإن تُسَقَّ من أعناب وجٍّ فإئتنا * لنا العين تجري من كسيس ومن خمر
وفي الحديث: «إن آخر وطأة وطأها الله بوجٍّ». وأراد بالوطأة الغزاة ههنا،

وكانت غزوته آخر غزواته.

وأما حديث صيد «وجّ وعضاة حرام محرّم»، يحتمل أن يكون على سبيل الحمى له، ويحتمل أن يكون حرمه في وقت معلوم ثمّ نسخ. قال ابن إدريس في السرائر: قال شيخنا أبو جعفر في مسائل خلافه: صيد وجّ - وهو بلد باليمن - غير محرّم ولا مكروه.

قال محمد بن إدريس - رحمه الله -: سمعتُ بعض مشيختنا يصحّف ذلك ويجعل الكلمتين كلمة واحدة فيقول صيدوح - بالحاء - فأردتُ إيراد المسألة لئلاّ يصحّف.

اعلم أنّ وجّاً بالجيم المشدّدة بلدة بالطائف لا اليمن، وفي الحديث: آخر وطاة وطأها الله بوجّ - يريد غزوة الطائف - قال الشاعر:

فإن تُسَقَّ من أعناب وجّ فأئنا * لنا العين تجري من كسيس ومن خمر

الكسيس بالسينين غير المعجمتين نبذ التمر. وقال النيميري في زينب بنت يوسف أخت الحجاج:

مررن بوجّ رائحات عشية * يلّين للرّحمن معتجرات

وكانت قد نذرت أن تمشي من الطائف ماشية، وبين الطائف ومكة يومان، فمشت ذلك في اثنين وأربعين يوماً، وجعلت بطن وجّ مرحلة وهي قدر ثلاثمائة ذراع. وفي وجّ أيضاً مسجد لطيف فيه موضع صلاة رسول الله ﷺ، ويُقال إنّ الدعاء في هذا المسجد مستجاب.

وأما الطائف:

قال صاحب صور الأقاليم: والطائف مدينة صغيرة نحو وادي القرى إلاّ أنّ

أكثر ثمارها الزبيب، وهي طيبة الهواء، وأكثر فواكه مكة المعظمة منها، وهي ظهر جبل غزوان، وبغزوان ديار بني سعد وسائر قبائل هذيل؛ قال: وليس بحجاز فيما علمته مكان هو أبرد منه - أي رأس هذا الجبل - وليس بحجاز مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع فيما علمته، انتهى.

وفيه مسجد رسول الله ﷺ وهو في وسط المسجد الكبير المعروف بمسجد عبد الله بن عباس ومسجد رسول الله ﷺ من هذا المسجد الجامع بين قبتين صغيرتين يُقال إلهما بُنيتا في موضعي خيمتي زوجتيه اللتين كانتا معه، وهما أم سلمة وعائشة؛ وبين القبتين محراب النبي ﷺ، وفي حائط المحراب رأيت مكتوباً:

(لغز في القرآن)

فأي شيء عُشره نصفه * ونصفه تسعة أمثاله

فبعد التأمل كتبتُ تحته الحلّ: قوله عُشره نصفه، أي نصف عدد سوره وهو من ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾^١ إلى آخر القرآن ثلاثة أجزاء، وهو عُشر الثلاثين، وذلك سبع وخمسون سورة، وهو نصف عدد سور القرآن، والنصف الآخر تسعة أمثال العُشر من ثلاثين، والله يعلم.

وللمسجد أربعة أروقة في قبلته، وله ثلاثة أبواب في يمينه ويساره ومؤخره، وفي ركنه الأيمن القبلي قبر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ، وفي ركنه الأيسر منارة عالية بُنيت في أيام أبي العباس أحمد، وخلفه تحت المنارة بئر ينزل فيها إلى الماء بخمس وثلاثين درجة، وفي المسجد عند القبّة ثلاثة قبور، وحدائرها إلى القبلة ثلاثة أخرى على يمين الداخل من الباب، وعلى أحدها مكتوب هذا قبر لبابة

١. المجادلة : ١.

بنت الحارث أخت ميمونة زوجة النبي ﷺ، توفيت سنة ثمان وستين، وأيضاً على أحدها مكتوب: هذا قبر زبيدة، توفيت في جمادى الآخرة من سنة خمس وستين وثلاثمائة.

أقول: الظاهر أن زبيدة هذه غير زبيدة بنت جعفر امرأة هارون الرشيد؛ فقد ذكر المسعودي أن زبيدة بنت جعفر توفيت في سنة عشرة ومائتين في خلافة المأمون، انتهى.



مصادر التحقيق:

١. القرآن الكريم.
٢. إعلام الساجد بأحكام المساجد، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط ٤، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
٣. تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين بن شرف النووي، بيروت، دار الكتب العلمية، (لا ت).
٤. الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، محمد جار الله ابن ظهيرة المكي، ط ٥، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
٥. الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، دمشق، دار المعرفة، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٦. الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، عبد القادر بن محمد الأنصاري الحنبلي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية،

- ط ١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
٧. ديوان أبي طالب، جمعه وعلق عليه: عبد الحق العاني، المملكة المتحدة - فنلندا، دار كوفان للنشر، ط ١، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
٨. ديوان الإمام الشافعي، تحقيق: إسماعيل اليوسف، دمشق، دار كرم، (لا ت).
٩. رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكنافي الأندلسي، بيروت، دار صادر، (لا ت).
١٠. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي البغدادي، بيروت، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
١١. شرح أدب الكاتب، أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٥٠ هـ.
١٢. الشرف الأعلى في ذكر قبور مقبرة باب المعلا، جمال الدين محمد بن علي الشيبني، تحقيق: منصور صالح أبو رياش، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
١٣. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تقي الدين الفاسي، تحقيق: علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ٢٠٠٧.
١٤. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
١٥. القرى لقاصد أم القرى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، (لا م)، (لا ت).
١٦. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، القاهرة، دار المعارف.
١٧. "المخلب السعدي: حياته وما تبقى من شعره"، حاتم الضامن، مجلة

المورد، المجلد ٢، العدد ١، ١٩٧٣م.

١٨. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بالحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

١٩. المشترك وضعاً والمفترق صقلاً، ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت، عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٢٠. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت، دار صادر، ١٣٩٩ق / ١٩٧٧م.

٢١. ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة، محب الدين محمد ابن رُشيد السبكي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٢٢. منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاية الحرم، علي بن تاج الدين السنجاري، تحقيق: جميل عبد الله محمد المصري، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٢٣. نظم الدرر السنية في السير الزكية، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: طارق بن سعيد بن سالم آل عبد الحميد، بيروت، دار اللؤلؤة، ط ١، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٨م.





أَخْبَارُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ

١- استكمال تركيب المذهبات لشوب الكعبة

انتهى مصنع كسوة الكعبة المشرفة برئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي من تركيب المذهبات للحجر الأسود والميزاب، بعد أن تم تركيب المذهبات للركن اليماني بالكعبة المشرفة.

وأوضح مدير مصنع كسوة الكعبة المشرفة الدكتور محمد باجودة أنه امتداداً للعناية بالحرمين الشريفين وكسوة الكعبة المشرفة بصناعتها بجوار بيت الله الحرام في

مكة المكرمة، فقد استكملت الرئاسة تركيب المذهبات حول الحجر الأسود بحيط قدره ١٥٥ سنتيمتراً، وارتفاع يبلغ ١٢٩ سنتيمتراً، وسماكة تبلغ ١٥ سنتيمتراً، وهذه الحلية تهدف إلى إضفاء زينة ورونق على الحجر الأسود، الذي يتسابق زوّار وقاصدو المسجد الحرام لتقبيله، تأسيساً بسنة المصطفى ﷺ.



الحجر الأسود

وأفاد باجودة بأن حلية «ميزاب» الكعبة المشرفة التي يبلغ قياسها «١٧٠×٧٧ سم»، إضافة إلى حلية الركن اليماني التي تبلغ مقاساتها «١١٥×٩٢ سم» وسماكة «١٥ سم» قد تمت إضافتها في إطار جهود الابتكار والتطوير لحياكة أرفع رداء يعتلي أشرف بناء على وجه الأرض، وأن الحياكة تمت في مصنع الكسوة بأيدي صناع سعوديين مؤهلين باستخدام آخر ما توصلت إليه المهارات والتقنيات

٢- ١٧ ألف مخطوطة أصلية بمكتبة الملك عبدالعزيز في المدينة

بدأت مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، تنفيذ المرحلة النهائية من نقل محتويات المكتبات الوقفية المودعة فيها إلى المقر المؤقت لمجمع الملك عبدالعزيز للمكتبات الرقمية.

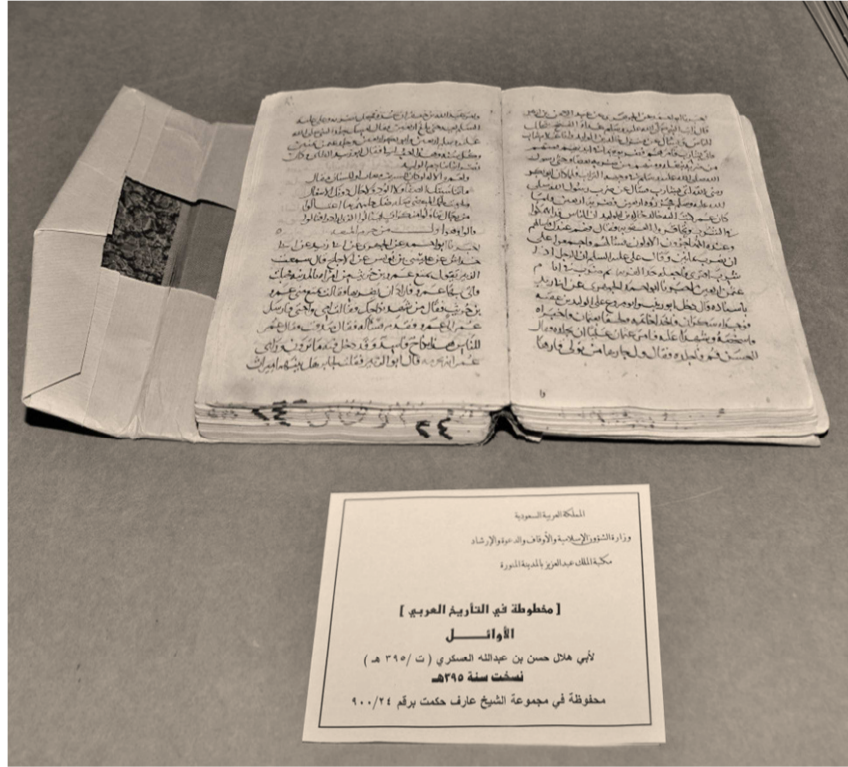


من مخطوطات مكتبة الشيخ عارف حكمت

وتعدّ مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة - التي تحظى باهتمام المسؤولين

للاارتقاء بها إلى أعلى درجات الخدمة المكتبية الحديثة وتهيئة المناخ العلمي للباحثين التي تجمع بين خصائص المكتبة العامة ومركز المخطوطات ومركز البحث العلمي - من أكبر المكتبات، وهي مركز إسلامي علمي إعلامي.

مكتبات العمى : ٤٦ - ١٤٣١ هـ



مخطوطة في مجموعة الشيخ عارف حكمت

وأوضح مدير عام مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة الدكتور محمد سيد الشنقيطي، أنه أعدت خطة لنقل محتويات المكتبة، التي سيجري إزالة مبناها لصالح توسعة المسجد النبوي الشريف بالتعاون مع إدارة الملك عبدالعزيز، المشتملة على عدة مراحل بدأت منذ الثالث من شهر رجب العام الماضي بنقل المخطوطات التابعة

لعشرين مكتبة وقفية، ثم تبعها في شهر شوال الماضي تنفيذ المرحلة الثانية في نقل الكتب النادرة التي يتجاوز تاريخ طباعتها المئة عام.

وأضاف أنه صاحب هاتين المرحلتين عملية ترقيم المحتويات بنظام (RFID) وتعقيم المخطوطات والكتب بالأوزون عبر المعامل المتحركة التابعة، «لوحة التعقيم المتنقلة في مركز الترميم والمحافظة على المواد التاريخية»، كما اشتملت عمليات النقل على الجرد والإيداع في المستودع الرقمي لتوثيق جميع محتويات المكتبات الوقفية من جميع المقتنيات.

وذكر الشنقيطي أن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، التي تأسست في بداية عام ١٣٩٣هـ في ساحة المسجد النبوي من الجهة الغربية عندما وضع حجر أساسها، تضم المصحف الشريف وعدداً من المصاحف المخطوطة البالغ عددها (١٨٧٨) مصحفاً، و(٨٤) مجموعة ربعة قرآنية تعكس مدى اهتمام العلماء المسلمين بكتاب الله الكريم.

وأضاف أن المكتبة تضم أيضاً أقدم مصحف مخطوط يعود تاريخه إلى عام ٤٨٨هـ بخط علي بن محمد البطليوسي كتب على رق الغزال، ويتلوه مصحف كتب عام ٥٤٩هـ بخط أبي سعد محمد إسماعيل بن محمد وأهدي عام ١٢٥٣هـ، بالإضافة إلى مصحفاً متميزاً مخطوطاً بخط غلام محي الدين سنة ١٢٤٠هـ وزنه (١٥٤) كيلو جراماً) والمعروضة حالياً في معرض القرآن الكريم الواقع بجوار المسجد النبوي الشريف.

وبين أن المخطوطات بالمكتبة تبلغ عددها حوالي (١٧.٠٠٠) مخطوطة أصلية توليها المكتبة عناية خاصة، فيما يضم قسم الكتب النادرة ضمن مجموعاتها الخاصة عدداً من الكتب النادرة يبلغ مجموعها حوالي (٣٠.٠٠٠) كتاب في قاعة مستقلة خاصة بها.

وأضاف أن المكتبة تحتوي أيضاً على قسم المطبوعات الحديثة، التي يبلغ عدد الكتب فيها حوالي (٦٠.٠٠٠) كتاب مفهرسة ومنظمة ومصنفة تغطي معظم جوانب المعرفة.

كما تحوي مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة على العديد من المكتبات الموقوفة منها مكتبة الشيخ عارف حكمت التي أنشأها في المدينة المنورة سنة ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م التي تعد ثروة أدبية للمدينة المنورة في العصر الحديث لغناها بالمخطوطات القيمة والنادرة في شتى العلوم والفنون وتزخر بالكثير من التراث الإسلامي المكتوب باللغات العربية والفارسية والعثمانية.

بِشَارَاتُ الْحَجَّ
١٦٠ - ١٤٣٨ هـ

